النُّورُ السَّارِي

بِاعْتِقَادِ الإِمَامِ البُخَارِيِّ

تصنيف وتحقيق

أبي الخير شمس الدّين خيري بن عبد الفتاح

القرشي المصريّ الشافعي

أطلس ATLAS
للاستيراد والتصدير
طبع نشر توزيع
القاهرة

مجمع الأطرش
للكتاب المختص
تونس

CamScanner

الكتـــــاب: النور الساري باعتقاد الإمام البخاري
تـــــاليف: خيري عبد الفتاح يوسف
رقم الإيداع: ٤٨٧٠ / ٢٠١٣ م
الترقيم الدولي: ٠- ٣٤-٥١٦٦-٩٧٧-٩٧٨
سنة النشر: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

الناشر

أطلس ATLAS للاستيراد والتصدير طبع - نشر - توزيع القاهرة
بالاشتراك مع
مجمع الأطرش للكتاب المختص تونس

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية – القاهرة
مكتبة: أطلس للاستيراد والتصدير
ش السيد الدواخلي – أمام باب جامعة الأزهر – الحسين
تليفون وفاكس: ٢٤٦٧٠٥٥٨ محمول: ٠١١١٠٢٠٧٣٧٦

التوزيع خارج جمهورية مصر العربية ـ تونس
مكتبة: مجمع الأطرش للكتاب المختص
٩٥ شارع لندرة – تونس العاصمة
تليفون: ٠٠٢١٦٧١٢٤١١٢٣
فاكس: ٠٠٢١٦٧١٣٣٠٤٩٠
محمول: ٠٠٢١٦٩٨٥١٠٨٣٣
e-mail: contact@latrach-edition.com

للتواصل مع المؤلف
محمول: ٠١١٤٠٨٠٦٣٨٧ – ٠١٢٢٩٨٣٨٤٤٦
e-mail: abulkhairshams@yahoo.com

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

مقدمة

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الإسلام للسنة فانقادت لاتباعها، وارتاحت لسماعها، وأمات نفوس أهل الطغيان بالبدعة بعد أن تمادت في نزاعها، وتغالت في ابتداعها، وأشهد أن لا آله إلا الله وحده لا شريك له العالم بانقياد الأفئدة وامتناعها، المطلع على ضمائر القلوب في حالتي افتراقها واجتماعها، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي انخفضت بحقه كلمة الباطل بعد ارتفاعها، واتصلت بإرساله أنوار الهدى وظهرت حجتها بعد انقطاعها، ﷺ ما دامت السماء والأرض هذه في سموها، وهذه في اتساعها، وعلى آله وصحبه الذين كسروا جيوش المردة وفتحوا حصون قلاعها، وهجروا في محبة داعيهم إلى الله الاوطار والأوطان ولم يعاودوها بعد وداعها، وحفظوا على أتباعهم أقواله وأفعاله وأحواله حتى أمنت بهم السنن الشريفة من ضياعها.

أما بعد: فإن أولى ما صرفت فيه نفائس الأيام، وأعلى ما خص بمزيد الاهتمام: الاشتغال بالعلوم الشرعية، المتلقاة عن خير البرية، ولا يرتاب عاقل في أن مدارها: على كتاب الله المقتفى، وسنة نبيه المصطفى، وأن باقي العلوم إما آلات لفهمهما وهي الضالة المطلوبة، أو أجنبية عنهما وهي الضارة المغلوبة، وقد رأيت الإمام أبا عبد الله البخاري في جامعه الصحيح: قد تصدى للاقتباس من أنوارهما البهية تقريرا واستنباطا، وكرع من مناهلهما الروية انتزاعا وانتشاطا، ورزق بحسن نيته السعادة فيما جمع حتى أذعن له المخالف والموافق، وتلقى كلامه في التصحيح بالتسليم المطاوع والمفارق، وقد استخرت الله تعالى في أن [1]:

[1] فتح الباري - ابن حجر - (ج ١ / ص ٣)

أستخرج منه شريف المقصد، وعظيم المعقد، وهو المتعلق بتأسيسه لشأن صحيح المعتقد، مما شيد وصرح، أو مما روى وألمح، فتكون به لأهل السنة مرجعية، على طريقة الهدى المرضية، باعتبار العقيدة النقلية، إلى جانب المشهورة العقلية؛ فقد استبان بينهما التصادق، ووقع بينهما التوافق؛ فعلى الحق بهما وصار الباطل زاهق، وظهر بنيان الدين شاهق، وتزايدت به في القلوب شريف العوالق، والحمد لله المنعم على اللاحق، بعظيم النسبة للعوالي السوابق.

وقد سلكت في تصنيفي في هذا البحث مرتكزين رئيسيين:

المرتكز الاول: الاعتماد على ما صرح به الإمام البخاري ، ونص عليه من القواعد، والأسس التي تبناها، في فهمه لكلام الله تعالى، وكلام رسوله الكريم، ووجه به معاني التنزيل القويم.

المرتكز الثاني: الاعتماد على ما رواه الإمام البخاري في صحيحه من الروايات، ونواحي التوجيهات لمرامي نص الشريف، سواء كانت أحاديث أو آثار عن الصحابة الغر الميامين، أو السلف المكرمين.

وقد كان هذا الفضل والامتنان، بهذا الكتاب من الملك الرحمن؛ لفرضه معرفته الحق على جميع الأنام، بما وجب في حقه من الأوصاف العظام، وما يجوز، وما يستحيل اتصافه به على الدوام، فيعبد المسلم من تيقن تنزيهه عن كل نقص فيدرك علو شرف الاسلام، فيذعن لمولاه بالألوهية، ويترفع عن الخضوع سواه بالعبودية.

ويتعرف على واجب الأوصاف للأنبياء سادات البشرية، ودحض شبه الطاعنين في عصمة أصحاب الرسالات السماوية، فيصدقون بما أوتوا به من الكتب، وأنها أنزلت إليهم عن طريق الملائك فخيموا الرتب، وأن المؤمنين لهم جنات عدن بلا عتب، وأن المكذبين لهم الجحيم مع الرهب.

ولقد استحدث بعض المنتسبين للعلم في هذا الزمان، ما لم يتعاطوه عن شيوخ أهل السنة وقويم البرهان، فأساءوا المدارك، وانحرفوا عن جيد المسالك،

وانحسر عنهم شريف العلم، ولطيف الفهم، وتعاظمت أساطين الجهل، وعودي فيهم أهل الفضل، كما روى الإمام البخاري:

- حدثنا مسدد قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثنكم حديثا؛ لا يحدثكم أحد بعدي، سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من أشراط الساعة: أن يقل العلم، ويظهر الجهل، ويظهر الزنا، وتكثر النساء، ويقل الرجال؛ حتى يكون لخمسين امرأة: القيم الواحد ([2]) ".
- وحدثنا عمران بن ميسرة قال: حدثنا عبد الوراث، عن أبي التياح، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ " إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا ([3]) ".

ولكن أهل الحق على الأكوان لا يزالون عوالي، أصحاب سلطان النور وفي تاج الاسلام لآلي، وصدق في الفريقين قول المصطفى، علم التقى، فيما روى الإمام البخاري:

- حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا حماد بن أسامة، عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال : " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا؛ فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به؛ فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به " ([4]).

فوجب طلب العلم على أهله، بصدق نية، وشريف طوية، كما روى البخاري:

---

[2]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٣)
[3]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٣)
[4]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٢)

• قال مطر الوراق: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، قال: هل من طالب علم؛ فيعان عليه(٥).

وهذا العلم دين ؛ فوجب النظر فيمن يؤخذ عنهم العلم، فأولئك لهم مدارك عظيمة، وأركان قويمة، وهم لنا براهين فخيمة، كما روى الإمام البخاري:

• حدثنا أبو معمر قال: حدثنا عبد الوارث قال: حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله ﷺ وقال :" اللَّهُمَّ علمه الكتاب (٦) ".

فهم خصوص أمة العليم القدير، ولا ينبئك مثل خبير،كما روى الإمام البخاري:

• حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول :" من يرد الله به خيرا: يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله (٧)".

فهو محض امتنان الكريم سبحانه، على من عظم شأن رضوانه؛ فينعم عليه بإدراك معالم الهدى الأشم، ويرفع به إلى أعلى القمم، والنبي الأعظم لا يزال يقسم بالعدل بين الورى، والله المنعم بالتوفيق على أولي النهى.

وبلطيف نظر في أشعة أنوار الحديث؛ تجد من شريف المعاني:

• أن من أراد المولى الكريم به خيرا: يفتح له أبواب الفهم عنه تعالى، وكأنها إشارة إلى أن من أراد القيوم به سوءا: يفتح له من أبواب الانشغال عنه بالدنيا فيبعده، عقوبة على سوء ما به اتصف فيحرمه!

٥) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٤٤)
٦) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤١)
٧) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٣٩)

• وأن أعظم علائق الإنعام هو أن يفقه العبد مراد سيده، ومكنون شريف أمره، وعظيم أسرار تنزيله، ونيل قويم تأويله؛ فتلك النعمة الكبرى، والمنحة الفضلى، نعم لا تدانيها سكنى القصور، ولبس قويم الحلي وشم فخيم العطور.

• وأن النبي ﷺ هو القائم بالقسمة بين العباد في ذلك؛ فيتفضل على البعض، دون آخرين، ويزيد للمقربين، وينقص ويصرف عن المبعدين، لما صرح العظيم بقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾، وفعله ﷺ دائم بقوله: قاسم، ولم يقل قسَمَ؛ فلا يزال يقسم، ولو انعدم قسمه للآتين؛ لوقف قسمه على معاصريه، ولصار القادمين بلا قسم.

• وأن الكريم المتفضل سبحانه يزيد بالعطاء على أصحاب القسم؛ بما يفوق رجاءهم، ويمنحهم زيادة على تناسب استعدادهم، فيدركون حقيقة المنحة، وأنهم بلا حول فيما أوتوا ولا قوة، فشاهدوا عظيم العطاء عن القصور البشري، والقانون الإنساني؛ فارتقوا به فوق الأكوان، وحكموا به على ما للبشر من سلطان.

• وأنه لن تزال طائفة العطاء الأعلى، مع القسم الأسنى: منصورة يعجز العالم عن هزيمتهم؛ فبالله طاقتهم، وبمنه شريف قدرتهم، ولا طاقة لأحد بمكنتهم، كلما مات منهم أحد بقدره؛ أبدل الأتقى من الخواص محله، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، وقد أعطوا في الآخرة شفاعة، أولئك أولياء الله وخاصة عباده، الذين نالوا عنده الرفعة، من جاهدوا وجعلوا دينهم عن العدو في منعة.

[*] كما يجب رد كل قول أو معتقد يخالف ما كان عليه سلف الأمة:

فهم خيرة خلق الله بعد الأنبياء، ووزراء نبيه خاتم وسيد الأنبياء؛ فلا يقبل في شأن معتقد أمة الهدى تأصيلا يختلف مع ما كانوا عليه قمم الأولياء، ولذلك قعد شيخ الإسلام البخاري الإمام هذا ا لمبدأ فقال:

• باب إذا اجتهد العامل، أو الحاكم؛ فأخطأ خلاف الرسول من غير علم؛ فحكمه مردود؛ لقول النبي ﷺ:" من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد " (٨).

٨) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٧٥)

• وحدثنا يعقوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ:

" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو رد" (١).

وقال : باب إذا قضى الحاكم بجور، أو خلاف أهل العلم؛ فهو رد:

• حدثنا محمود حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر: بعث النبي ﷺ خالدا (ح)، وحدثني أبو عبد الله نعيم بن حماد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة؛ فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا؛ فقالوا: صبأنا صبأنا؛ فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، فأمر كل رجل منا: أن يقتل أسيره؛ فقلت: والله لا أقتل أسيري، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره؛ فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال:

" اللَّهُمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد (مرتين)" (٢).

ولأن من أعرض عن سنن السلف؛ لجأ إلى الخيال وقاصر الفهم، وتعبد لرب يحكمه الوهم، ويكيفه الظن، والله يجل سبحانه عما يظنه العباد؛ لأن تعظيمهم لمولاهم جل جلاله: يقتضي النظر فيما يطلقون به اللسان، في حق مليك الأكوان؛ فلا يكيف العظيم بما يتصوره الإنسان، ويحكم بالقصور البعيد عن عوالي مباني الشريعة والبرهان؛ وإنما لابد للعبد من مرجعية تنأى به عما للضلال من الزيغ والبهتان؛ فمن اتبعهما أو اتبع داعيهما فما رجى لله وقارا؛ لأنه عندئذ يصف ربه بالمستحيل، وينسب إليه الممتنع، وقد قال جل شأنه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾، ويصير يطلب الوهم حاكما على مولاه، ولا يُطلب الحق بالوهم، وهذا حال المشركين عموما، حيث يرجون أصناما آلهة؛ لاعتمادهم على الحس الظاهر محكمين له على العظيم القاهر، حيث جاء:

---

١) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٩٥٩)

٢) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٢٨)

• في قوله تعالى: ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾:

وقال ابن عباس: ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾ مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها غيره، كمثل العطشان، الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر (١).

وجه الدلالة:

قلت: وهذا التأويل من التأويل الإشاري من عبد الله بن عباس ﷺ؛ فإن ظاهر مدلول الآية متعلق بالأماني الكاذبة عند صاحبها التي لم توصله إلا إلى الضياع، وخيبة الرجاء، وهلاك النفس عند عتبة مبادئ انهيارها، بعدما كان يرتب عليها الكثير من الأمور، التي ربما كان يفتخر بمتعلقها زمانا طويلا فانهارت وانهار معها، وضاعت وضاع قبل تمام ضياعها !

وهي على العموم في الوصف والتشبيه التمثيلي، وجعلها عبد الله بن عباس ﷺ أنها كأماني المشرك الذي عبد مع الله إلها غيره، الذي كان يظن أن ذلك هو الحق، وبه نجاته متحققة، وجعل يتفاخر ويتندر بمآثر ضلاله؛ بل وجعل يناضل عنها ضد الحق، ويسخر من الحق وأهله أيما سخرية، ويرجو، ويؤمل أنه بذلك ناج، يفاجئ عند لقاء نتاج معتقده، وخبث طويته، بأن ذلك المعتقد كان فاسدا، ولا يجد إلا العذاب أحوج ما يكون إلى رية ماء في ذاك الحر واللهيب، والجحيم المهيب، ويصير مثله في ذلك كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله، ولا يقدر، والحمد لله على نعمة الهدى بعد الإسلام، والصلاة والسلام على النبي هادي الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام.

---

١) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٣٢)

الباب الأول
قضية المحكم والمتشابه

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

قد جعل العظيم تعالى شأنه تفصيلا بين المحكم والمتشابه في آيات تنزيله فقال جل جلاله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ وقضى جل شأنه بمعاني المحكم على المتبادر من مدركات المتشابه، وأن علم إنزال معاني المحكم وقضائه على المتشابه: هو في متناول الراسخين في العلم فقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾.

ونحن في هذا الكتاب نقرر أن منهج المعتقد القويم مبني على معتبر:

أن مذهب السلف واحد وهو متفرع إلى طريقين يختلفان اختلاف تنوع بحسب الناظر في آي التنزيل، ومدركات السنن على طريقين:

الأولى: أن مذهب التأويل هو مذهب الراسخين في العلم في أمة الاسلام.

الثانية: أن مذهب التفويض هو مذهب البسطاء وعامة الناس، والمتورعين الذين يخشون من الخوض في معاني الوحي المتعلقة بالذات العلية.

وقد صنفت في ذلك رسالة مستفيضة في هذا الشأن أسميتها: رفع المنائر باعتقاد الأكابر.

أما في خصوص هذا الكتاب سوف ترى معي أيها القارئ الكريم: اعتماد الإمام البخاري رحمه الله تعالى لمذهب التأويل، وما ذلك إلا محض ترسيخ لليقين على ما قررناه من اعتماد الراسخين في العلم لمذهب التأويل في قضايا الاعتقاد عموما، وفي باب الصفات الخبرية خصوصا، والحمد لله المبدع في الكائنات من ألوان المعجزات صنوفا.

وفي هذا الكتاب نأتي من عند الإمام البخاري برهان الدين لعلماء السلف، بما جاء عنهم من صحيح وعزيز النقول والتحف، وأنه أسس:

أن شأن العامة ألا يدخلوا في مسائل الصفات،ولا شبهها من آيات الذكر، وما ذلك إلا لأن السائل من عامة الناس، لا يتحمل معاني كلام الله تعالى؛ وأنه لم

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

يتصف بذلك إلا لقصور الإدراك عنده؛ فتجده يسارع في تصوره لرب العالمين، ويشبهه بالخلق؛ لأنه يقيس الغائب على الشاهد [الحاضر]؛ فيقع في مهلك المزالق، ولذلك كان إلزام الشريعة له بالانكفاف، وتعليمه بأن كل ما ورد ببابه فالله له بالخلاف، ويتصف بما عَلِمَهُ رب الشمس والقمر، وليس كما يخطر للبشر، وهو كذلك الذي أسس أبو الحسنين علي بن أبي طالب ﷺ فقد جاء عنه:

• حدثنا عبيد الله بن موسى معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟[1].

الثاني: أن الراسخين في العلم يعلمون هذا النوع من معاني آيات التنزيل، وأحاديث الرسول الجليل من المتشابهات، وهذا هو نص القرآن الكريم بقوله ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾، والدليل على ذلك:

• أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ في روايتنا هنا:

قد وجه الخطاب للراسخين في العلم، وأمرهم بأن يتلطفوا بعقول عامة الناس، وأن لا يكلفوهم ذهنيا وعلميا إلا بما يطيقون؛ حتى لا يكذبوا بالدين بالكلية؛ بسبب ضعف الإدراك، وعدم قدرتهم على تحقيق الأمور، وضبط العلوم؛ مما يجب، ويستحيل، ويجوز في حق رب الأكوان من الصفات.

وجاء تكليفه في النص الأخير كذلك بتقريره:

أن من لم يتلطف مع العامة فيكلمهم بما هو شأن الراسخين في العلم من الأمور؛ كان متسببا بذلك بإيجاد فتنة لبسطاء الناس، ومساعدة لهم على الشك في دينهم، وأن ذلك محرم.

(1) صحيح البخاري - (ح ١ / ص ٥٩)؛ مجموع الفتاوى - (ح ٦ / ص ٥٩)؛ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية - (ح ١ / ص ٢٢٨).

وأن الأدلة على هذه المعاني الكبريات، هو ما روى الإمام البخاري نفسه كذلك، في صحيحه المقدم على جميع كتب السنن عند أهل السنن؛ فقال:

• حدثنا إسماعيل، قال: حدثني أخي، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين؛ فأما أحدهما: فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم[1].

وهو من أفخم الأدلة على أن هناك من العلم ببعض الأمور، وخصوص قدر من القضايا: ما لا يحسن الاطلاع عليها من عامة الناس، كما اختص المولى الحكيم بعض عباده؛ فمنهم من حاز أهلية الاستنباط، ومنهم من لم يحوزها؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾؛ فجعل مناط الحكم، وفروع القسم في أعناق من أنعم عليهم بهذه المزية، دون من سواهم، ولم يجعل القبول عنده تعالى منتهي على هذه المعايير، ولكن جعله متعلقا بالمتقين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

(1) صحيح البخاري - فتح الباري - (١ / ٥٦).

الفصل الأول
بيان التأصيل للمحكم والمتشابه وحكمهما

فرق أهل الحق بين المحكم، وبين المتشابه، من أنواع دلالات التنزيل، وأوجبوا تأويل المتشابه بالمحكم ورده إليه؛ فقد روى الإمام البخاري ﷺ:

[*] في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾[٢] قال:

قال قتادة: خلق هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها بغير ذلك: أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به (١).

قلت : يدل قول قتادة رحمه الله – بحسب ما روى عنه الإمام البخاري- دلالة صريحة على التفرقة بين ما سماه علماء الأصول بالنص، وبين ما سموه بالمتشابه، فالأول: دلالته قاطعة لا تحتمل غيره، وهو من أنواع المحكم، أما الثاني وهو المتشابه: فتحتمل دلالته أكثر من معنى، ولابد من ترجيح أحدها، بأحد قواعد الترجيح المعتبرة، وهي كثيرة، وفي هذا الموضع قرر رحمه الله تعالى:

أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ وهي استعارة تصريحية ؛ بجعل النجوم مصابيح بجامع الإضاءة، وبين قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: من النصوص الواضحة الدلالة، وغير مشتبهة المعنى؛ فلا يجب صرف معناها إلى غير ما هي نص فيه من: أنه تعالى خلق هذه النجوم لثلاث معتبرات: جعلها زينة للسماء، كما جعلها رجوما للشياطين، وجعلها علامات يهتدى بها؛ وأن من أعطاها حكم المتشابه، وذهب إلى تأويلها بغير ذلك؛

---

[٢]) الملك/ ٥

[١]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٦٨)

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

فجعلها من أنواع المتشابه، وليس من المحكم: فقد أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به.

[*]وفي قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[٥]قال:

بمحكم القرآن، ويقال: بمسقط النجوم إذا سقطن، ومواقع وموقع واحد[٦].

قلت : وهنا ملفت يسير: أنه في هذا الموضع لا يتكلم الإمام البخاري عن النجوم، وإنما يتكلم عن المواقع، وهما بالطبع مختلفان.

فصرف هنا معنى مواقع النجوم، إلى مواضع المحكم من مدركات التنزيل- وهو من تشبيه التمثيل-، التي يجب رد المتشابه إليها، ولكن شريطة إعمال التأويل بقواعده، وشريف ضوابطه ، من وجوب موافقة أصول الشريعة، وضرورة الاندراج تحتها، وألا يكر على أصل من أصولها بالبطلان، وغير ذلك من المعتبرات، وإلا صار التأويل باطلا محرما، فليس التأويل لكل الخلق، ولا لكل الناظرين، ولا يعتبر كل ما أتى به المؤوّلون، ومن أتى بذلك الباطل من التأويل، أو انساق لبعض المعاني جهلا منه؛ فإنه يرد عليه، ولكن لا تجري عليه كل الأحكام المتعلقة بمن كان عالما قاصدا؛ مع أن هناك من التأويلات التي تقتضي الحكم بكفر صاحبها علما فقط، أو علما وحكما وقضاء، كما أن هناك من لا يطلق حكم الكفر على من اعتمد نهج التأويل فأخطأ، ومن تطبيق ذلك:

[*] ما جاء في تقعيد التأويل واعتماد الصحيح منه: قال الإمام البخاري: باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا:

قال عمر لحاطب: إنه منافق ، فقال النبي ﷺ: "وما يدريك لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر فقال: قد غفرت لكم" [٧].

[٥] الواقعة / ٧٥

[٦] صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٤٩)

[٧] صحيح البخارى - (ج ٢٠ / ص ٢٦٤)

وفي هذا المحل قد اغتفر التأويل الخاطئ، أو عدم إصابة الحق للجهل بمدركه، وشفاعة سابق شريف العمل، التي تنفي سوء الطوية عن صاحبه.

مع اعتبار أنه يجب إعمال كل تلك الضوابط المعتبرة في قضية التأويل؛ من جهة أن الخروج عنها مهلك لا لصاحبها فقط؛ بل ربما وصل الأمر إلى إفساد شأن دولة الإسلام، فإن الوقوف والجمود أمام ظواهر التنزيل، وإهمال مدركات علوم اللغة العربية مهلكة للأمة في كثير من القضايا التي هي من مسلمات الشريعة، كما هي مهلكة للأشخاص كذلك، فقد تتوافر من الظواهر في بعض الناس، ما يتعلق بالتقوى وقراءة القرآن والصلاة، أما حقيقة بواطنهم : فهم أشر خلق الله، يتكلمون بالصلاح وقلوبهم أظلم مكونات الله، يعظون الناس بالسنة والقرآن، وهم أعداء الدين فروخ الشيطان، وروى البخاري:

• حدثني إسحق بن نصر، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن ابن أبي نعم، عن أبي سعيد الخدري قال : بعث علي وهو في اليمن إلى النبي ﷺ بذهبية في تربتها؛ فقسمها بين الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري، وبين علقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وبين زيد الخيل الطائي، ثم أحد بني نبهان؛ فتغيظت قريش والأنصار فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد، ويدعنا قال: إنما أتألفهم؛ فأقبل رجل غائر العينين، ناتئ الجبين، كث اللحية، مشرف الوجنتين، محلوق الرأس فقال يا محمد: اتق الله فقال النبي ﷺ :" فمن يطيع الله إذا عصيته؛ فيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني؛ فسأل رجل من القوم قتله - أراه خالد بن الوليد - ، فمنعه النبي ﷺ؛ فلما ولى قال النبي ﷺ : إن من ضئضئ هذا: قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان؛ لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد [٨] ".

[٨] صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٠٢)

فهاهي الظواهر السنية، والهيئات المرضية، وأبرز سمات دلائلها أن صاحبها:

كث اللحية: دلالة على استمساكهم بالظواهر المهدية، وجعلها منتهى أمرهم؛ فمن تزيا بها عندهم فهو المهتدي، ومن خالفهم فهو الضال المعتدي.

وغائر العينين: دلالة على إكثار الصيام، والزهد في الدنيا، ظانين أن الشأن قاصر على معتبرات الجسم والمادة.

ومحلوق الرأس: دلالة على الإعراض عن الكثير من شهوات الدنيا، والصبر على مجافاة أهلها، وكأن مداومته على إذهاب زينة رأسه؛ أذهبت زينة أسه: عقله ودينه.

وناتئ الجبين : دلالة على صغر العقول، وانتحار الحكمة.

يقرؤون القرآن بكثرة: إلى حد تحقير القارئ من أفاضل الأمة لنفسه عند شهوده قراءتهم وحفظهم، وكذلك الصيام، وباقي العبادات البدنية، وهو دلالة التطرف في دين الله، وكأن المراد من الدين ينحسر في شأن عبادات الأبدان، مع أن الشأن في عبادة القلوب والعقول والأرواح؛ فيكثرون: قال الله، قال الرسول، وهم أبعد الناس عن إدراك معنى ما قال الله، أو مدلول قال الرسول.

ثم هو يذهب الواحد منهم إلى الإعجاب بنفسه الردية: إلى التجرؤ على رسول الأمة الإسلامية، ورحمة الله إلى البرية، ويظن بذلك أنه تقي لا يخاف في الله لومة لائم، وهو أفجر الخلائق ذوات الأربع قوائم؛ فيذهب إلى أن يرى نفسه أهلا لأن ينصح الأعاظم من الخلق؛ فليس بعد النبي المصطفى، والشفيع المرتجى، أحد في عيونهم إلى رتبتهم يرتقي !!!

مع أنه شأن قضية الاعتقاد التي عليها المدار، ولا ينظر بعدها إن بطلت في اعتبار؛ قد أجمع السلف والخلف فيها على:

[*]تحقق عجز العبد، وقصوره عن إدراك مخلوق؛ فكيف يرقى لإدراك خالقه تعالى :

* حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ:"قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين

رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر؛ فاقرؤوا إن شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

فإذا تحقق عجز التصور البشري لمخلوق كالجنة؛ فهو حاكم بأشد من نهايات العجز عن الإدراك الإنساني؛ ففي الجنة ما لا يخطر على قلب بشر؛ فكيف بإله عظيم خلقها، وخلق ما عداها؟ فإذا تعلق التنزيل بالذات العلية: فوجب التراجع وتيقن القصور، ولزوم الأدب بقهر من أسكن الناس القبور!!!

فوجب إعمال الضوابط العامة، عند تعاطي أهل الذكر، أو المتخصصين:

بأن ينظر إلى مراي النصوص، بالنظر في علائق العموم والخصوص، والعام المخصوص، والعام الذي أريد به الخصوص، والإجمال والتبيين، والإطلاق والتقييد، والنص والظاهر، والمشكل والمفسر، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمشترك والمتواطئ، والمترادف والمشكك، وكثير من العلائق والمقدمات، والضوابط والقواعد، والمباني والمعاني.

[*]من علل التأويل التي دفعت الإمام البخاري إلى هذا المنهج :

وأن من ابتدئ تشريع منهج التأويل لآي التنزيل، وحديث الرسول ﷺ، هو رب العالمين جل جلاله، ونبيه الكريم نفسه ﷺ، ونسوق هنا ما رواه الإمام البخاري نفسه في صحيحه فقال:

[*] سيد المؤولين رسول رب العالمين ﷺ :

* حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ﷺ قال: لما نزلت ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾، قلنا يا رسول الله: أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس كما تقولون ﴿ ٱلَّذِينَ

(١) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨٥)

﴿ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾: بشرك، أو لم تسمعوا إلى قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

فكلمة ظلم كلمة عامة لكل أنواع الظلم؛ فخشي الصحابة على أنفسهم، بالوقوف عند مشهد الكلمة، التي لم ينجو من فعل ما يقع تحتها من الأفراد أحد؛ فوقعوا في هذا الخوف والوجل؛ فأتى لهم نبي الهدى ورسول التقى؛ فقال: أن المقصود بالظلم هنا: ليس عمومه؛ بل خصوصه الذي هو الشرك، وهو المخبر عنه في قوله تعالى:﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وهو كذلك من قبيل الاستعارة المكنية؛ فالظلم والإيمان لا يلبس ، وإنما يلبس الإنسان؛ فحذف المشبه به وهو الإنسان ، واستعار له لفظ اللبس ليدل عليه.

[*] الأخذ بالتأويل هو دين الصحابة ومنهجهم الأعلى طالما كان في إطار ضوابط الشريعة:

[*] فمن تأويل خليفة رسول الله أبي بكر ﷺ:

* في قوله ﷺ: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله":

* حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن عقيل، عن الزهري، أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس؛ حتى يقولوا لا إله إلا الله؛ فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه؛ إلا بحقه وحسابه على الله؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه؛ فقال عمر: فوالله

(١) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٢٦)

ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال؛ فعرفت أنه الحق . قال ابن بكير وعبد الله عن الليث عناقا وهو أصح (١).

إن أهل الردة في زمن أبي بكر انقسموا فرقتين: ففرقه: عادت إلى الكفر، وهم المذكورون في قوله " وكفر من كفر من العرب "، وفرقة: فرقت بين الصلاة، والزكاة؛ فأقرت بالصلاة دون الزكاة؛ فهؤلاء بغاة؛ غير أنهم لم يسموا بذلك لدخولهم في فريق المرتدين؛ فأضيف الاسم إلى الردة لكونها أعظم الأمرين، وأرخ مبدأ قتال البغاة بأيام علي عليه السلام؛ إذ كانوا في زمانه منفردين لم يختلطوا بالمشركين، وإنما سميناهم بغاة: لقرب العهد، وجهلهم بأمر الشرع، بخلاف ما لو سعت اليوم طائفة تجحد الزكاة؛ فإنما نسميها كافرة لا باغية؛ لأن وجوب الزكاة قد استفاض، وفي أحوال أولئك البغاة وقعت الشبهة لعمر؛ فراجع أبا بكر تعلقا بظاهر لفظ الرسول قبل أن يتأمل المعنى؛ فقال أبو بكر: إن الزكاة حق المال يفسر له قول النبي ﷺ إلا بحقه؛ فبان الدليل لعمر؛ فوافق لذلك لا بالتقليد، وهو المراد بقوله: فما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال؛ أي: فهمه ما يوجب عليه أن يقاتل (٢).

وجه التأويل :

قرر خليفة رسول الله أبو بكر في هذه الواقعة العصيبة – حرب الردة – في أحلك الأوقات وهو زمان موت النبي ﷺ، أن الإسلام لا يعني فقط النطق بالشهادتين ، وإنما يتعلق بعدم إنكار معلوم من الدين بالضرورة، وأن لا يجحد العبد شيئا مما بني الإسلام عليه من الأركان المعلومة، وأن لا يأتي بما تلزم منه الردة مما هو مسطور في مبسوطات كتب الاعتقاد .

(١) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٥٧)
(٢) كشف المشكل ج١/ص٢٥ ، صحيح مسلم - (ج ١ / ص ١٥٤) ، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة (٢ / ١٣١)

فالزكاة من أركان الإسلام الخمسة؛ من لم يؤدها بخلا لا يكفر، وإنما يكون عاصيا، أما من جحدها ومنعها، ولم يعترف بها وقال: أنها من الجبايات المطلوب إلغاؤها، وأنها إتاوة انتهى أمرها وزمنها، وجزية على المسلمين وجب رفعها، وأن التكاليف لابد في الواقع المثالي: أن تفرض فقط بغير إجبار مالي يؤدى تحت أي عنوان، وأن الدين يسر، ولا يطالب المنتسب إليه إلا بالشعائر غير المكلفة له؛ فيؤدي الصلاة وشبهها، أما الزكاة وما يشاكلها من ذوات الاعتبارات المالية: فلا يتوافق مع يسر التكاليف، وأن الأصل في مسألة الإنفاق للفقير: أنها أمر اختياري يخضع لتقدير المنفق، ولا عبرة في هذا التقدير بمصلحة الفقير، أو ما يتعلق به من الظروف والاحتياجات؛ لأن الصدقة أمر تبرعي وليس فيه إيجاب.

بما يشبه ما يتكلمون به هذه الأيام من الأفكار التي يطلقون عليها أنها تحررية، والحقيقة أنها فوضوية بالنظر إلى ما يترتب عليها من النتائج.

فينتهي به الحال إلى إنكار الدين بالكلية؛ لأنه يستقل بنفسه في قبول، أو رفض بعض شعائر الدين، ومن أعطى لنفسه حق رفض البعض: جاز له رفض الكل، بل ويحاول هذا الصنف من المغرورين في غير انقطاع: إثبات معتقدات خيالية باطلة تتجدد بتجدد أوهامه، ومحاولاته لإرضاء نفسه التي تأبى الخضوع لأي قانون، حتى ولو كان من عند الإله الحق؛ فغروره لا يسمح له بالانقياد إلا لما يرى هواه، ولأن هواه متقلب متغير: فلابد كذلك من أن لا يسمح للقانون الذي يتبعه من الاستمرار؛ فيجعل كل ما يرى ويعمل ويعتبر ويعتقد: من شأنه عدم الثبات، وتعلل دائما نظرياته بأن الحق نسبي، ولا ضير في أن يتغير هذا الحق؛ تبعا لاختلاف المصلحة التي قد تعتبر عند زيد، ولا تعتبر عند عمرو، ولا إشكال في قبول الجميع، ولا في رفض الجميع؛ فيتحول البشر إلى مجموعات همجية، من أتباع للأفكار البشرية، الموسومة بأسوأ أشكال الاضطراب؛ لا يستطيع أحد أو مجموعة أن تلزم غيرها بفكرة أو قانون، تتعايش الإنسانية بمقتضاها؛ وتصبح المثالية المزعومة هي

الغوغائية؛ إذ أنه ليس فكرة زيد بأولى من فكرة عمرو وبالعكس؛ فيفعل من أراد ما أراد: في أي زمن أراد في أي مكان أراد، وهكذا إلى الوصول إلى أوسع مراحل الفوضوية؛ فأتى الإسلام بالقضاء على هذه الصور من الانتحار الإنساني، بأداة الفكر البشري؛ القاصر بأصل خلقته: عن إدراك الحق المطلق، والمصالح المعتبرة؛ على أقصى ما يمكن تحقيقه للبشرية عموما وخصوصا على النحو التالي:

أنه يجب في المجتمع المثالي الحقاني هذا: أن لا يغفل مصالح الفقراء وهم دائما الأكثرية، وأن من حقهم أن يعيشوا في ونام مع باقي طوائف المجتمع، وأن الإنسانية متساوية الحقوق، وأنه لا اعتبار لاختلاف المستوى الاجتماعي، ولا الأسري ولا المالي ولا العرقي ولا اللغوي، ولا حتى للون معين من ألوان البشر؛ فالكل منسوب بالبنوة لآدم ﷺ، لا فرق لأحد على أحد إلا بما يحسن من صنوف الأداء الإنساني كما قال تعالى: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}؛ فإذا منعوا حقهم في العيش الكريم: كان المجتمع الذي يعيشون فيه مجتمعا ظالما،يستحق ما يقع في من صنوف العقاب وأنواع البلايا التي تحل به.

ولذلك قرر أبو بكر ﷺ المبدأ الإسلامي الساري بوجوب حرب أولئك القوم؛ لأنهم في الحقيقة مفسدون، وإن كانوا ينادون في الظاهر بالتحرر الفكر أو المالي؛ فالإسلام ما أتى لتصحيح وضع طائفة معينة، ولا لتحقيق مصالح شريحة خاصة من شرائح المجتمع، وإنما أتى لتحقيق الخير العام، والدائم لكل منشدي الحق الأسمى، وقرر أن تصور سيدنا عمر ابن الخطاب ﷺ: كان نظرا لظاهر نص من نصوص الشريعة، يؤكد حرمة دم المسلم ويفرض صيانته، ولكن اعتبار روح هذا الدين ومصالحه العليا مع عدم قطع النظر إلى هذا النص، وإنما بالنظر معه إلى غيره من النصوص، القاضية بما هو أعلى منه تحقيقا للمصالح القطعية؛ هي التي شرح الله بها صدر أبي بكر لها أي: أفهمه إياها فانقاد له سيدنا عمر ﷺ والمسلمون على الفور فكان إجماعا لعدم إنكار أحد من الصحابة، وفي هذه الحادثة أمور منها:

منها: أن النصوص متكاثرة وأنه قد يقع هناك عدم إدراك المراد للبعض منها؛ - باعتبار الهيئة الحاصلة بالنظر إلى مجموع النصوص - بسبب الوقوف عند ظاهر البعض منها، دون النظر إلى باقي النصوص، أو بسبب بطء النظر في بحث القرائن الدافعة إلى القول بخلاف مقتضاها، وفي هذا إقرار بوجود صنفي المحكم والمتشابه علما وعملا، وأن لعلم ذلك أهله من المتخصصين، وليس ذلك متحقق عند عموم الناس، وليس في العمل بذلك تقليل لشأن أحد، أو حجر على أحد، ولكنه أمر تخصصي كتخصص الأطباء فيما ليس للمهندسين، وبالعكس، وهكذا، ومن فوائد حادثة الإجماع هذه كذلك:

أنه تقرر بهذا الإجماع: الإجماع على صحة مذهب التأويل للنص المشكل مع الحدث، أو مع التصور لظاهر النص، وأنه يجب على من لم يتمكن من التأويل أن يصير إلى مذهب من قال الله فيهم: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾.

ومنها: أن النصوص الشرعية لا يكتفى في فهمها بالعموم الذي عليه أغلب الفهوم، ولا بما تبادر إلى الفهم من النص، وإلا لكفى في ذلك ما ذهب إليه العموم وعلى رأسهم سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ.

ومنها: أنه لا يقلل من شأن أحد أن لا يقع منه إحسان الفهم بالتأويل للنصوص، وإنما الإشكال في الإصرار على غير الصواب الموقع في الإثم، وخصوصا فيما وقع النص من أهل العلم على اعتبار تأويله، إذ أنه بالإصرار على ما يخالف ما ذهب إليه عموم أهل السنة يوقع في الخروج عنهم كما وقع لكثير من طوائف الإسلام التي هي أهل قبلة لا أهل سنة؛ نظرا لخروجهم عما اعتمدوه من مستقيم التأويل.

ومنها: أن الضوابط العامة لشريعة الهدى القويم قد استقرت، وأن المبادئ العليا لدين الإسلام في شأن الاعتقاد قد دونت، ولا يجوز لأحد استحداث ما يخالفها؛ وإنما له فقط السير في ضوئها، والاهتداء بهديها، والحمد لله منزلها، ومفصل أمرها، وحافظ شأنها.

[*] من تأويل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ:

• في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾:

• حدثنا إبراهيم، أخبرنا هشام، عن ابن جريج، سمعت عبد الله بن أبي مليكة يحدث، عن ابن عباس قال: سمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث، عن عبيد بن عمير قال: قال عمر ﷺ يوما لأصحاب النبي ﷺ: فيم ترون هذه الآية نزلت ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا الله أعلم؛ فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم؛ فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل، ثم بعث الله له الشيطان؛ فعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله (٣).

وجه الدلالة:

قلت: هذا نص آخر من أدلة الإجماع على وجود التأويل من الصحابة، وطلبهم إياه، وحرصهم عليه، وثناؤهم على من أحسن تعاطيه، وتدارك مراميه، في هذا المحل من تشبيه التمثيل؛ فهنا يطلب سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ من الصحابة أصحاب مجلسه، ولا يقوى على مجالسة عمر ﷺ بسطاء الناس، ومن في دينه زيغ؛ بل الأكابر ﷺ؛ فطلب سيدنا عمر ﷺ منهم أن يدلوا بدلوهم في التأويل لظاهر الآية، مع أنه يعلم تأويلها، ولكنه يريد أن يسمع من الصحابة؛ حتى يتأكد من أنهم قادرون على الفهم عن الله رب العالمين، وهذا بدليل أنه ﷺ طلب من سيدنا عبدالله بن عباس ﷺ أن يدلي بدلوه، مع أنه صغير يحقر نفسه أمام هؤلاء الكبار

(٣) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٥٠)، المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص - (ج ٣ / ص ٦٢٥)

من الصحابة؛ فبدأ ﷺ يتكلم فأفصح أن المراد في الآية ليس ظاهرها، وإنما هو عمل العبد، وهنا لم يدعه سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ يكمل ما بدأه من التأويل الصحيح ؛ فقام هو ﷺ بتكملة التأويل؛ ليعلم أنه أهل لذلك، ولم يسأل عنه لجهل يريد إزاحته، وإنما ليقرر المبدأ، وليحقق إعماله حتى يضمن للأمة وجوب تحصيل وضبط ملكة الإستنباط، وترسيخ القواعد الكبرى في فهم نصوص الشريعة، وزجرهم عن الوقوف أمام ظاهر النصوص بغير الحركة الفكرية، والعلمية؛ ﷺ من خليفة، وإمام للمسلمين، وتقبل منه ما أصَّل لعلماء هذا الدين وأسس، وفي هذه الآية مع كون المتعلق هو بستان من البساتين لرجل كبر سنه ورق عظمه، وله أولاد صغار، ثم طرأ حريق على البستان أضاع كل خير كان فيه في أشد ما يكون من احتياج الرجل له؛ فسأل سيدنا عمر عن الذي نزلت الآية من أجل إعلامه؛ فكانت الآية بمنطوقها لها شأن، وبمفهومها والمراد من تنزيلها شأن آخر، ولكن الفهم عن المولى الحكيم له أهل يسمون بأهل الذكر، وليس لكل مدعي من ذلك نصيب؛ وإنما يشترط فيه شروط كثيرة، وأهمها توافق ما ذهب إليه مع ما ذهب إليه الصحابة والأئمة، وفي ظل القواعد المعتبرة عن أهل هذا العلم ؛ فهم أهل الله، ولا يحرم منهم إلا من كان في قلبه زيغ.

كما أن بيان الإمام البخاري ﷺ معلوم، ومتبادر إلى الذهن، عند العرب، وعلماء المسلمين، وهذا يفيد إشارته ﷺ إلى :

توقعه توارد أناس من أمة الإسلام، لا يحسنون اللغة العربية، وابتعدوا عن العلم وأهله، وأنهم سيقفون عند ظواهر الألفاظ، ولن يدركوا ما وراءها من المعاني؛ فيأخذون بهذه الظواهر، ويتعلقون بباطل فهمهم لها، ويدعون الناس إلى تلك الأباطيل، وربما ينساق ورائهم دهماء الخلق؛ فتصير فتنة، فكان منه ﷺ، التنصيص على مثل تلك التأويلات، درءا للشبهة، وتقعيدا لبعض قواعد العلم القويم، وسد لذريعة إيجاد جيل يعادي الإسلام باسم الإسلام، ويحطم الدين بظواهر آيات الدين، وكأنه كان يعلم ما سيؤول إليه أمرنا، وإلى أي مدى ستنحدر أفهام عموم أمتنا.

[*]من تأويل حبر القرآن وترجمان أمة الإسلام عبد الله بن عباس ﷺ:

- في قوله تعالى ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾: قال ابن عباس: أرني: أعطني ([1]).

وجه الدلالة :

قلت : قد علم عند أهل العربية أن كلمة أنظر تعني التفكر، أما إذا تعدت إلى الخارج فإنه يختلف معناها؛ فإن تعدت بإلى كانت بمعنى الرؤية، وهي محل الكلام هنا، وإذا ما كان الأمر كذلك؛ فإن فيه تكرير بالمعنى في نفس العبارة، وفي نفس الموضع، وهو غير مستقيم فإنه لا يصح أن يقول تعالى: قال موسى ﷺ: رب أرني أراك، والتكرير بغير غاية متحققة في موضعها عبث تنزه عنه ربنا تبارك وتعالى، ومن نسب العبث لرب الأكوان جل شأنه فقد كفر، ولذلك قال عبد الله بن عباس ﷺ أن المعنى هنا لكلمة أرني: هو بمعنى المعاطاة؛ فتكون الصياغة على معنى أعطني أنظر إليك، وهو دليل عظيم على طلب الرؤية البصرية، وقد كان موسى ﷺ عالما بما يجوز طلبه، وما يستحيل، فهو دليل على جواز وقوع الرؤية البصرية في الدنيا، وطلبها موسى ﷺ وأتحف بها النبي ﷺ في معراجه الشريف .

ولم يأت ﷺ بلغة خاصة من عنده بل هذا هو قول العرب، ولذلك أتى في كتاب العين، واللسان وغيرهما:

تقول : أرني يا فلان ثوبك لأراه فإذا استعطيته شيئا ليعطيكه لم يقولوا إلا أرنا بسكون الراء يجعلونه سواء في الجمع ، والواحد ، والذكر ، والأنثى كأنها عندهم كلمة وضعت للمعاطاة خاصة ([2]) .

---

[1]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩٩)

[2]) كتاب العين - (ج ٨ / ص ٣١٠) ، كتاب الكليات ـ لأبي البقاء الكفوى - (ج ١ / ص ١٠١) ، لسان العرب - (ج ١٤ / ص ٢٨) ، تاج العروس من جواهر القاموس - ث - (ج ٣٩ / ص ٦٥)

• في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ قال البخاري:

قال ابن عباس ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾: لولا أن يجعل الناس كلهم كفارا؛ لجعلت لبيوت الكفار ﴿ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ من فضة، وهي درج وسرر فضة ([16]).

وجه الدلالة:

قلت: قد جاءت كلمة أمة منكرة عن التعريف وهي تفيد العموم في اللغة، وعند الاكتفاء بدلالتها في العبارة لا تفي بمعنى محدد؛ حيث لم يتحدد نوع هذه الأمة؛ فيما إذا كانت من المسلمين، أو من الكافرين؛ فجاء حبر الأمة فأزال تنكير لفظ الأمة بذكر المضاف إليه المحذوف، وهو كلمة كفارا التي حذفت، وأقيم المضاف مقامها، وهو من الحذف المجازي المشهور عند أهل اللغة؛ وما ذلك منه إلا لعلمه بما سيصل إليه حال المتأخرين من أمة النبي الأعظم، صلوات ربي وسلامه عليه الأفخم، وهو أنه لولا رحمة الله بعباده المؤمنين، وعدم إرادته ليتحول عوامهم وضعافهم كفارا؛ لجعل لمن يكفر به سبحانه: غاية التنعم في الدنيا، ومنتهى الرغد، والترف، وهذا لاعتبارات كثيرة: منها: نيل حظهم في الدنيا فيرجعون إلى ربهم بلا حظ، ومنها: ابتلاء صالحي وأكابر المؤمنين، وإنما منع من ذلك الفعل: أنه سيكون سببا لتحول الكثير من عوام المؤمنين، وبعض الصالحين الذي سيشك في دينه وأمره؛ فيستدل على صحة الباطل بالتأييد المادي والنعيم الفاني، وهذا يفيد في النهاية: الإشارة إلى وجوب عدم الاغترار بما في أيدي الكفار من ألوان النعيم، وأنه من الدنيا الملعونة، والتي لو ساوت عنده تعالى جناح بعوضة؛ لما سقى كافر منها شربة ماء، كل هذه المعاني العظام جاءت: من لفظة أولانا بها ترجمان القرآن ﷺ.

[16]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٩)

• في قوله تعالى: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ :

قال ابن عباس: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون، ولا يبصرون ﴿ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني قوله: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾: الكفار يومئذ أسمع شيء، وأبصره ([17]).

وجه الدلالة:

قلت: واضح من تعبير حبر الأمة ﷺ أن الكفار اليوم لا يسمعون،ولا يبصرون: سماع، وإبصار حقائق الأمور على ما هي عليه؛ لأنهم في ضلال مبين، أما يوم القيامة فسيكونون أسمع شيء، وأبصره.

أما أن يفهم أحد أن الكفار اليوم لا يسمعون مطلقا بمعنى أنهم صم، أو أنهم لا يبصرون حقيقة اليوم بمعنى أنهم الآن عميان؛ فهذا من الضلال المبين، إذ أننا نراهم اليوم على مرأى منا يسمعون، ويبصرون؛ فكان الأمر مقيد بالسمع ، والبصر المتعلقين بالحقائق، وإدراك المعاني، ولا يعم كل سمع، وبصر، وهو كقوله تعالى ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾، والحمد لله رب الأكوان .

• في قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ ﴾:

﴿ رِدْءًا ﴾ معينا، قال ابن عباس: لكي ﴿ يُصَدِّقُنِيٓ ﴾ ([18]).

وجه الدلالة:

قلت: ظاهر اللغة لا يستقيم معه أن يقال أن الردء يصدق ؛ فإن التصديق من شأن النفوس المتحركة بالإرادة، ولما كان ذلك خلاف الظاهر؛ فاقتضى التأويل ، وهو تشبيه بليغ من الحال المدعو به ؛ فقال عبد الله بن العباس ﷺ: أن معناها على تقدير المحذوف، وهو كلمة لكي، والحذف من أعظم أبواب المجاز، ثم انظر إلى عبارة

[17]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٥٩)
[18]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٨)

أرسله معي رداً؛ فإن نبي الله موسى ﷺ كان يريد معينا يؤازره في الرسالة ليتم التصديق، أما العبارة التي أتت فكانت على وصف نبي الله هارون ﷺ بالردء،وهو أيضا من باب المجاز بالاستعارة في التعبير عن الشئ بما يصح أن يكون من فعله، وتسمية الشئ باسم مفعوله، والحمد لله رب العالمين .

- في قوله تعالى : ﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾([19]) :

قال ابن عباس: ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ كأنكم ([20]).

وجه الدلالة :

قلت : لم يكن مقصود قوم عاد أنهم يرجون من بنائهم المصانع أن يخلدوا في الدنيا؛ فقد كانوا دهريين يعلمون، كما يعلم كل من وجد على ظهر الأرض أنه على زوال وفناء؛ وإنما الذي كان من فعلهم هو المبالغة في التقنية الزائدة إلى حد اشتباه فعلهم بمصانعهم بمن يبني بناء سيخلد فيه، وكأن فعلهم فعل من لن يموت، وليس كتب عليه الفناء؛ فكان تشبيه، مع أن ليس ظاهر الحال منهم يقتضي ذلك؛ ولذلك استحق التأويل فكان سيدنا من عبد الله بن عباس ﷺ القول بأن معنى لعلكم هو كأنكم، وهو منه ﷺ تأسيسا للفهم عن رب العالمين.

*في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾([21]) :

قال ابن عباس ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ معذرتهم([22]).

وجه الدلالة:

قلت: أوردنا في غير هذا الموضع أن الفتنة تأتي بمعنى البلاء، والاختبار، والعذاب، وكان هذا هو الظاهر، أما في هذا الموضع فقد أتى سيدنا عبد الله بن

[19]) سورة الشعراء /١٢٩
[20]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٥)
[21]) سورة الأنعام آية /٢٣
[22]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩١)

العباس ﷺ أنها بمعنى المعذرة، ومخالفته للظاهر غير متوارية؛ فكان تأويلا منه لها ﷺ، وما ذلك إلا لاعتبار أن اختبارهم في ذلك الموطن ليس له محل، كما أن العذاب لما يقع عليهم، وأنه عند رؤية المشركون سعة رحمة الله بمن آمن به، وواسع فضله وعفوه؛ أطمعهم في الاعتذار طلبا للعفو، وكان من اعتذارهم حلفهم أنهم ما كانوا مشركين؛ فكان مما هو متداول عند من أراد الاعتذار، ولم يجد له ما يسوغه لوضوح انعدام سببه؛ أن يجحد ارتكابه لإجرامه؛ فيكون العجز عن الاعتذار اعتذار؛ بطريق النفي لما أتى كفاحا في وجه من تيقن وقوع السوء في حقه .

- في قوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾:

وقال ابن عباس: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ لحق ([23]).

وجه الدلالة :

قلت : ظاهر الفصل هو العزل بين مادة، ومادة، أو بين معنى ومعنى، أما حبر الأمة، بما روى عنه الإمام البخاري؛ فقد قرر أنه بمعنى أنه وصف للقول بأنه الحق، وهو فيه من معنى أن الحق فاصل بنفسه بين متعلقاته وبين الباطل؛ مع أن الحق ليس له تصرف من ذاته؛ فهو معنى يوصف به غيره؛ فكان مجازا مرسلا علاقته السببية، ولكنها بلاغة ترجمان القرآن، وهو الحق نظرا لما فيه من عظيم الوصف، ونور التأييد العلي؛ فيكون على الباطل معتلي، بل يجعله خانسا من الحق مختبي، والله تعالى عظيم الإمداد بالعز المنجلي .

[*]في قوله تعالى:﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾([24]) قال:

قال مجاهد ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ هي وعيد ([25]).

فالظاهر أنها تخيير، وإباحة، وحقيقتها تهديد ووعيد من الله للعبيد.

[23]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٥)
[24]) فصلت /٤٠
[25]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٤)

[*] فحش الجمود عند ظواهر التنزيل دون اعتبار قواعده :

• في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾[٢٦] :

• حدثني إبراهيم بن الحارث[٢٧]، حدثنا بن أبي بكير[٢٨]، حدثنا إسرائيل [٢٩]، عن أبي حصين[٣٠]، عن ابن عباس ﷺ قال:

[٢٦]) (الحج : ١١)

[٢٧]) [*] إبراهيم بن الحارث بن إسماعيل أبو إسحاق البغدادي سكن نيسابور : الحافظ، الثقة، أبو إسحاق البغدادي، نزيل نيسابور، من شيوخ البخاري. سير أعلام النبلاء (٢٥ / ١٦) ، التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح (١ / ٣٤٥) ، تهذيب التهذيب (١ / ٩٧) .

[٢٨]) [يحي بن أبي بكير القاضي الحافظ الثقة أبو زكريا العبدي الكوفي ثم البغدادي قاضي كرمان : قال أحمد : كان كيسا ، وقال حرب بن إسماعيل سمعت أحمد يثني عليه ، وقال عثمان الداري عن ابن معين : ثقة ، وقال العجلي : كوفي ثقة ، وقال أبو حاتم صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات تذكرة الحفاظ ١ / ٢٨٢ ، تهذيب الكمال: ١٤٩١/٣، تقريب التهذيب: ٣٤٤/٢. الجرح و التعديل: ٩/ص١٣٢. العبر: ٣٩٧/١، ٣٥٦. رجال الصحيحين: ٢١٩٩. تراجم الأحبار: ٢٨٦/٤. معرفة الثقات: ١٩٦٣. ثقات: ٢٥٧/٩ ، تهذيب التهذيب ١١ / ١٦٧

[٢٩]) [*] إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي أبو يوسف الكوفي :
كان إماما حافظا حجة صالحا خاشعا من أوعية العلم ولا عبرة بقول من ليّنه فقد احتج به الشيخان، قال حرب عن احمد بن حنبل كان شيخنا ثقة وجعل يتعجب من حفظه ، قال يحي بن معين: إسرائيل ثقة. قال علي بن المديني قال يحي بن سعيد: إسرائيل فوق أبي بكر بن عياش ، وقال العجلي كوفي ثقة وقال يعقوب بن شيبة صالح الحديث وفي حديثه لين وقال في موضع آخر ثقة صدوق وليس في الحديث بالقوي ولا بالساقط.
تذكرة الحفاظ ١ / ١٥٨ ، تهذيب الكمال: ٩٢/١. تهذيب التهذيب: ٢٦١/١. تقريب التهذيب: ٦٤/١. خلاصة تهذيب الكمال: ٨٠/١. الكاشف: ١١٦/١. تعجيل الثقات: ٧٩/٦ ، الجرح والتعديل: ٣٣٠/٢. ميزان الاعتدال: ٢٠٨/١. لسان الميزان: ١٧٦/٧، طبقات ابن سعد: ٢٦٠/٦.

[٣٠]) [*] أبي حصين عثمان بن عاصم ويقال زيد بن كثير بن زيد بن مرة الأسدي :
وثقه : عبد الرحمن بن مهدي والإمام أحمد والعجلي كان ثقة ثبتا ، وقال ابن معين ، وأبو حاتم ، ويعقوب بن شيبة ، والنسائي ، وابن خراش : ثقة ، وقال يعقوب بن سفيان ثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن أبي حصين اسدي شريف ثقة ثقة كوفي طبقات ابن سعد : ٦ / ٣٢١ ، وثقات العجلي ، الورقة ٣٧ ، والجرح والتعديل : ٦ / الترجمة ٨٨٣ ، وثقات ابن حبان : ٧ / ٢٠٠ ، وثقات ابن شاهين ، الترجمة ٧٣٨، وتهذيب التهذيب : ٧ / ١٢٦ - ١٢٧.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاما، ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته، ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء ([٣١]).

• حدثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾([٣٢]) إلى قوله ﴿ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ ﴾ قال: الفتنة البلاء كان أحدهم إذا قدم المدينة، وهي أرض وبيئة ؛ فإن صح بها جسمه، ونتجت فرسه مهرا حسنا، وولدت امرأته غلاما، ورضي به، واطمأن إليه قال: ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، وتأخرت عنه الصدقة؛ أتاه الشيطان فقال: والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا، وذلك الفتنة ([٣٣]).

وجه الدلالة :

قلت: لا يتصور الإنسان أن هناك عبادة على حرف حسي من جهة الظاهر؛ يستتبع خسران الدنيا والآخرة؛ بل هو مجاز مرسل علاقته المحلية؛ فأتى حبر الأمة ليعلم الناس أن المراد بذلك هو فتنة المنع، والعطاء؛ فإذا أعطي أحدهم خيرا فرح، ومدح، وإن أصابته ضراء انقلب على وجهه مكتئبا ساخطا على أمره، وعطائه، وجعل يتشكك في سائر شأنه قد خسر الدنيا، والآخرة، وفي ذلك محض الفتنة في العبودية لصاحب العطاء، والمنع تعالى قدره الذي جعل مقصد خلق الإنسان ألا يركن لا لمنع، ولا لعطاء؛ وإنما الركون لا يجوز إلا إلى الله عز وجل .

[٣١]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٨)

[٣٢]) (الحج : ١١)

[٣٣]) تفسير الطبري - (ج ٩ / ص ١١٥)

- تقريره بوقوع النسخ للقرآن والسنة:
- في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾:

• حدثنا سعد بن حفص[٣١]، حدثنا شيبان[٣٥]، عن منصور[٣٦]، عن سعيد بن جبير[٣٧]، قال: قال ابن أبزى[٣٨]: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ

[٣١] [*]سعد بن حفص الطلحي، أبو محمد، الكوفي، المعروف بالضخم، مولى آل طلحة بن عبيد الله.
ذكره ابن حبان في كتاب "الثقات"، وقال مطين: مات سنة خمس عشرة ومئتين، وكان ثقة.
تاريخ البخاري الكبير: ٤ / الترجمة ١٩٤٢، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٤ / الترجمة ٣٥٦، وثقات ابن حبان: ١ / الورقة ١٥٢، وتذهيب التهذيب: ٢ / الورقة ٨، والكاشف: ١ / الترجمة ١٨٤٣، وتهذيب ابن حجر: ٣ / ٤٦٨.

[٣٥] شيبان بن عبد الرحمن الإمام الحافظ الحجة أبو معاوية التميمي مولاهم النحوي:
وثقه يحيى بن معين وغيره. وقال ابن حنبل: هو ثبت في كل المشايخ. قال يعقوب السدوسي: كان صاحب حروف وقراءات مشهورا بذلك. قلت: تحتمل عن عاصم أحد القراء السبعة رحمة الله عليهم.
تذكرة الحفاظ ١ / ١٦٠، تهذيب التهذيب: ٤/٣٧٣. تقريب التهذيب: ٤/١٦، ميزان الاعتدال: ٢/٢٨٥. لسان الميزان: ٧/٢٤٤. الجرح والتعديل: ٤/ص٣٥٥. الثقات: ٦/٤٤٩. طبقات ابن سعد: ٧/٣٢٢، ٣٣٨. الوافي بالوفيات: ١٦/٢٠٠. سير الأعلام: ٧/٤٠٦.

[٣٦] [*] منصور بن المعتمر الإمام الحافظ الحجة أبو عتاب منصور السلمي الكوفي:
قال ابن مهدي لم يكن بالكوفة أحد أحفظ من منصور، قال أحمد العجلي: كان منصور أثبت أهل الكوفة، لا يختلف فيه أحد، قال داود كان منصور لا يروي إلا عن ثقة، ووثقه الأعمش، ويحيى بن معين، والثوري، وقال عبد الله ابن أحمد سألت أبي من أثبت الناس قال الحكم ثم منصور، وقال يحيى بن معين وأبي حاضر يقول إذا اجتمع منصور والاعمش فقدم منصور، وعلي بن المديني، وأبو زرعة، وقال ابن أبي حاتم سألت أبي عن منصور فقال ثقة. وقال العجلي كوفي ثقة ثبت في الحديث كان أثبت أهل الكوفة.
تذكرة الحفاظ ١ / ١٠٧، تهذيب التهذيب: ١٠/٣١٢ "٥٤٦". تقريب التهذيب: ٢/٢٧٦، ٢٧٧. خلاصة تهذيب الكمال: ٣/٥٨. الكاشف: ٣/١٧٧، الجرح والتعديل: ٨/٧٧٨. تاريخ الإسلام: ٥/٣٠٥. تاريخ الثقات: ٤٤٠. ثقات: ٧/٤٧٣. طبقات الحفاظ: ٥٩. الحلية: ٥/٤٠. سير الأعلام: ٥/٤٠٢.

[٣٧] [*] سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي، مولاهم، أبو محمد:
قال أبو قاسم الطبري هو ثقة إمام حجة على المسلمين، وقال ابن حبان في الثقات كان فقيها عابدا فاضلا ورعا، وقال علي ابن المديني قال يحيى بن سعيد مرسلات سعيد بن جبير أحب إلي من مرسلات عطاء ومجاهد وكان سفيان يقدم سعيدا على ابراهيم في العلم وكان أعلم من مجاهد

مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾. وقوله ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾. فسألته فقال: لما نزلت قال أهل مكة: فقد عدلنا بالله، وقتلنا النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأتينا الفواحش فأنزل الله ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ - إلى قوله - ﴿ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (٣٩).

- في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾:

حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة: أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي: فقال: هذه مكية نسختها آية مدنية التي في سورة النساء (٤٠).

وجه الدلالة:

قلت: هذا النص من علم الناسخ، والمنسوخ، ومن لم يعلم به فليس له في العلم أن يتكلم؛ بل إن كلامه، وإعتقاده بظاهر المنسوخ يضل به نفسه، ويضل به من اتبعه، ولذلك قال عبد الله بن عباس ﷺ في هذه الآية أن ظن الصحابة ﷺ في معنى آية: ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ والآيات التي تليها: أنها تتعلق بإنزال الوعيد الشديد على من فعل تلك الجرائم، ثم بعد علمهم رضي الله عنهم كما أخبر عبد الله بن عباس ﷺ قد انزاح عنهم غم عدم المغفرة، وانشرحت صدورهم، وصدور من فعل هذه الكبائر ثم أراد أن يتوب؛ فضلا من الله العظيم الغفور.

وطاووس. طبقات ابن سعد: ٦ / ٢٥٦، وثقات العجلي، الورقة ١٨، والجرح والتعديل: ٤ / الترجمة ٢٩، وثقات ابن حبان: ١ / الورقة ١٥٥، ووفيات ابن زبر، الورقة ٢٧، وثقات ابن شاهين، الترجمة ٤٤١، وسير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٢١، والكاشف: ١ / الترجمة ١٨٨٠، وتذكرة الحفاظ: ١ / ٧٦، وتهذيب ابن حجر: ٤ / ١١.

[٣٨] سقت ترجمته.

[٣٩])صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٥)

[٤٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٤)

الفصل الثاني
أنواع وصنوف التأويل

قد أنكر قوم التأويل لآي التنزيل، وشريف الحديث، حتى أنكروا وقوع المجاز فيهما كلية، ووصفوا التأويل بأنه تعطيل، وحكموا على متعاطيه بأنه أكفر من اليهود والنصارى، رغم أن التأويل وارد عن رب العزة جل جلاله، ومسنون عن النبي الأكرم عليه أفخم صلواته وتسليماته، ومأثور عن الصحابة الكرام، والأئمة العظام، ولنا فيما ورد عن الجميع مصنفات في التأويل، مع أن أصول التأويل متعلق بالمجاز من اللغة، وهو عبارة عن صرف المعنى الظاهر، إلى معنى خفي بسبب دليل، وقرينة توجب إرادة هذا المعنى، أو تحيل ظاهر معنى النص، وفي خصوص رسالة شيخ الإسلام البخاري الإمام في الحديث، فإننا نثبت قيامه بهذا المذهب السني، ونأتي من تأويلاته بصنوف ومناحي، وطرائق منه عوالي، والحمد لله مقيم الأرض بجبال العلم الرواسي، ومنها:

[**] تأويل الأشياء بأضدادها:

من أنواع التأويل الوارد على ظواهر الألفاظ: ما يكون بضد ما يتبادر إلى الذهن من المعاني، وهو متكاثر في القرآن والسنة، وهو مشهور في اللغة ومن هذا القبيل:

[*] قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾(١):

قال الإمام البخاري: أي أقسم(٢).

وهذا من تأويل النفي على معنى الثبوت؛ فالظاهر النفي عن تعاطي اليمين والقسم، وجاء تأويل الإمام البخاري ﵀: أنه على معنى الإثبات للقسم، وليس على إرادة النفي.

(١) البلد ١
(٢) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٢٨)

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com
www.darultahqiq.com

[*]قوله تعالى: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ ﴾([43])
قال الإمام البخاري: قدامه ([44]).

وكذلك من هذا النوع: إطلاق ما هو في موضع الاستدبار، وفي جهة الخلف من الأسماء والمعاني، على ما هو في موضع المواجهة؛ فجعل معنى كلمة وراء إلى معنى ما هو أمام.

[*]في قوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ﴾([45]) : قال الإمام البخاري: أفلم يتبين ([46]).

فاليأس معنى مظلم، يتعلق بعدم الرجاء في الشئ؛ فهو أخو الموت، وقد جعله الإمام على معنى الوضوح والبيان، اللذان هما بالحياة متعلقان، وفيه معنى النور الذي هو ضد الظلام.

[*] في قوله تعالى :﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾([47]): قال الإمام البخاري: ليعلم أهل الكتاب ([48]).

وهنا أيضا اللام للتعليل، وحذفت النون من أن، وأتبعت بلا النافية؛ فكان المعنى المتوارد هو : لكي لا يعلم، فجاء تأويل الإمام البخاري: أن اللفظة جاءت على معنى الإثبات للعلم، وليست لنفيه، وهو من التأويل للظواهر من الألفاظ بما يضاد منطوقها، وهو سائغ في اللغة ومشهور.

[**]تأويل المادي بالمعنوي :

[*]في قوله تعالى :﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ([49]) :

---

[43]) إبراهيم / ١٦
[44]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٣٣)
[45]) الرعد /٣١
[46]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٣٢)
[47]) الحديد/ ٢٩
[48]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٥١)
[49]) الحديد / ٩

قال الإمام البخاري: من الضلالة إلى الهدى ([50]).

وهذا من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ؛ فقد شبه الظلمات بالضلال ، والنور بالهدى ؛ بجامع المشابهة، وقد أثبت العلم وأقر العلماء بأن النور جسم، ويتعلق حديثا بما يسمى الفوتونات، وأن الظلام هو سلب تلك الفوتونات، وهي أمور حسية تراها العيون، وتشعر بها الأجسام عند زيادتها؛ فتتحول إلى طاقة قد تحرق ما حولها من ضعيف المكونات، وفي هذا الموضع جعلها الإمام البخاري من أنواع المعنويات، من ألوان الهدى والضلال، المتعلقة بقلوب إما المؤمنين، وإما الكافرين.

[*]في قوله تعالى :﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾([51]) :

قال الإمام البخاري: يقول: لم تلتفتوا إليه، ويقال إذا لم يقض الرجل حاجته: ظهرت بحاجتي، وجعلتني ظهريا ([52]).

قلت : وظاهر قوله هذا يفيد أن الكفار قد اتخذوا ربهم في مواجهة ظهورهم، حتى يتمكنوا من عدم النظر إليه، وحقيقة هذا الأمر لم يك؛ وإنما هو كناية عن جعله في موضع عدم الاهتمام إليه؛ فكان هذا تأويلا بالحذف وهو : جعل أمره لا يستحق التقدير ولا حتى التفكير؛ فجعلوه في غير المعتبرات، من حيث استحالة جعل ربهم بهذا الموضع، وإنما جعلوا أمره تعالى في غير دائرة التقدير ، وهذا الأخير هو أمر معنوي، وليس حسي بمتعلق مواجهة ظهر الإنسان؛ فكان من تأويل المادي بالمعنوي.

[*]في قوله تعالى: ﴿ فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾([53]) :

قال الإمام البخاري: هذا مثل كفوا عما أمروا به ([54]).

---

[50]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٥١)
[51]) هود/ ٩٢
[52]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٢٤)
[53]) إبراهيم / ٩
[54]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٣٣)

Courtesy of Darul Tahqiq

قلت : وهذا من المجاز المرسل لعلاقة المحلية؛ لأن اليد ترد على الفم، وليس فيه ؛ فرد الأيدي في الأفواه غير متصور الوقوع، من جعل مادة اليد ترد إلى جوف جسم الفم، فكان في الأمر محال عادي وطبيعي، وأتى الإمام البخاري بتأويل هذا المحال، إلى أنه معنوي لا مادي، وأنه على معنى ترك المأمور، وكأنهم لم يسمعوا شيئا منه؛ وردوا اليد عنه، ولم يبسطوها إليه بالإعمال لمتعلق ما أمروا به.

[*]في قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[٥٥] :

قال أبو العالية: ﴿مَّرَضٌ﴾: شك [٥٦].

وهو هنا واضح من جعل المرض وهو اضطراب في أداء ووظيفة عضو من أعضاء البدن، وأتى أبو العالية ﷺ فيما روى عنه الإمام البخاري ﷺ بتأويله على معنى الشك، والشك أمر معنوي يتعلق بتصورات وشبهات عقدية أو عقلية، وقد ساغ ذلك عندما تعلق بالخبر عن وقوعه بالقلب، وتعتبر هي قرينة التأويل.

[*]في قوله تعالى :﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾[٥٧] :

قال الإمام البخاري: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ عن حجتي، ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ في الدنيا[٥٨].

الأصل في حقيقة العمى هو انطماس البصر، وتحول العين بإصابة أحد ركائز الرؤية فيها من القرنية، أو الشبكية، أو الجسم الزجاجي، أو غيره؛ بحيث تنعدم الرؤية؛ فيوصف صاحبها بالعمى؛ فكان تشبيها بليغا، ولذلك الإمام البخاري رحمه الله في هذا الموضع من التنزيل قد أتى بالتأويل بصرف الفكر عن العمى الحسي،

[٥٥]) البقرة / ١٠
[٥٦]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٢٤)
[٥٧]) طه / ١٢٥
[٥٨]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٢)

والذي قد احتج به الكافر يوم القيامة، إلى الشأن المعنوي، وهو العمى عن الحجة والبرهان المتعلق بحقية ما عرض عليه من قضية الدين القويم؛ فكان من تأويل المادي بالمعنوي.

[*]قال مجاهد ﴿بِقُوَّةٍ﴾[٥٩]، يعمل بما فيه [٦٠].

روى الإمام البخاري، عن التابعي العلي الإمام مجاهد: أنه لا يراد في هذا الموضع بالقوة حقيقة تتعلق بالأجساد والبنية العضلية، وإنما المراد هو قوة العمل المتعلق بشريعة ما أنزل الله العظيم.

[*]في قوله تعالى ﴿ذُوقُوا﴾[٦١] :

قال الإمام البخاري: باشروا وجربوا، وليس هذا من ذوق الفم [٦٢].

قلت: قد نفى هنا الإمام البخاري ﷺ الذوق الحسي للفم، من أنواع المطاعم والمشارب نصا؛ وهو في البلاغة من نوع تجسيم المعاني كالذي قبله، وقعد التأويل لهذه الحسيات وصرفها إلى الشأن المعنوي، بمتعلق الخوض في مباشرة التجربة.

[*]في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ ﴾[٦٣]:

قال الإمام البخاري: كل من ندم فقد سقط في يده [٦٤].

كما أن الأصل في السقوط متعلق بوقوع شئ من مكان مرتفع إلى آخر خفيض، وهنا يؤول الإمام البخاري السقوط بالندم، وهو من نوع الكناية، حسب متعلقات اللغة التي جعلت فنونها شواهدا على المعاني، كما قال عمر بن الخطاب ﷺ، وابن عباس ﷺ عن الشعر: إنه ديوان العرب، على معنى التأصيل التاريخي للغة العرب.

[٥٩]) البقرة/ ٦٣
[٦٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٢٤)
[٦١]) السجدة / ٣٠
[٦٢]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٠٣)
[٦٣]) الأعراف / ١٤٩
[٦٤]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩٧)

[**]تأويل المعنوي بالمادي :

[*]تأويل ما جاء في صفة الكبرياء :

قال الإمام البخاري: ﴿ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾[٦٥] : الملك[٦٦].

الكبرياء صفة نفسية تتعلق بالذات الحية، وفي هذا المحل كذلك تتعلق بالله رب العالمين، وجاء الإمام البخاري بتأويلها وصرف معناها إلى الملك المتحقق في السماء والأرض وما حوتا وما سواهما، وهو تأويل منه لطيف وكأنه يقول أن صفة الكبرياء عند المخلوق تتعلق بأسبابها من حيث كمية ما يملكه من ألوان العرض، وما يتحقق تحت سلطانه وقهره، وهنا كذلك على سبيل المشاكلة يتعلق الكبرياء بما يقع تحت الهمينة الإلهية من الملك لما سواه.

[*] تداخل تأويل مدارك المادي والمعنوي:

[*]في قوله تعالى: ولو نشاء لمسخناهم ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ﴾[٦٧]:

قال الإمام البخاري: ﴿مَكَانَتِهِمْ﴾:ومكانهم واحد[٦٨].

مع أن المكان غير المكانة فالأخيرة معنوية تتعلق بالرتب الاعتبارية والأدبية، لما هي محله من الحقائق المرعية، أما المكان فهو ظرف عام للكائنات، ولا يتخصص إلا بأعراض ترتفع بها هيئات بعضها عن الآخر، وجاء شيخ الإسلام البخاري الإمام بأنهما بمعنى واحد.

[*] ما جاء في تأويل السمع على معنى العقل:

* في قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[٦٩]:

[٦٥]) يونس/ ٧٨
[٦٦]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٢٠)
[٦٧]) يس / ٦٧
[٦٨]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٤)
[٦٩]) الكهف/ ١٠١

قال الإمام البخاري: لا يعقلون ([٧٠]).

وفي هذا المحل: لا يستقيم جعل السمع عقلا، ولا العقل سمعا، ولكنه تعبير بلاغي من نوع الاستعارة التصريحية: باعتبار المقاصد ، ونتائج الأمور، من حيث:

أن من سمع مثلا منذر الخبر؛ استفاد بما سمعه، فاتقى وحذر، وكان الحذر منه: دال على كمال عقله؛ فكانت غاية السمع: العمل بمدلول ما سمع ، ولا يقصد السمع؛ بلا انتفاع لأنه حال من انتفى عن عقله الإدراك؛ كما قال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. أي: سماع انتفاع، وليس المقصود: أنهم لا يسمعون؛ بل أتت الأدلة الكثيرة على سماعهم للأحياء، وهذا هو معتقد أهل السنة قاطبة، وهناك من الأدلة المتكاثرة على ذلك ، ولم يخالف في هذا إلا القليل ومنهم السيدة عائشة ﷺ، حيث جاء:

* حدثني عثمان، حدثنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال:" هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول؛ فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق، ثم قرأت ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؛ حتى قرأت الآية ([٧١]).

* حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا سفيان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ قالت: إنما قال النبي ﷺ:" إنهم ليعلمون الآن: أن ما كنت أقول حق "، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾([٧٢]).

وقد ذهبت ﷺ إلى تأويل حديث النبي ﷺ القاطع بسماع الموتى في قبورهم، وهو تأويل لم يوافق الصواب، وقد صنف أهل العلم في هذا الأمر المصنفات، ومنها

[٧٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٥٠)
[٧١]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٤٦٢)
[٧٢]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٦٢)

كتابي/ حكم الصحابة العلية على القبور والصوفية؛ فاستوفينا هناك البحث في هذه المسألة بما يشفي صدر أهل النظر، ويسعد المعتبر.

[*] ما جاء في تأويل البصر على معنى إعمال الفكر في عظمة الله:

في قوله تعالى: ﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[٧٣] :

قال الإمام البخاري: البصر في أمر الله [٧٤].

الأبصار جمع بصر، وهو صفة جارحة العين المعلومة، ويستوي فيه جميع الناس؛ إلا ما قدر لهم الحكيم تعالى خلافه، وهي منة من الله نسأله تعالى دوامها حتى لقاءه تعالى، وليست مما يمدح عليها العبد؛ لأن المدح عليها يتوجه إلى الله المنعم الذي أهداها، ولذلك انبرى الإمام البخاري التقي: إلى إحقاق تصوير إرادة متعلقها بالهدى القويم فأوضح:

أن المراد ليس ظاهر اللفظ، والوصف، وإنما الممدوح هو صفة جعلها متعلقة بأمر الله المنزل، على لسان نبيه المرسل، وإعمال الفكر في عظمة الله المتفضل؛ فيستحق العبد رضى ربه، ويكون محمود التوجه عنده، مجزي على ذلك عظيم إحسانه وكرمه، ويناسب ذلك التأويل الشريف الآتي:

[*] تأويل السمع والبصر بمعنى الهدى:

قال ابن عباس: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾[٧٥] الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون، ولا يبصرون، ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ يعني قوله: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ﴾ الكفار يومئذ: أسمع شيء، وأبصره [٧٦].

٧٣) ص / ٤٥
٧٤) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٨)
٧٥) مريم /٣٨
٧٦) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٥٩)

[*] ما جاء في تأويل الحياة:

[*] في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾[٧٧]:

قال الإمام البخاري: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ﴾: أجيبوا، ﴿لِمَا يُحۡيِيكُمۡ﴾: يصلحكم [٧٨].

جاء هنا تأويل الإمام البخاري رحمه الله لمعنى الحياة، على معنى الصلاح، وكأن ما ليس بصالح الشؤون المعيشية فليس بحي، بل ملحق بالاموات، لأنه معدم لمقتضيات الشأن الطبيعي، والعدم أحد معاني الموت، وكان في هذا الإشارة إلى أعظم معاني الدين وسر تنزيله، وهو أن الحياة بلا دين: هي موت مستشنع؛ بل إن صلاح الحياة الدنيا: لا يتعلق بكثرة العرض، وإنما بإزالة ما لسعادة القلب يعترض، فيفسد صالح مسعاه، ويخيب له تحقيق رجاه؛ فكانت دعوة الرسول الأكرم: بعثا لحياة القلوب بالسعي الأقوم، وكانت الدعوة الإلهية لجميع البرية: أن استجيبوا لرسولي؛ فسعادتكم بقربي.

[*]في قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡيَاهَا﴾[٧٩] :

قال الإمام البخاري: يعني من حرم قتلها إلا بحق: حي الناس منه جميعا [٨٠].

لفظ مصدر الإحياء يعني: بعث الروح في الكائن القابل لهذا البعث، والمسبوق بإعداد بعد إيجاد، أو بمحض القدرة والمشيئة المطلقة للقادر على ذلك وهو الله رب العالمين، وفي هذا المحل قد أضافه الله تعالى لبعض بني البشر، ولكن ليس على حقيقة معنى الاستقلال بهذا الإحياء، وإنما على معنى مجازي من اللفظ، ويتعلق بترك الحي على حياته؛ فنزل العظيم جل جلاله هذا الترك منزلة من أحياها، حتى يعطي الناس لطيف ورفيع معنى: عدم الاعتداء على النفس البشرية، وهي بنيان

٧٧) الأنفال /٣٤
٧٨) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٠٣)
٧٩) المائدة / ٣٢
٨٠) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٨١)

المولى الكريم، الذي حرم هدمه؛ إلا لدواعي كبريات، مسطورة في محلها، ثم جعل ثواب هذا الإحياء بعظم قدر ثواب من كان متسببا في إحياء البشرية، وفي هذا معنيان: الأول: إجلال قدر صيانة الدم الإنساني، وتكريمه بعدم الاعتداء عليه بإزهاق روحه.

الثاني: هو إعطاء معنى إحترام الإنسان أيا ما كان دينه؛ بل احترام البشر الذي كرمه المولى تعالى في أي فرد من آحاده، هو احترام لما كرمه الله تعالى في المقام الأول، وأن الاعتداء عليه بضد ذلك، وأن على بقية النوع الإنساني منع الاستهانة بهذا النوع الشريف، والوقوف ضد أي اعتداء عليه، حتى وإن اختلفت معه في الدين؛ بل تكرم الروح البشرية التي كرمها الله تعالى، وجعل تضخيم الجريمة عليه كمن اعتدى على البشرية كلها؛ إلا ما يستثنى من ذلك من القصاص وشبهه، وأن تكريم من حفظها كفعل من كرم بني البشر جميعهم، وهذا من الله رب العالمين حسن عرض لشأن دين الإسلام العظيم؛ وأنه الهدى الحق القويم.

[*]في قوله تعالى: ﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾[٨١]:

قال الإمام البخاري: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ عذاب الحياة ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ عذاب الممات ([٨٢]).

الضِعْف: من المضاعفة للشئ بمثله أو أكثر، أما جعله على معنى الضعف بفتح الضاد ، وتسكين العين؛ فهو بمعنى حالة تعتري الكائن الحي؛ تمنع قيامه بوظائفه الحياتية على الوجه المعتاد، وقد يصاحبه ألم، أما هنا فقد جعلها الإمام البخاري على معنى العذاب وهو خارج عن صريح اللفظ، ويستلزمه في بعض درجاته.

[٨١]) الاسراء / ٧٥
[٨٢]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٤٣)

[*]في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾[٨٣]:

قال الإمام البخاري: إلى أهل مدين لأن مدين بلد، ومثله ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[٨٤]: ﴿وَٱلْعِيرَ﴾ يعني: أهل القرية، وأصحاب العير ([٨٥]).

قلت: وهذا من المجاز المرسل لعلاقة المحلية؛ فيرسل المولى الحكيم جل جلاله الرسالات إلى المكلفين، من بني البشر، والجن، أما ما سواهم فليسوا بمكلفين، ولا توجه إليهم الأنبياء بالبلاغ، وجاءت الآيات بالإرسال إلى البلاد، والمدن، والقرى، وبالطبع يقصد بالرسالة أهلها القاطنين بها، ولا ينصرف الذهن إلى قصد الشجر والحجر، ولا عتد في بلد، فكان في الآية تقدير محذوف، وهو من أرسل إليه، وبينه الإمام البخاري ﷺ؛ فقال إنما يقصد الأهل بالرسالة؛ فيكون المخاطب هم أهل مدين، والمسؤل هم أهل القرية، وهنا ملفت شريف:

أن بيان الإمام البخاري ﷺ معلوم، ومتبادر إلى الذهن، عند العرب، وعلماء المسلمين، وهذا يفيد إشارته ﷺ إلى :

توقعه توارد أناس من أمة الإسلام، لا يحسنون اللغة العربية، وابتعدوا عن العلم وأهله، وأنهم سيقفون عند ظواهر الألفاظ، ولن يدركوا ما وراءها من المعاني؛ فيأخذون بهذه الظواهر، ويتعلقون بباطل فهمهم لها، ويدعون الناس إلى تلك الأباطيل، وربما ينساق ورائهم دهماء الخلق؛ فتصير فتنة، فكان منه ﷺ، التنصيص على مثل تلك التأويلات، درءا للشبهة، وتقعيدا لبعض قواعد العلم القويم، وسد لذريعة إيجاد جيل يعادي الإسلام باسم الإسلام، ويحطم الدين بظواهر آيات الدين، وكأنه كان يعلم ما سيؤول إليه أمرنا، وإلى أي مدى ستنحدر أفهام عموم أمتنا.

[٨٣]) هود/ ٨٤
[٨٤]) يوسف /٨٢
[٨٥]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٤٤)

[**] قاعدة: أن العبرة في فهم ما يتعلق بالذات العلية فيما للنصوص من مدركات هو: الحكم بالنهايات والغايات، ومن ذلك:

[*]في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ﴾[٨٦]، قال: ألم تعلم[٨٧].

قلت: في هذا الموضع وشبهه رسخ الإمام البخاري قاعدة:

الغاية من المعنى، من نصوص أوصاف الملك الأعلى، من جهة أن أثر رؤية العين للشئ؛ يورث تبادر علم للرائي بتحقق وصف لاحق لمعلوم سابق، أو بروز شئ حديث في بؤرة النظر بما يتعلق به من أوصاف وحقائق، وفي الحالتين يدل على تحقق علم، ناتج عن حادث الرؤية؛ فكان العلم نتيجة لها، ولو لم يستحدث علم، لما كان للرؤية معتبر ولا وجود، ولذلك قال اللغويون بأن الرؤية تستعمل بمعنى العلم، والحق أن توارثهم ذلك عن هذا المعنى، وليس على جهة النقل بدونه؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾، مع أن واقعة الفيل كانت في سنة المولد الشريف؛ فلم يتحقق له فيها رؤية ﷺ، وإنما تحقق له بها علم؛ فكانت العبرة بنتيجة الرؤيا، التي تفيد تحقق العلم، حتى يصل التشبيه، إلى أن حصول العلم كحصول الرؤية، حتى تشير إلى تحقق معنى اليقين؛ فتكون العبرة بالنهايات والنتائج، لا بالمبادي والوشائج.

[*] في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[٨٨] :

قال الإمام البخاري: العقوبة (٨٩).

٨٦) الفيل/ ١
٨٧) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٩٨)
٨٨) الفرقان / ٦٨
٨٩) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٤)

قلت : وهنا تحقق المجاز المرسل لعلاقة السببية ، بجعل معنى كلمة أثاما وهي في اللغة جمع إثم، وهي أحكام شرعية على أفعال قلبية أو عملية، يستحق فاعلها عقوبة جزاء ما فعل وارتكب ؛ فجعل الإمام البخاري أن الأثام تعني العقوبة، مع أنها نتيجة عليها وغاية العلاقة بها، فلم يصرف النص إلى معناه الظاهر، وإنما صرفه إلى معنى ما ينتج عنه، وهي قاعدة السلف التي نثبتها على صفحات هذا الكتاب وغيره من مصنفات الاعتقاد، بحسب ظهورها في مواضع وربما نجعل لها رسالة يسيرة على مراميها تشتمل، إن شاء الكريم وتفضل.

[*]في الله تعالى ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾[٩٠] :

قال الإمام البخاري: يعني صلاتكم عند البيت (٩١) .

وفي هذا الموضع كذلك يجري التأويل بتسمية الشئ باسم ثمرته؛ من قبيل الاستعارة التصريحية؛ فقرر الإمام البخاري وغيره من أئمة أهل السنة، أن المقصود بإيمانكم في هذه الآية، هو كونه بمعنى الصلاة، وهي ثمرة الإيمان؛ فلا يصلي إلا من كان مؤمنا، ولا ترجى من الكفار الصلاة، ولا يحكم بصحتها قبل الإيمان بالله ورسوله، وإن كانوا مطالبين بفروع الشريعة، ولكن ذاك الطلب على جهة التبع، كما هو معروف عند الأصوليين، والصحيح عند الجميع تحقيقا: عدم قبولها إلا بالإيمان بالله ورسوله، وفي حقيقة الأمر فالصلاة هي ثمرة الإيمان؛ وسماها هنا بالإيمان؛ وذلك تأسيس قواعد عدم صحة الوقوف أمام ظواهر التنزيل، بل وجب على العلماء العوالي من مقدمي أهل السنة: اعتماد راسخ ما ورثوه عن السلف الأكرم.

[*]في قوله تعالى :﴿وَلَاهُمْ مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٩٢):

قال الإمام البخاري: ﴿يُصْحَبُونَ﴾ : يمنعون .

٩٠) البقرة/ ١٤٣
٩١) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٣)
٩٢) الأنبياء / ٤٣

فالناتج عن إعمال حقيقة الصحبة: هو الحفظ للصاحب ممن يعتدي عليه، وهو تحقيق المنعة، أي : الصيانة من تعريضه للهلاك، على يد عدو، أو محارب؛ فيكون التأويل باعتبار نتيجة الصحبة، وهو المنع والحفاظة.

[*]تأويل ما جاء في الروح :

[*]في قوله تعالى :﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[٩٢] :

قال الإمام البخاري: القرآن[٩٣].

مع أن القرآن ليس روحا، على المعنى المتعارف عليه للروح و علائقها، وإنما كان هذا التأويل: لاعتبار أنه: بالقرآن تتحقق حياة الأرواح والقلوب بدين الله؛ على سبيل الاستعارة المكنية التبعية.

[*]في قوله تعالى :﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[٩٤] :

قال الإمام البخاري: لعنوا[٩٥].

والقتل غير اللعنة، ولكنه أراد أن اللعنة: الطرد من رحمة الله؛ فهو أشد من الموت؛ فكان التعبير بالقتل إليه أقرب، وهو من الاستعارة التصريحية التبعية.

[*]في قوله تعالى :﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾[٩٦] :

قال الإمام البخاري: يهم بالمعصية فيذكر الله عز وجل فيتركها[٩٧].

فهي من الكناية صفة؛ لأن غاية الخوف: التقوى والبعد عن المعاصي.

---

[٩٢]) الشورى / ٥٢
[٩٣]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٩)
[٩٤]) الذاريات / ١٠
[٩٥]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٣٦)
[٩٦]) سورة الرحمن / ٤٦
[٩٧]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٤٦)

[*]في قوله تعالى :﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾[٩٩]الذي عذبوا به، وقال غيره ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السوط[١٠٠].

قلت : وهذا من نوع التشبيه المقلوب ؛ فلا يضاف السوط إلى العذاب، وإنما يضاف العذاب إلى ضرب السوط؛ لأنه آلته، أما إضافة السوط إلى العذاب؛ فكأن يشير إلى أن السوط مجعول من مادة العذاب؛ تشبيه بليغ يفيد شدة العذاب؛ فقال: الذي عذبوا به، وهو المراد من التصوير.

[*]في قوله تعالى: ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾[١٠١] :

قال الإمام البخاري: لنسلطنك[١٠٢] .

مع أن الإغراء : ليس هو التسليط، وإنما هو نتيجته للنبي المؤيد بالنصر.

[*]في قوله تعالى :﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾[١٠٣] :

قال الإمام البخاري: بيناه وأتممناه[١٠٤].

والتوصيل : ليس هو البيان؛ بل بينهما عموم وخصوص وجهي؛ فقد يكون التوصيل مجرد عن البيان، وإنما يراد أن يتم البيان بسبب التوصيل، ويكون نتيجته.

وكذلك أقواله فيما جاء عنه ﷺ :

[*]في قوله تعالى :﴿فِى جُذُوعِ﴾[١٠٥] قال: أي على جذوع[١٠٦].

[*]في قوله تعالى :﴿وَلَلَبَسْنَا﴾[١٠٧] قال: لشبهنا[١٠٨].

---

[٩٩]) سورة الفجر / ١٣
[١٠٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٦)
[١٠١]) الأحزاب / ٦٠
[١٠٢]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠١)
[١٠٣]) القصص/ ٥١
[١٠٤]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٨)
[١٠٥]) طه/ ٧١
[١٠٦]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٢)
[١٠٧]) الأنعام / ٩
[١٠٨]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩١)

[*]في قوله تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[109] قال: إليه المصير ([110]).

[*]في قوله تعالى :﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴾[111] قال: بمعاصيها ([112]).

[*]في قوله تعالى :﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾[113] قال: أغواها ([114]).

[*]في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾[115] قال: طلوع الشمس ([116]).

[*]ومن أنواع التأويل التخصيص، وهو إخراج بعض ما يقتضيه اللفظ من العموم، والتخصيص نفسه أنواع، وقد أتى هنا الإمام البخاري منه بالكثير ومنه:

التخصيص بالعقل:

[*]في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾[117] :

قال الإمام البخاري: إلا من ذكر موسى ([118]).

قلت : وهذا من نوع الاستعارة المكنية الأصلية؛ حيث ينصرف معنى الفراغ إلى إيضاح حقيقة الخلو، وهو معنى حسي في الأوعية والظروف، والشأن في القلب معنوي، وفيما يتعلق به يعني الخلو عن: الفكر، والتصور، والعزم، ولكن الإشكال أن هذا حكم عام؛ فينتج عنه تصوير الخلو عن كل شئ حتى ابنها موسى ﷺ، وهذا بخلاف الواقع؛ فلم يحقق الخلو في قلبها سواه؛ فوجب ألا يخلو عن سبب خلوه؛ فكان

[109]) سورة الفجر/ ١٤
[110]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٦)
[111]) سورة الشمس / ١١
[112]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٦)
[113]) سورة الشمس / ١٠
[114]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٦)
[115]) الفرقان / ٤٥
[116]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٣)
[117]) القصص / ١٠
[118]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٨)

عموم الخلو مخصوص بالاستثناء لموسى ﷺ؛ فكان من أنواع التخصيص بالعقل؛ من حيث هو الحاكم بلزوم تخصيص العموم من فراغ قلبها ﷺ، وأن كان فارغا من ذكر كل شئ إلا من الذكر والفكر في شأن ابنها نبي الله موسى ﷺ.

[**]وقد يتعدد التأويل للفظ الواحد بالكثير من المعاني، وقد أتى الإمام البخاري ﷺ بنماذج ومنها:

[**]تأويل كلمة ولفظ الدين:

[*] ما جاء في تأويل الخلق بمعنى الدين :

[*]في قوله تعالى : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ([119]) ﴾ قال: لدين الله([120]).

[*]في قوله تعالى :﴿ صِبْغَةَ ([121]) ﴾ قال: دين ([122]).

[*]في قوله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[123] قال: دينكم دين واحد([124]).

قلت: وفي هذا المحل أورد الإمام البخاري ثلاثة تأويلات لمعنى الدين، وهذا برهان شريف على اتساع مساحة التأويل الشرعي المعتبر، والوارد على صرف أكثر من لفظ مختلف بحسب متعلقة واستعماله، إلى معنى واحد؛ فهو من تضييق الواسع، كما هو واقع في مواضع أخرى، من توسيع المحدود والمضيق، وفي هذا المحل قد جعل الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن خلق الله، وصبغة الله، وأمة الإسلام: على معنى واحد هو الدين، وهو معنى مقبول، وتأويل صحيح بحسب سياق الآيات، وسباقها، ولحاقها؛ فبحر التأويل واسع ولكن بضوابط الشريعة التي أسلفنا بعضها .

[119]) الروم / ٣٠
[120]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٩١)
[121]) البقرة / ١٣٨
[122]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٢٤)
[123]) الأنبياء/ ٩٢
[124]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٥)

[*]في قوله تعالى: ﴿طَـٰٓئِرُكُم﴾(١٢٥) قال: قال ابن عباس: مصائبكم (١٢٦)

[*] وفي قوله تعالى: {﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ﴾(١٢٧)، حظهم (١٢٨).

[*]وفي قوله تعالى: ﴿طَـٰٓئِرَهُۥ﴾ (١٢٩)، حظه (١٣٠).

[*]في قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾(١٣١)، قال: هلكة (١٣٢).

[*]في قوله تعالى: ﴿غَرَامًا﴾ (١٣٣)، قال: هلاكا (١٣٤).

[*]تأويل ما جاء في الفتنة:

- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ، ليلة أسري به إلى بيت المقدس، قال: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾، قال: هي شجرة الزقوم (١٣٥).

[*]في قوله تعالى : ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ (١٣٦) قال:
قال مجاهد: بمضلين؛ إلا ما كتب الله أنه يصلى الجحيم (١٣٧).

---

(١٢٥) يس/ ١٩
(١٢٦) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٤)
(١٢٧) الأعراف / ١٣١
(١٢٨) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩٧)
(١٢٩) الإسراء/ ١٣
(١٣٠) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٤١)
(١٣١) الفرقان/ ٧٧
(١٣٢) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٥)
(١٣٣) الفرقان / ٦٥
(١٣٤) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٣)
(١٣٥) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٣٩)
(١٣٦) سورة الصافات/ ١٦٢
(١٣٧) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٤٠)

[*] في قوله تعالى : ﴿فَتَنُوا۟﴾ (١٣٨) عذبوا (١٣٩).

فجعل الفتنة في الموضع الأول على معنى: الإغراء والابتلاء، والثاني: على معنى: الضلال، والثالث: على معنى: العذاب، واللفظ واحد؛ اختلف التأويل بحسب السياق، والسباق، واللحاق.

❁❁❁

---

(١٣٨) البروج / ١٠
(١٣٩) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٥)

Courtesy of Darultahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

الباب الثاني
رواسخ الإيمـان العوالي

إن هذا الدين متين، وله من المعاقد جبال رواسخ، لو أنـصف النـاظرون لشـابوا إليه، وأخذتهم به عظيم دهشة، ولأوقع في قلوبهم وعقولهم الذهول عمـا سـواه حتى عن الذريات والحلائل، ولكن أوقعتهم عنه في شراكها ما للشيطان مـن الحبائل، وإننا لنرجو الكريم أن ينعم علينا برفع ستار الجهل، عما له من عظـيم الفضائل؛ فهو منجاة البشرية من جميع الرذائل والغوائل.

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

الفصل الأول: معنى وحقيقة الإيمان

المطلب الأول: معنى الإيمان

اعتمد الإمام البخاري ﷺ أن الإيمان قول وعمل، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهذا مذهب جمهور أهل السنة، ولا يضاده مذهب الباقين، من قولهم أن الإيمان قول، وأن العمل من ثمرته، وكلاهما مذهبا أهل السنة المكرمين؛ فقال ﷺ:

[*]باب من قال إن الإيمان هو العمل:

لقول الله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(١)، وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(٢): عن قول لا إله إلا الله، وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ (٣) (٤).

• وحدثنا أحمد بن يونس، وموسى بن إسماعيل قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد قال: حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: " أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل ؟ فقال: إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور" (٥).

• وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحيى، عن هشام قال: أخبرني أبي عن عائشة: أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه ؟، قالت: فلانة تذكر من صلاتها قال: مه عليكم بما تطيقون؛ فو الله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه: ما داوم عليه صاحبه (٦).

---

١) الزخرف/ ٧٢
٢) الحجر/ ٩٢
٣) الصافات/ ٦١
٤) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٧)
٥) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨)
٦) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤١)

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com
www.

فكان هذا منه رحمه الله تقرير، واستدلال للآخذ بأن الإيمان قول وعمل من أهل السنة، وهو الأرجح منهما، وعليه الجمهور، ومن أعظم تصريحات الإمام أبو عبد الله البخاري الدالة على ذلك، قوله:

• حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا أبو حيان التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال : كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس؛ فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان ؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، قال ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك، قال: متى الساعة ؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ {إن الله عنده علم الساعة} الآية، ثم أدبر فقال: ردوه؛ فلم يروا شيئا فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم" ، قال أبو عبد الله جعل ذلك كله من الإيمان (٧).

فهذا أصرح تقرير بمعتقده ﷺ في هذا الشأن، وأتى كذلك بتقعيده بين أهل السنة، من زيادة الإيمان بالطاعة، ونقصانه بالمعصية، واستدل على ذلك بعدد من الأدلة ؛ فقال:

[•] باب زيادة الإيمان ونقصانه:

وقول الله تعالى : ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾(٨)، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾(٩)، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(١٠) ؛ فإذا ترك شيئا من الكمال فهو ناقص (١١).

٧) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٧)
٨) الكهف/ ١٣
٩) المدثر/ ٣١
١٠) المائدة/ ٣

• قال إبراهيم التيمي: ما عرضت قولي على عملي؛ إلا خشيت أن أكون مكذبا، وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ، كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل، وميكائيل ، ويذكر عن الحسن: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق، وما يحذر من الإصرار على النفاق، والعصيان من غير توبة لقول الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١٢) (١٣).

• حدثنا إبراهيم بن حمزة قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن أبي شهاب، عن عبيد الله، أن عبد الله بن عباس أخبره قال: أخبرني أبو سفيان: أن هرقل قال له: سألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد (١٤) .

١١) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٤)
١٢) آل عمران/ ١٣٥
١٣) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٦)
١٤) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٨)

المطلب الثاني: حقيقة الإيمان

[*]في قوله الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾(١٥)، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾(١٦) ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾(١٧)، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾(١٨)، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾(١٩)، وقوله: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٢٠)، وقوله جل ذكره: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾(٢١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾(٢٢).

والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن الإيمان فرائض وشرائع، وحدودا وسننا؛ فمن استكملها: استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها: لم يستكمل الإيمان؛ فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن مت فما أنا على صحبتكم بحريص، وقال إبراهيم ﷺ ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾(٢٣)، وقال معاذ اجلس بنا نؤمن ساعة، وقال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله، وقال ابن عمر: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى؛ حتى يدع

(١٥) الفتح/ ٤
(١٦) الكهف/ ١٣
(١٧) مريم/ ٧٦
(١٨) محمد/ ١٧
(١٩) المدثر/ ٣١
(٢٠) التوبة/ ١٢٤
(٢١) آل عمران/ ١٧٣
(٢٢) الأحزاب/ ٢٢
(٢٣) البقرة/ ٢٦٠

ما حاك في الصدر، وقال مجاهد: شرع لكم ﴿شَرَعَ لَكُم﴾(٢٤) أوصيناك يا محمد، وإيانا دينا واحدا، وقال ابن عباس: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(٢٥): سبيلا وسنة، ﴿دُعَآؤُكُمْ﴾: إيمانكم، لقوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾(٢٦)، ومعنى الدعاء في اللغة: الإيمان(٢٧).

قلت: أتى الإمام البخاري ﷺ بعدد من المعاني لحقيقة الإيمان، مرتكزا في تقرر تلك المعاني لما قرره وصرح به أكابر أئمة السلف من الصحابة، والتابعين؛ فجاءت معبرة في مجملها عن حقيقة الدين وفحواه، وقد صدر تلك الشواهد بمقولة الخليفة الخامس أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ، عندما قال: الإيمان فرائض وشرائع، وحدودا وسننا، ثم أتى عن أكابر الصحابة ما يوضح ما قعده عمر بن عبد العزيز ﷺ؛ فروى عن ابن مسعود ﷺ أن الإيمان هو اليقين، وحقيقة اليقين تثمر ذروة التقوى، وثمرة التقوى: تحقق الورع، وهذا هو صريح تفصيل ابن عمر ﷺ، فعند ذلك يستبين سبيل رب العالمين بالهدى القويم؛ فأتى بقول ابن عباس ﷺ، بأن الإيمان هو السبيل والسنة، التي عندها يتحقق العبد بكمال خضوعه لسيده ومولاه، وشهوده التزيي بلباس فناء العبد وذله واضطراره لمن أوجده، وبالإمداد أبقاه وإليه أحوجه، فيدخل العبد ساحة الطلب الكامل من المولى الكريم؛ فيتعاظم الدعاء، ويكون هو الدليل على كل ما سبق من عوالي المعاني، ومشوق الشوادي.

[*] إفادة أن أول الواجبات النظر:

وإذا كان الإيمان هو مراد رب البرايا من بريته، ومن أجله أرسل إليهم رسله، وبه جاءت كتبه؛ فكان لزاما أن يكون أعظم واجبات العباد: أن يبذلوا الجهد فيما

(٢٤) الشورى/ ١٣
(٢٥) المائدة/ ٤٨
(٢٦) الفرقان/ ٧٧
(٢٧) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٧)

يعرض عليهم، من الأفكار والسبل؛ حتى يهتدوا إلى الحق، فلما كان بذل العباد الوسع لمعرفة الحق: هو حريم وصولهم في الغالب إلى الحق؛ كان ذلك مستوجبا أن يكون النظر هو أول الواجبات؛ فروى الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ قال:

• حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكرياء بن إسحق، عن يحي بن عبد الله بن صيفي، عن أبي معبد، عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، وحدثني عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا الفضل بن العلاء، حدثنا إسماعيل بن أمية، عن يحيى بن عبد الله بن محمد بن صيفي، أنه سمع أبا معبد مولى ابن عباس يقول: سمعت ابن عباس يقول: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن قال له: إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم: إلى أن يوحدوا الله تعالى؛ فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم؛ فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم؛ فإذا أقروا بذلك؛ فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس ([28]).

يؤخذ هذا المعنى الشريف، من قوله ﷺ:

[فليكن أول ما تدعوهم إلى: أن يوحدوا الله تعالى؛ فإذا عرفوا ذلك؛ فأخبرهم] وهذا النص الشريف يتضمن شريف المعاني :

أنه لابد للعباد أن يعرفوا ربهم الذي أرسل إليهم من يدعوهم إليه، ولابد من تعاطيهم أسباب المعرفة المناسبة لهم، ومقارنتها بما سبق لديهم من المعارف، والنظر فيهما بما لديهم من أنواع الاستدلال، ولو من متخصصيهم؛ فإنهم لن يقبلوا الحق بمجرد عرضه عليهم، إلا إن كانوا على دائرة من النظر السابق، والانتهاء فيه إلى باطل ما هم عليه، وانتظار الحق الذي بمجرد ظهور صورة له أمام عقولهم وقلوبهم، فينصاعوا إليه تبعا لما سبقه من النظر والبحث، وهذا كما وقع من أبي بكر ﷺ ومن غيره من الصحابة، ومن غير الصحابة.

[28]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٨٥)

وبسبب عدم قبول الناس الحق بمجرد عرضه عليهم؛ فيلزمهم النظر والروية، وإعمال الفكر في شأن هذا الدين المعروض عليهم؛ فيكون هذا أول الواجبات على آحاد البشرية: معرفة رب البرية، فإذا تحقق عندهم صحة الدعوى، وآمنوا بالله رب الآخرة والدنيا؛ فعند ذلك يتسنى لمن يدعوهم طلب القيام بباقي التكاليف الشرعية، والحمد لله خالق البرية.

• ولما كان النظر واجب لتحصيل الإيمان؛ فلا يحق لأحد إخراج أحد منه، أو الحكم عليه بالكفر إلا ببينة، يقضي بها أهل العلم؛ إلا إن أنكر معلوما من الدين بالضرورة؛ فتجب إقامة الحجة عليه، من أهل الحجة، ومن هذا المنطلق أسس السلف الكرام مبدأ عدم التكفير بالكبيرة، اتباعا للسنة، وإعمالا لضوابط الشرع الحنيف، وسماحة الدين الشريف؛ فقد جاء في:

[•]عدم التكفير بالكبيرة :

• حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن زيد بن وهب، عن أبي ذر ﷺ قال: قال النبي ﷺ :" قال لي جبريل: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا؛ دخل الجنة، أو لم يدخل النار ، قال: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن "([29]).

والحديث واضح الدلالة: أن المسلم قد يرتكب شيئا من الكبائر، ولكن ذلك لا يخرجه عن حظيرة الإسلام؛ بل ينجيه إيمانه، وانتفاء شركه بالله العظيم؛ ويدخل به الجنة، ولا عبرة بما يجري في صدور أصحاب الغيرة على دين الله؛ بل هناك من الحكم فوق ما يتصورون، والحديث صحيح، وفي دلالته صريح، والحق لائح، والسبيل واضح، وما التزيد إلا من الطعن في دين العبد، الذي يرى نفسه أتقى وأعلم من خير الورى، عليه الصلاة والسلام، صاحب أعظم رسالات الهدى.

[29]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٧٨)

الباب الثالث
الإلهيات

يتعلق البحث في هذا الباب بقضايا الذات الإلهية؛ فيفصل فيه شأن الصفات التي أتت بها قواطع التنزيل فيما يجب اتصاف الإله العظيم بها، أو يستحيل اتصافه بها، أو ما يجوز له فعله أو الاتصاف به، ونعتمد في جميع هذه الشؤون مبادئ وصحيح النقل الصريح، والخبر الصحيح.

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

الفصل الأول
نفي الجسمية والأعضاء عن الذات الإلهية

يعتقد بعض المبتدعة، وقليل من البسطاء: أن ربهم له جسم، وأعضاء، وجوارح، وعلى وجه وكيفية وهيئة تليق بإله كبير الحجم، وأنه له صفات البشر، من الوجه، والعينين، والأذنين، واليدين، والجنبين، والساقين، والقدمين، وربما ينادي المبتدع لتسويغ بدعته، بباطل زيغه؛ فيقول: بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل، وفي هذا المحل يأتي شيخ الإسلام البخاري الإمام رحمه الله؛ فينفي باطل اعتقاد أن رب العالمين جسما، أو له جوارح وأعضاء، ويروي في هذا المعتقد الأدلة القواطع على ذلك فيقول:

* حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، سمعت إبراهيم قال: سمعت علقمة يقول: قال عبد الله: "جاء رجل إلى النبي ﷺ من أهل الكتاب؛ فقال يا أبا القاسم: إن الله يمسك السماوات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر والثرى على إصبع، والخلائق على إصبع؛ ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك؛ فرأيت النبي ﷺ ضحك؛ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾"[1].

قلت: قد انتهى العلم التجريبي الحديث إلى أن الأرض جِرم غاية في الصغر، والحقارة قياسا على ما في المجموعة الشمسية من كواكب، ناهيك عن أحجام أجرام

---

[1] البخاري في صحيحه ج ٦/ ص ٢٦٩٨ حديث رقم: ٦٩٧٩، البخاري في صحيحه ج ٦/ ص ٢٦٩٧ حديث رقم: ٦٩٧٨، البخاري في صحيحه ج ٦/ ص ٢٧١٢ حديث رقم: ٧٠١٣، الترمذي في سننه ج ٥/ ص ٣٧١ حديث رقم: ٣٢٣٨، الطبراني في معجمه الكبير ج ١٠/ ص ١٦٤ حديث رقم: ١٠٣٣٤، الطبراني في معجمه الأوسط ج ٥/ ص ٦٧ حديث رقم: ٤٦٨٩، النسائي في سننه الكبرى ج ٦/ ص ٤٤٦ حديث رقم: ١١٤٥٠، أبو يعلى في مسنده ج ٩/ ص ٩٥ حديث رقم: ٥١٦٠، بن حنبل في مسنده ج ١/ ص ٣٢٤ حديث رقم: ٢٩٩٠.

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

النجوم في مجرتنا، وناهيك عن غيرها من المجرات إلى غير ما في الكون من اتساع لا يستطيع أمثالنا توهم قدره، ولا قدر ما فيه!

ولو سلمنا بباطل ما يدعيه المجسمة من: أن ربهم جسم كبير قد ملأ العرش، وأن العرش قد وسع وحوى الكرسي، وأن الكرسي بالنسبة إلى العرش كحلقة في فلاة، والسماوات بالنسبة له كحلقة في فلاة كذلك، ومع اعتبار ما وصلنا مستحدثات العلم من سائر التقديرات الحسابية، وهي أقل من الواقع بملايين السنوات الضوئية، والمساحات البينية، وهنا يأتي السؤال:

عن موقع إدراك أن تكون الجبال على أصبع من أصابع الجبار جل جلاله، والماء على أصبع كذلك، وسائر الخلق على أصبع آخر كذلك؟؟؟!

أو ليس يعتقد الآن بعد هذه الاكتشافات الفلكية: أن تكون المجرات كلها حقيرة؛ إذا وضعت جميعها على أصبع واحد؛ لو فرض وكان له أصابع على الحقيقة؟؟ تعالى المولى الصبور العظيم عما يقولون علوا كبيرا!

أما الحق الأعلى فقد أنزل المولى سبحانه مراده فيه: قرآنا يتلى إلى يوم القيامة حتى تنقطع ترهات العقول، الموصوفة بالعجز عن إدراك أنفسها؛ ناهيك عن العجز عن إدراك باريها؛ فقال سبحانه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ليعلم خلقه:

أن الله أعظم، وأكبر مما يتصوره المتصورون شأنا وعظمة، وأنه لا يصح أن يكون المبدع أصغر، ولا أقل مما أبدع واخترع بأي وجه من وجوه الاعتبارات.

بل ولا أكبر من حيثية علائق الأجسام؛ فلا يصح إطلاق مدركاتها؛ على حقيقة كنه مولاها، وأن كل ما خطر بوهم فكرها؛ لا يجوز نسبته إلى من فطرها.

ولذلك كان من النبي ﷺ ثورة الضحك الشديد حتى بدت النواجذ منه ﷺ، في روايات متكاثرات؛ حيث تعجب إلى حد عظيم الإثارة من جهل اليهود، وأشباههم من المجسمة: أن يصفوا ربهم بما وصفوا: من الأصابع، وعلاقتها: بالحجر والشجر، والجبال والتراب، والماء والسماء، على ما جاء في الحديث.

ومما يؤكد هذا المعنى من الفهم في مثل هذه الرواية وهو كثير:

أن التوافق في العقيدة بيننا وبين اليهود في هذه المسألة – لو فرض صحة معتقد المجسمة الباطل- لا يكون مثيرا للضحك إلى هذا الحد، الذي تبدو فيه النواجذ – أي: الأضراس -؛ بل أقصى ما يثيره الابتسام، والتلفظ ولو مرة: بما يفيد صحته، ولكنه ﷺ فعل العكس حيث:

وصفهم بأنهم لم يقدروا الله تعالى حق قدره؛ فلو كان معتقدهم في ذلك صحيحا؛ لاستدعى الحكم بأنهم قدروه تعالى حق قدره، وأنهم أصابوا الحق الواجب في المعتقد بشأنه، وإنما جاء الحكم بخلافه؛ حيث نعتهم بالقصور الشرعي، من النظر الواجب في صفات ربهم جل جلاله، فكان الضحك سخرية منه ﷺ بهم؛ حيث تدنُّوا إلى وصف ربهم بصفات البشر: من التركيب، والتأليف من: الأعضاء، والجوارح، وإنزالهم قدر حجمه الذي تصوروه، إلى الحد الذي يجعل جسمه – عندهم - حقير الحجم؛ حتى أن الأصبع: يكون محلا للشجر الذي على الأرض، وآخر يكون مكانا للتراب، وآخر للماء، وآخر للجبال، وآخر للسماوات، وآخر للارض!!!، وهنا ينظر في قدر الأصبع الذي يكون محلا للسماوات، بالمقارنة إلى الاصبع الذي يكون محلا للشجر مثلا:

فيتضح للبسطاء في هذا الزمان: أن السماوات عظيمة المساحة والحجم الذي يصعب تقديره؛ بل يستحيل على علمائنا؛ فهي كثيرة المجرات، والنجوم، والعوالم الحيثية؛ فكيف يقارن بها محل الشجر من الأصابع؟؟؟

أم ترى أن هناك أصبعا عظيما كبيرا واسعا يكون محلا للسماوات، وهناك أصبعا أصغر إلى حد بالغ في الصغر والحقارة الجرمية والمكانية؛ بحيث تكون سعته فقط بقدر شجر الأرض، أو ترابها، أو مائها!!!!!!

ولذلك كان من الهذيان العقلي، والعقائدي: الوقوف عند ظواهر القرآن، والسنة فقط، وإلغاء مدلولات اللغة التي نزل بها القرآن، وحديث النبي العدنان،

وقد قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فالخطاب بالقرآن: لقوم يعلمون العربية، أما من يجهلوها، ثم تعالموا، وتشيخوا؛ بلا موجب؛ فقد ضلوا، وأضلوا، وأفسدوا، وضيعوا، ولا عذر لهم في ذلك؛ حيث أنهم يعلمون من القرآن نفسه الحكم بظاهر قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾!!!

ولذلك فقد باتت علاقة المجاز واضحة، وأن المراد غير ظاهر اللفظ، وأن التأويل هنا، وفي شبهه ثابت وواجب لا محالة؛ فأين يكون موقع الحقيقة الذي يزعمه المجسمة؟! وكفى بالله تعالى رقيبا وحسيبا.

أما ما جاء من الحديث الدال على أن الضحك كان تعجبا، وتصديقا في:

• حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، حدثنا فضيل يعني بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة السلماني، عن عبد الله بن مسعود قال: " جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال يا محمد، أو يا أبا القاسم: إن الله تعالى يمسك السماوات يوم القيامة على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أنا الملك؛ فضحك رسول الله ﷺ؛ تعجبا مما قال الحبر تصديقا له، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [1].

فأقول: إن القول بالضحك تعجبا، وتصديقا منسوب إلى تصرف الراوي، وليس من قول النبي ﷺ لأسباب كثيرة منها:

[1] مسلم في صحيحه ج ٤/ ص ٢١٤٧ حديث رقم: ٢٧٨٦، البخاري في صحيحه ج ٤/ ص ١٨١٢ حديث رقم: ٤٥٣٣

الأول: أننا قد جئنا بأحاديث متكاثرات على هذا الحدث وقصته، وليس فيها هذه الزيادة.

الثاني: أن قوله (تعجبا وتصديقا) هي رواية حال قلبي، وهو يستدعي كشفا غيبيا، وهو غير مسلم - في هذه القصة - للأسباب السابقة، واللاحقة.

الثالث: أنه قد جاء في صحيح السنة نفي الأعضاء عن رب الأرض والسماء وجاء فيه: ثورة الغضب الشديد من النبي ﷺ وإنكاره: لوصف المولى العظيم بالأعضاء والجوارح، ولو كان الصحيح خلافه؛ لما أنكره إلى الحد الذي نزل جبريل ﷺ يهدئ من ثورة غضبه على من وصف الله بالتجسيم والأعضاء؛ لوجوب الحكم باستحالة ذلك في حقه تعالى، فكان من المحكم الذي يرد إليه المتشابه، ولكننا لما اقتصرنا في هذا الكتاب على ما جاء عن الإمام البخاري ﷺ، لم نأتي بأدلة اعتمدها أو رواها غيره، التزاما بعقدنا مع القارئ الناظر بعين الإنصاف.

رابعا: النظر لصراحة النص السابق الذي ختم رب العزة قدسيته بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾؛ قاطعا بأن التجسيم، والأعضاء في حق الله العظيم من المحال الواجب نفيه.

خامسا: النظر إلى قواطع الأدلة العقلية، بما أوجبته البراهين المنطقية، في شأن مظنون الباطل بوصف المجسمة لربهم بأصابع إلهية، وأنها عقيدة جرمية إجرامية.

المطلب الأول
نفي المكان عن رب الأكوان

[*]في قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[٣] :

عن سفيان، عن جعفر، عن سعيد بن جبير في قوله جل وعز: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: علمه[٤].

وجه الدلالة:

قلت: في هذا الموضع من التنزيل قد روى الإمام البخاري عن التابعي الجليل سعيد بن جبير بتأويل؛ يشفي العليل، ظاهر التعليل؛ ودال على دقيق ما عليه التعويل؛ حيث يؤول مولانا سعيد بن جبير ﷺ الكرسي بأنه ليس مادة، أو على معنى العرش الذي تم إعداده للجلوس كما قيل كذلك، ولكنه نفى عنه ماديته، وذهب إلى أنه معنى من المعاني، وليس جسم من الأجسام؛ فقال إنه بمعنى العلم، وأنه هو الموصوف بالإحاطة بالسماوات والأرض.

* وهنا يقع النظر الأفخم من أنه لا يصح أن تكون الإحاطة الجسمية للمكونات متعلقة بمخصوص ذات رب العالمين، وإنما يجب أن يكون المحيط هو صفة العلم أو شبهها، ومن ذلك يعلم أيضا أنه يستحيل الإحاطة الجسمية من رب البرية بالمكونات لاعتبارين أولهما:

أن المنفي عن الإحاطة الكونية هو وقوعها بالكرسي الذي يفهم منه العامي أنه متعلق جلوس رب العالمين، أو مستخدماته الخاصة به تعالى.

---

[٣]) البقرة: ٢٥٥

[٤]) صحيح البخاري - البغا - (ج ٤ / ص ١٦٤٨)، تفسير سفيان الثوري ص ٧١، تفسير ابن أبي حاتم ج٢/ص٤٩٠.

الثاني: تقرير أن الله تعالى ليس بجسم، ولا يشبه الأجسام ولا يماثلها، لأن نفي الجسمية عن ما يظن أنه من علائق المولى القدوس: [وهو الكرسي لأنه عندهم محل جلوسه]؛ فوجب أن تنفي الجسمية عن نفسه من باب الأولى كذلك؛ فإن نفي التعلق بالأجسام هو دليل على نفي الجسمية فيمن لا يتعلق بها أصالة - إذ أن الأجناس المتوافقة يتناسب فيها التعلق - فإذا انتفى التعلق انتفى التجانس؛ فوجب اعتقاد تنزيه ذاته تعالى عن الجسمية، ولواحقها كذلك بهذا النص الأفخم.

ويأتي هنا كذلك السؤال موضح معالم الاعتقاد أشد من الشمس توهجا، ومن مستعر النار تأججا، وهو:

أين موقع الأخذ بالظاهر بعد هذا النص وشبهه؟ وكيف تتأتى منه عقيدة؟ وكيف تكفرون المسلمين عليه؟؟؟

بل و يأتي هنا ملفت آخر فيقال:

إذا كان الكرسي، وهو المحتوَى معنىً وليس جسما؛ فيلزم منه أن المحتوِي (أي :العرش) كذلك معنىً، وليس جسما أيضا؛ وعند ذلك يكون مفهوم الاستواء غير ما بنوا عليه قواعد الجلوس على العرش؛ فما يكون الحكم من الجلوس على المعنى؟ وهل تكون المعاني مما يصح الجلوس عليها؟

بل يثبت بذلك أن الاستواء هو بمعنى الاستيلاء، وهو معنى القهر على العالمين إيجادا، وإعدادا، وإمدادا !

فيأتي هذا النص العجيب على خلاف ما عليه نص، وقرر المجسم أن الله تعالى جسم، وأنه قد احتوى على الملك والعالم؛ ويكون بذلك قائل بالحلول والإتحاد، ولعله يقصد اتحادا، وحلولا بذات الإله على الوجه الذي يليق به، ويكون بذلك قد قرر النقص، والباطل في حق رب العالمين شريطة أنه باطل ونقص على الوجه الذي يليق به !!!

وإنه لما يؤكد ذلك، وليعلم بأن الأمر متعلق بعقيدة الأمة، وليس بآحاد منها، فيقرر التابعي العالم الخبير، سعيد بن جبير ذلك أن: المراد بالكرسي هو العلم،

وأن الكرسي يفهم ظاهره الجلوس، وأنه منفي عن المولى الكريم من باب نفي الاحتياج، ونفي الجسمية، ونفي العلائق الخلائقية؛ فيما يخص الذات العلية؛ وأن كل ما جال بخاطر البرية؛ فهو وصف يخص البشرية؛ فعلى قدر تصورهم يدركون، والمولى العلي خارج عن حدود الإدراكات التحتية، والحمد لله مليك العوالم العلوية، والسفلية، والمنزه عن الحلول في الظروف الكونية !

[*] ما جاء في التأويل للاستواء بالاستيلاء:

[*]في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[٥] قال:

قال مجاهد: استوى، وقال غيره: أظلم وسكن[٦].

أخبر الإمام البخاري ﷺ أن معنى كلمة سجى التي وصف بها الليل: هو أن الليل أظلم وسكن؛ فيكون معنى سجى: أن الليل قد خيم على ما يدخل في دائرة محيطه؛ فيغمر حيزه بالظلام، ولا يغيب شئ مما هو في محيط دائرته عن الدخول في هذا الظلام؛ فكأنه نوع من الاستيلاء على ما يقع في محصور محيطه، ويخيم عليه جميعه بالعتمة.

ثم يذكر الإمام البخاري رواية عن الإمام التابعي مجاهد بن جبر قوله:

أن معنى سجى الليل : استوى، وهو معنى شريف مستدفع للنظر في معنى الاستواء القاضي: ببسط الليل تخييم ظلامه على ما تضمه دائرة قانونه؛ فيكون الاستواء عنده قاض بأنه على معنى الاستيلاء بالظلام على محيطه، وأن هذا الاستيلاء كذلك على غير معنى المنازعة، والمغالبة؛ بل يفرض الليل ظلامه؛ بلا مغالب ينازعه في بسط عتمته على ما يقع في دائرته!

فتكون روايات شيخ الإسلام أبو عبد الله البخاري الإمام قاضية:

[٥] الليل / ٣

[٦] صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٩١)

بأن الاستواء هو الاستيلاء، وأنه استيلاء بلا مغالبة، وهو المراد في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ وأنها على معنى الاستيلاء الذي فرض السلطان الإلهي، وبلا مغالب ولا منازع له جل شأنه، والحمد لله على كرمه.

[*]تأويل العرش عند الصحابة ﷺ:

• حدثني محمد بن المثنى، حدثنا فضل بن مساور ختن أبي عوانة،حدثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر ﷺ: سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ.

• وعن الأعمش، حدثنا أبو صالح، عن جابر عن النبي ﷺ مثله؛ فقال رجل لجابر: فإن البراء يقول: اهتز السرير؛ فقال: إنه كان بين هذين الحيين ضغائن، سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ[٧] .

قلت: وهذا تأويل من أحد الصحابة الكرام لمعنى العرش: أنه ليس على معنى الكرسي العظيم المعد للجلوس، وإنما جعله على معنى محفة الجنازة، التي يجعل فوقها الميت، على الرغم من أنه قد أضيف في الحديث الاهتزاز إلى عرش الرحمن، فلم ينسب الاهتزاز إلى متعلق الصورة الذهنية إلى عرش، هو محل جلوس لرب الأكوان – تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا -؛ بل جعله اهتزاز لمحفة الجنازة، من حيث اتحاده في معنى المعروش، وهذا صرف للمعنى عن الظاهر من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، إلى معنى يتعلق بالمخلوق، ونفي المعنى عن الخالق جل شأنه، أما رد جابر رضي الله تعالى عنه؛ فهو لا يتعلق بأن العرش نفسه يهتز؛ بل يقدر هناك محذوف وهو كلمة أهل ؛ فيكون المعنى: اهتز أهل العرش استبشارا بقدومه سعد بن معاذ رضي الله عليهم، كما أخبر النووي وغيره[٨]، ولكنني أقول:

[٧] صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٨٤)

[٨] شرح النووي على مسلم - (ج ١٦ / ص ٢٢)، تحفة الأحوذي - (ج ١٠ / ص ٢٣٥)

أن المعنى الذي ذهب إليه البراء من صريح التأويل: أنه يقصد سرير الجنازة هو الأقرب، أما حديث اهتز عرش الرحمن ودلالته؛ فأقول فيها: إن الإضافة إلى الرحمن تكون من إضافة التشريف، ويدل على هذا حديث الذي فيه:

• قال البيهقي: باب ما روي في الوطأة بوج:

• أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، حدثنا محمد بن عباد، حدثنا سفيان، عن إبراهيم بن ميسرة، عن ابن أبي سويد، عن عمر بن عبد العزيز، قال: زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم ﷺ: أن النبي ﷺ خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته، وهو يقول: والله إنكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون، وإنكم لمن ريحان الله تعالى، وإن آخر وطأة وطئها الرحمن جل وعلا بوج قلت: قوله: لمن ريحان الله يعني به: من رزق الله عز وجل([9]).

ففي هذا الحديث قد نسب الوطء على معنى غزوة النبي ﷺ لوج وهي الطائف؛ فالنبي ﷺ لا يتسمى ولا غيره بالرحمن، وهو من غزا الطائف؛ فكان ذلك من باب الإخبار على جهة الإضافة المتعلقة بالتشريف، وبالطبع هنا ملفت : اتفاق الحديثين في الإضافة إلى الرحمن، كما أن الأمة قد استقر فيها نفي كون الاهتزاز متعلق بالعرش المضاف إلى الله تعالى، وإنما يضاف إلى سرير الجنازة؛ حتى كتب اللغة نقلت هذا المعنى فقال ابن الأثير في النهاية في غريب الأثر:

العرش ها هنا : الجنازة وهو سرير الميت، واهتزازه: فرحه لحمل سعد عليه إلى مدفنه ([10]).

• وقال ابن منظور في لسان العرب:

والعرش : الجنازة، وهو سرير الميت، قيل : ومنه الحديث اهتز العرش لموت سعد بن معاذ واهتزازه : فرحه بحمل سعد عليه إلى مدفنه ([11]).

[9]) الأسماء والصفات - (ج ٢ / ص ٣٨٨)
[10]) جاء في النهاية في غريب الأثر - (ج ٣ / ص ٤٣٧)
[11]) تاج العروس من جواهر القاموس - (ج ١٧ / ص ٢٥٣)

وأضيف أخيرا للتأكيد: أن العرش هو بمعنى المعروش، قد جاء بذلك الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، والأثر المعتبر القويم لابن عباس ﷺ؛ فارجع إلى متعلقات ذلك في كتابنا: عقيدة المسلمين في عرش رب العالمين تجده يفي بتفصيل المسألة.

أما رواية الإمام البخاري: فيما أخبر عن: مجاهد حيث قال: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ علا ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾([12]).

فهو مصروف على ما روى الأئمة: سعد بن علي الزنجاني، وأبو الفضل التيمي: أنه على معنى علو الغلبة والقهر، على ما روى ابن القيم فقال:

• أن إمام الشافعية في وقته سعد بن علي الزنجاني قال:

أجمع المسلمون على أن الله هو العلي الأعلى، وأن لله علو الغلبة والعلو الأعلى من سائر وجوه العلو، فنثبت بذلك أن لله علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة. انتهى ([13]).

• وذكر أيضا عن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي أنه قال في كتاب "الحجة ": قال علماء السنة:

إن الله عز وجل على عرشه بائن من خلقه، وقال أيضا: أجمع المسلمون أن الله سبحانه العلي الأعلى. قال: فنثبت أن لله تعالى علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة انتهى([14]).

وأما رواية الإمام البخاري ﷺ، حيث قال: قال أبو العالية: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ ارتفع ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾([15])، خلقهن ([16]).

[12]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٨) باب وعرشه على الماء
[13]) اجتماع الجيوش الإسلامية - (ج ١ / ص ١١٨).
[14]) اجتماع الجيوش الإسلامية - (ج ١ / ص ١٠٧).
[15]) البقرة /٢٩
[16]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٨) باب وعرشه على الماء

فهو مصروف إلى أمره تعالى بما قال جل شأنه: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾، ولا يتصور أن الله تعالى كان أسفل، ثم ارتفع؛ فيكون هناك أعلى منه شئ، وإلا جاز لهم القول بـ: سبحانه ربهم الأسفل، وإن كان قد صرح بذلك بعض الجهلة والمجرمين من المجسمة؛ فإننا نجزم بتوبتهم عن ذلك، والحمد لله هنا وهنالك.

[*]في نفي الفوقية الحسية:

ذهب قوم إلى ظن الجسمية، في حق خالق البشرية، ونسبوا له – تعالى عما يقولون – أنه له فوقية حسية على العرش؛ حتى صرحوا بأنه – حاشاه – يجلس على العرش؛ بل ويعتقدون بأنه جل شأنه يجلس بجواره النبي ﷺ فوق العرش، مع أن الوارد في شأن العرش: هو العلو عليه على معنى القهر والسلطان، وليس علو الذوات؛ بالتحيز في مكان مجلس العرش؛ فلا يوصف العظيم جل جلاله بالظرفية في مكان، وإلا كان الظرف حاكم لأبعاد ذاتية تخصه، ويلزم من ذلك أن لذات الله قدر مخصوص من مادة تليق به، وتصير بذلك له ماهية تخضع لقوانين جنس من الأجناس الكلية، والمعايير الشخصية، والعجيب أن أولئك القوم قد وصفوا ربهم بجميع تلك المحالات المنزه عنها رب الموجودات الكونية؛ فقالوا:

- بأن ربهم جسم ولكن بقيد أنه لا كالأجسام، أي أكبر وأضخم.
- وبأن ربهم من مادة النور، وبأن له ثقل مادي حتى إن العرش ليثقل به على الملائكة، حتى يخفف عنهم.
- وبأن ربهم له هيئة وصورة بشرية كبيرة تليق به أعظم مما للبشر.
- وبأن ربهم موصوف بالأعضاء والجوارح والأبعاض؛ إلا ما كان يخص آلات الغذاء كالكبد والطحال، أو آلات الجماع كالفرج؛ فإنه ينزه عنها.
- وبأن ربهم يجلس على العرش، ويقعد عليه مع نبيه.
- وبأن ربهم موصوف بالتمكن في المكان، وأنه جعل العرش مكانا له.
- وبأن ربهم يحتاج لجهة وحيز ولذلك فقد خلقهما لنفسه.

- وبأن ربهم محيط بالعرش من جميع الجهات بذاته، وهذا يعني أن العرش بما فيه من جميع المخلوقات قد حل في ذات الإله الكبير الواسع الحجم والمساحة؛ فهو عندهم قد أحاط بالعالم بذاته من جميع جهاته.
- وبأن ربهم أصغر من العالم، وأنه يتحرك فيه بذاته؛ فينزل ويصعد، ويجئ فيه ويأتي، ويهرول (يجري)، وأنه يقترب بذاته، ويبعد.
- وبأن ربهم يمكن أن يؤذيه خلقه، وأن يمل، وأنه يتردد، وأنه ينسى، ولا ينظر إن أراد، وأنه يمكر، ويستهزئ، ويخادع على الحقيقة في جميع ذلك.

والمستشنع المستبشع في تصريحاتهم الضالة أنهم:

وصفوا ربهم بالسفول والصفة التحتية، كما وصفوه بالفوقية!!!!!

فيكون على متعلق دينهم الضائع تعبدهم لله بقولهم: سبحان ربهم الأسفل!!!

مع أن حقيقة ونص الوارد في كونه على العرش، حسبما روى شيخ الإسلام البخاري الإمام: هو اللوح المحفوظ، وليس هناك نص بالفوقية على العرش إلا لهذا اللوح الشريف، المحتوي على علوم الكون، وأفعال الله فيه، كما روى البخاري ذلك بقوله:

- حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: " إن الله لما قضى الخلق: كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي [١٧]".
- حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال:" لما خلق الله الخلق: كتب في كتابه، وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي" [١٨] .

ولذلك يكون المعنى المراد فيما ذكر أنه قضي به في السماوات، أو من فوق سبع سماوات: يقصد به ما هو مسطور في اللوح المحفوظ؛ فهو في السماء حقيقة؛

[١٧]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٠٠)
[١٨]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٤)

لأن كل ما كان في أعلى فهو في سماء؛ لأنه السماء اسم لما هو عالي؛ حتى لو كان سقف الحجرة؛ فيسمى سماء، كما جاء في اللغة، أو فوق العرش، كما روى الإمام البخاري: أن الفوقية على العرش مقصورة على الكتاب المكنون، وهو لوح ربنا المحفوظ؛ فيفسر به ما جاء فيما:

• حدثنا أحمد، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو؛ فجعل النبي ﷺ يقول:" اتق الله وأمسك عليك زوجك"، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا؛ لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ، تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات"([19]).

وليس فيها دلالة على تحقق مكانية الذات العلية، وإنما تدل على أن القدر بذلك والقضاء مكتوب في اللوح المحفوظ الوارد في حقه أنه على العرش وهو فوق السماوات السبع.

• حدثنا خلاد بن يحي، حدثنا عيسى بن طهمان قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ. يقول: نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش، وأطعم عليها يومئذ خبزا ولحما، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء([20]).

• ما جاء في تأويل ما يظن أنه وارد في إثبات صفة الفوقية الحسية :

• في قوله تعالى ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾:

قال ابن عباس: ﴿بِسَبَبٍ﴾ بحبل إلى سقف البيت ([21]).

([19]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٩)
([20]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٠٠)
([21]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٦)

وجه الدلالة :

قلت : وهذا من المجاز المرسل لعلاقة المحلية ؛ وليس على اعتبار أن ما يتبادر من معنى السماء هو هذه السماء التي تظلنا، وأن كلمة سبب شأنها معنوي يتعلق أحيانا بالماديات حسب تعدد مواد الاستعمال ؛ فأتى عبد الله بن العباس ﷺ ليقرر أنها بمعنى : حبل مربوط إلى سقف البيت، وانظر إلى أنه جعل السماء هو سقف البيت، لأن السقف محله في جو السماء وهي محله، وليس هو السماء ؛ فليس كل سماء هي ما عهدنا مما نرى ؛ فأين يكون محل أن الله - تعالى عما يقولون – في السماء، ويعنون بذلك الظرفية !، وأين يكون موقع ما يمتحنون به بسطاء القوم من سؤالهم لهم بأين الله ؟ ومن هذا التأويل ل عبد الله بن العباس قد وسع من استعمال السماء ففي أي سماء يكون - سبحانه عما به يضلون - ؟ ألا إن في إنكار العلوم الشرعية ضياع وعمى، نرجو لهم الإبصار فإنه بعد الظلام لجدير بأن يسجد شكرا لله على ما به هدى وبصَّر سبحانه جل جلاله .

[**]حقيقة النزول:

• حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن أبي عبد الله الأغر، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:" يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة، إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له "([22]).

قلت: قد جاء في صحيح الكثير من الأحاديث الخبر: بأن الله جل وعلى ينزل في الثلث الأخير، وينادي على طالبي مغفرة الذنوب، وراغبي عطايا ربهم، وظن قوم نقصت عندهم علوم شريعة الهدى، وقصرت لديهم همم البحث المؤيد بالتقى؛ فوصفوا ربهم – جل وعلى عما يقولون علوا كبيرا – بأنه ينزل نزولا حقيقيا ذاتيا؛ فوصفوا ربهم بالمستحيل؛ الذي يستدعي أن يحل في العالم؛ حتى ينزل فيه بذاته،

([22]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٣)

ويلزمه أن الله أصغر من العالم الأرضي؛ مع أنهم يصرحون بأن الله فوق السماوات، وما الأرض فيها إلا كذرة رمل في عوالم الصحاري، ولكنهم غاب عنهم التحقيق، بقلب من هيبة الله شفيق، والتدقيق الواجب أن يكون في حق متعلق ذاته تعالى عميق؛ فلزمهم في دينهم أمورا مستشنعات، وعقائد في حق مليكهم مستبشعات.

وفي هذا المحك المهلك للخائض فيه بغير هدى من الله؛ انتفض شيخ الاسلام أبو عبد الله البخاري الإمام، مبتغيا وجه هذا الإله ؛ فأزال الشبهة، ورفع بؤرة الفتنة؛ بأن المقصود بالنزول هو الملائكة، أو أمر الله العظيم؛ فقال:

[*]في قوله تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[٢٣] قال:

قال مجاهد: بين السماء السابعة، والأرض السابعة [٢٤].

وفي هذا النص يؤكد الإمام البخاري، رواية عن الإمام مجاهد، موضحا يقين صريح الآية الكريمة: أن النزول متعلق بالأمر المرسل به من الملائكة كأسباب، لا برب الأرباب، وهو ماجاء فيما:

* حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة: يبلغ به النبي ﷺ قال:" إذا قضى الله الأمر في السماء: ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان - قال علي وقال غيره صفوان ينفذهم ذلك -؛ فإذا ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [٢٥].

* حدثنا خلاد بن يحيى، حدثنا عمر بن ذر، سمعت أبي يحدث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ: أن النبي ﷺ قال:

" يا جبريل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؛ فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾، إلى آخر الآية، قال كان هذا الجواب لمحمد ﷺ [٢٦].

[٢٣]) الطلاق/ ١٢
[٢٤]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢١)
[٢٥]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٠)
[٢٦]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٣)

* وأن النداء الوارد في الأحاديث يتعلق بالملائكة كذلك، أما رب العالمين فكيف يتسنى أن ينادي بما لا يسمعه أحد من الخلائق؛ فلم يسمع كلام الله إلا موسى كليم الله عليه السلام؛ وإلا لزم أن يكون جميع الخلق من الصالحين كليمو الله، وهو ما لا يقل به مسلم.

* وفي النظر في اعتبار أن الله تعالى ينزل وينادي، ولا يسمع ولا يرى؛ فكان فعله عند ظان ذلك يفيد: العبث من فعله تعالى، وهو على الله محال.

* كما أن ظن نزوله في الثلث الأخير بذاته؛ يلزم منه الكثير من المحذورات الكبريات، التي يتبرأ منها معتقدي ذلك، ومنها :

* أنه يلزم أن الله لا يزال في حال نزول دائم؛ لاعتبار بقاء الثلث الأخير من الليل بحسب اختلاف المطالع في البلاد؛ فهو زمن دائم يمر بكل بلد، بعد الأخرى؛ بحسب حركة دوران القمر حول الأرض.

* أن القائلين بهذا المعتقد الفاسد يذكرون: أنه نزول حركة وانتقال، وهذا يفيد من المحذورات العقدية: أنه يخلو منه العرش عندهم، مع أنهم يصرحون بأنه الله بذاته على العرش.

* أنه يلزم من قولهم ذلك: أن الله ليس مستوي على العرش، كما يقولون.

* كما يلزم منه الاحتياج في الذات العلية؛ وإلا فما يدفع الكريم الذي إذا أراد أن يفعل شيئا؛ فما يكون منه إلا قوله تعالى: كن؛ فيكون، أما أن ينزل دائما بذاته: أنه محتاج إلى هذا النزول؛ حتى يقرب بذاته من خواص خلقه!

* كما يلزم من ذلك: أن الله يقرب من المحسنين بذاته، وقد صرح به أصحاب هذا المعتقد الفاسد، وهو من الضلال الذي لا شبهة فيه؛ لأنه تصريح من نوع مستشنع بالحلول والاتحاد في العالم.

* كما يلزم عنه الكثير من فاسد المعتقدات التي لو استقصيتها: لأطلت الرسالة عن حدها، ونرى أن في ما ذكرنا من المحذورات ما يكفي لذي دين.

والدليل كذلك على أن الذي ينزل هو الملائكة، وأن فعلهم مضاف إلى الله تعالى؛ فكأنه هو الذي نزل، وهو من بلاغة اللغة والقرآن؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ مع اعتبار قوله تعالى: ﴿ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴾ وهم الملائكة بلا شك، كما روى الإمام البخاري ﷺ:

• حدثني إسحق، حدثنا عبد الصمد، حدثنا عبد الرحمن هو ابن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا: نادى جبريل، إن الله قد أحب فلانا فأحبه؛ فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء:إن الله قد أحب فلانا فأحبوه؛ فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في أهل الأرض[٢٧] ".

فالنداء من جبريل هنا وفي غيره، ووضع القبول في الأرض بعدما نزل بحبه من أمر الله: مضاف إلى الملائكة، وليس إلى الله العظيم سبحانه، وهناك رواية عند النسائي أن الله يرسل مناديا في الثلث الأخير من الليل، وهناك روايات كثيرة على إرسال المناد؛ حتى يوم القيامة، تجد ذلك جميعه مسطورا في رسالتنا/ الهدى المقبول في حديث النزول، تحت الطبع .

• كما أورد الإمام البخاري في تأويل ظاهر الإحاطة، إلى نفي كونها إحاطة بالذات، وأنها بمتعلق الصفات فقال:

قال مجاهد ﴿ إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ﴾[٢٨] أصحابهم من المنافقين والمشركين، ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[٢٩]: الله جامعهم [٣٠].

[٢٧]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢١)
[٢٨]) البقرة / ١٤
[٢٩]) البقرة / ١٩

[•]وقال في قوله تعالى: ﴿ أَتَّخَذْتَهُمْ سِخْرِيًّا ﴾[٣١] أحطنا بهم [٣٢].

[•]وقال في قوله تعالى : ﴿ أُحِيطَ بِهِمْ ﴾[٣٣] دنوا من الهلكة، ﴿ وَأَحَطْتَ بِهِ، خَطِيئَتُهُ ﴾[٣٤].

فتقرير الإمام البخاري وتأويله لقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ على معنى أنه: الله جامعهم؛ يفيد أنه ليس محيط بالكافرين إحاطة ذاتية، القاطعة بفاسد معنى أن العظيم تعالى عما يقولون: بذاته ظرف مكان للكافرين، قد احتوت ذاته عليهم، وهو منفي عند الإمام أبو عبد الله البخاري شيخ الإسلام عند أهل السنة لأن المولى تعالى لا يقبل أن يحل في شئ مكانا أو زمانا، ولا يحل فيه شئ، لاعتبارات منها:

• أن هذا يصح لذات تقبل الاتصال والانفصال، وهذا مستحيل في حق الذات العلية؛ لأن هذين المعنيين يقتضيان التعلق بالحوادث (المخلوقات) المجسمات، والعلائق المساحية.

• أنه لو قلنا بقبول ذاته تعالى ذلك لكان من جنسها يخضع لقوانينها، والله تعالى لا يندرج تحت جنس، وليس من الكليات التي تتحقق الشركة لأفرادها؛ فالله تعالى لا شريك له.

• أننا لو سلمنا بهذه المعاني الباطلات؛ لاقتضى المحال المجمع على استحالته، وهو الحلول والاتحاد؛ سواء كان بحلول شئ في داخل ذاته، أو بحلول ذاته في شئ.

[٣٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٢٤)
[٣١]) ص/ ٦٣
[٣٢]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٨)
[٣٣]) يونس / ٢٢
[٣٤]) البقرة ٨١ / (٣٤)

ومع ذلك فقد استدل بعض أصحاب الضلال بذلك، وصرح بأن ربـه بكـل شيء محيط بذاته، وأن هذا مقتضى اسمه تعالى : المحيط، والواسع، والكبير، والظاهر، والباطن، وأن هذه الأسماء حقيقة في ظواهر معانيها، حتى إن الظاهر ليفيد الفوقية الحسية الذاتية، وأن اسمه تعالى الباطن ليفيد التحتية، الحسية الذاتيـة، وأنـه تعـالى محيط بذاته بالعالم من كل جهة، ومن حيث أنه تعالى محيط بالعرش مـن كل جهـة، والعرش محيط بالعالم كله من كل جهة؛ فصرح بأن ربه محيط بالعالم بذاته مـن كل جهة؛ حتى أن منهم من صرح بوصف الكبير جل جلاله بالسفول والتحتيـة، وهـذا نص صريح بالحلول والاتحاد؛ فسبحان الملك الصبور على من يـسبه، وينـسب إليـه المستحيل، ومع ذلك يرزقهم ويمنحهم الزمن الطويل؛ فلا إله غيره، ولا رب سواه.

ولهذا جاء تأويل الإمام البخاري لهذه الأسماء، وأنها على معنى تقدير محذوف، وهـو الإحاطة، والظهور، والبطون له تعالى؛ إنما يتعلق بالعلم، وليس بالذات؛ فجاء:

[*]في تأويل اسم الله الظاهر واسم الله الباطن :

قـال يحـيى: ﴿وَٱلظَّـٰهِرُ﴾ على كل شيء علمـا، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾([٣٥]) على كل شيء علما ([٣٦]). ويقال: الظاهر على كل شيء علما، والباطن على كل شيء علما ([٣٧]).

فكان الظهور والبطون عند الإمام البخاري ليس بالذات كما يفقه المبطلون، وإنما بالعلم؛ فالله رب العالمين، لا يدخل في العوالم ولا تـدخل فيـه؛ فمـا للـتراب ولرب الأرباب، وأن التعالي بالظهور وبالبطون قاطع بالتنزه عـن التعلـق بالجهـات والأماكن والأحياز؛ فلو كان ظاهرا على جهة الحس والحقيقة ؛ لانتفى عنه البطون،

---

[٣٥]) سورة الحديد آية /٣
[٣٦]) صحيح البخاري - البغا - (ج ٦ / ص ٢٦٨٧)
[٣٧]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٥١)٧

ولو ثبت في حقه تعالى البطون حقيقة لا نتنفى الظهور حقيقة، ولـو ثبـت في حقـه تعالى كليهما ؛ لكان حاويا للجميع ومحلا له، والجميع باطـل ؛ فـكان دليـلا حاسـما وبرهانا قاطعا، ونورا ساطعا بأنه تعالى خارج عن حيثيات المكان، ومنزه عن الوصف بالتمكن، وممتنع عليه تعالى الحلول والاتحاد ؛ جل شأنه.

Courtesy of Darul Tahqiq www.darultahqiq.com

المطلب الثاني
قضية نفي الزمان عن خالق الأزمان

روى الإمام البخاري ما يدل على استحالة تعلق الزمان بالمولى العظيم أزلا وأبدا فقد كان الله ولا شئ غيره، والزمان مخلوق، وليس من المخلوقات شئ أزلي البتة، وإلا شاركه في الأزلية وهو محال ؛ فقال:

* حدثني يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[38]﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[39]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[40]، فكأنه كان ثم مضى؟

فقال ابن عباس: سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي: لم يزل كذلك؛ فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد؛ فلا يختلف عليك القرآن؛ فإن كلا من عند الله ([41]).

يدل لفظ كان على فعل يتعلق بالزمن الماضي، وقد سأل هذا السؤال أحد الخوارج لحبر الإسلام، وترجمان القرآن، ابن عباس ﷺ؛ بفهم أن الله كان شيئا وانقضى.

* حدثنا أبو سعيد الاشج، ثنا اسحاق بن سليمان الرازي، عن عمرو بن ابى قيس، عن مطرف، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتاه رجل فقال: سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ كأنه شيء كان قال: أما قوله: ﴿وَكَانَ﴾ فإنه لم يزل، ولا يزال، وهو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وهو بكل شيء عليم ([42]) . [صحيح]

---

[38]) النساء/ ٩٦
[39]) النساء/ ٥٦
[40]) النساء/ ٥٨
[41]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٤)
[42]) تفسير ابن أبي حاتم ج٤/ص١١١٢

وفي إيضاح ما وراء سطور تلك التعبيرات العوالي أقول ابتداء:

إن تعريف الزمن: هو مقدار الحركة التي يستغرقها جسم في الانتقال من موضع لآخر، وهذه الحركة لها بداية ولها نهاية.

وأن في هذه الرواية أيضا أكثر من تقعيد في المعتقد:

أن قوله : ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ تقرير بخروج الذات العلية عن الزمن؛ من حيث أنه أول بلا أول، وآخر بلا آخر، أما كل زمن فله أول، وله آخر، وأنه عبارة عن مقدار ما يستهلكه جسم من الحركة، من موضع إلى موضع، أو بالأحرى هو عبارة عن مقدار ما يستغرقه دوران جسم حول آخر، كما هو متحقق من قياس مقدار ما يستغرقه دوران الأرض حول الشمس، لمقياس العام، ومقدار ما يستغرقه القمر من الدوران حول الأرض، لمقياس اليوم ليله ونهاره وساعاته.

وإذا ما نظر إلى هذه الحقائق فلابد من الالتفات إلى أولئك القائلين: بأن الله في زمان، وأن الله - تعالى عما يعتقدون- يتحرك وينتقل بذاته، ويسألهم:

ما هو هذا الذي يدور الله حوله، أو يدور هو حول الله؛ حتى تدخلونه فيما هو في مضلل خيالاتكم: بأن الله في زمان؟؟؟!!!

وكذا يعلم من هذه التعبيرات بالمتقابلات الإلهية في قوله تعالى:

{هو الظاهر والباطن} فهو تعبير فصيح، وفيه ملمح مليح، من حيث :

أنه دال على نفي المكان عن رب الأكوان جل جلاله؛ لأن قوله:

الظاهر: يفيد أنه المنفصل عمن سواه، المترائي بعد منتهى من يراه.

والباطن: يفيد أنه المتصل بغيره، والمتواجد في بينيته، وعلائق مساحيته.

ولما كان الظاهر معنى محال لأنه منقوض بالباطن، والباطن محال في ظاهره؛ لاقتضائه الحلول والاتحاد؛ فوجب أن يكون معنى الاسمين محمول على المبتدأين المحذوف والمتحد خبرهما، وهو العلم الذي أتى به:

[*] في تأويل اسم الله الظاهر واسم الله الباطن :

قال يحيى: ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ على كل شيء علما، ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾[43] على كل شيء علما ([44]).

ويقال: الظاهر على كل شيء علما، والباطن على كل شيء علما ([45]).

فلما كانت دلالة الظهور والبطون الحسية باطلة؛ دل على أنه تعالى خارج عن متعلقهما، وأنه غير قابل لهما؛ فدل ذلك على أنه تعالى خارج عن الحسي من المكان كذلك؛ فسبحانه المتفضل بالعلم، وهذا أثبتناه في القضية السابقة، ولكنها تتأكد بهذه، والحمد لله المنعم.

كما يدل على ذلك قوله: [لم يزل كذلك]:

أنه جل شأنه لا يتغير، ولا يتحول عما كان عليه في الأزل؛ فكما كان سبحانه على الكمال المطلق؛ ولا يجوز أن يستجد من الكمالات شئ، وإلا كان ناقصا قبلها – سبحانه عما يفتري الظالمون – فهو كما كان على جماع التنزيه والقدسية.

قلت: ليس عند المتعال جل جلاله زمان يتعلق به تعالى؛ فالزمان مخلوق له سبحانه، وليس عنده ماض، ولا حاضر، ولا مستقبل؛ بل هو جل شأنه خارج عن جميع ذلك، باق على أزليته؛ فقد كان ولا زمان، ولا مكان، ولا شئ سواه تعالى، وهو باق بأبديته التي لا يتغير فيها عن أزليته، ومن جوز على الله العظيم التغير فقد عرض نفسه للكفر؛ لأن جميع دواعي التغير تقتضي النقص، وهو عليه جل جلاله محال، كما بينا في غير موضع.

كما أن الزمان في حقيقته: هو تجدد حركة موهومة عند الاقتران بتحرك شئ معلوم؛ فهو للبشر عبارة عن مقدار تحرك الأرض حول نفسها، لإمضاء زمان اليوم

[43]) سورة الحديد آية /٣

[44]) صحيح البخاري - البغا - (ج ٦ / ص ٢٦٨٧)

[45]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٥١)

والليلة، وحول الشمس لإمضاء زمان السنة، وهي تختلف عن سنة المريخ، وعن سنة الزهرة، وبلوتو، وزحل، وعطارد، والمشترى، وتختلف بمقادير قد علمت عند الفلكيين حساباتها، تتعلق بالمجرات والنجوم الأخرى، والجميع مخلوقات العظيم سبحانه الذي أبدع السماوات ومن فيها، وقدر فيها حركاتها، وأزمنتها الخاصة بها، ولم يخلق له غيره تعالى حركة ينجذب فيها بحركة غيره، ولا حركة فيه يجذب بها غيره إليه من حوادث العالم، ومخلوقاته؛ فلا تعلق بين الأزلي الأبدي بالعوالم؛ فلا يصح أن يقال عن الله الكبير: كان بما يفيد سابق الزمان؛ بل هي على معنى التحقيق والإعمال لما أرداه العظيم ودبر له قوانينه، تفضلا منه تعالى على من شاء من خلقه.

الفصل الثاني
الصفات الواجبة للذات العلية

يجب لله تعالى كل كمال يليق بذاته العلية، وكمالات العظيم جل جلاله لا تتناهى؛ فلا يحصرها عد، ولا يحيط بها عبد، فيجب على المسلم الاعتقاد والإيمان اليقيني بالتنزيه لله صاحب الغنى المطلق جل شأنه؛ لأنه الملك القدوس- أي: المنزه عن كل نقص-، ومن حيث إنه لو لم يجب له تعالى الكمال لجاز عليه النقص، ولو جاز عليه النقص لانتفى عنه وصف الألوهية، ولو جاز سلبه عن الألوهية لانتفت صفات الخالقية، والرازقية، بل يجب عندها انتفاء الكون والوجود؛ فلما كان الكون موجودا على غاية من الدقة والإعجاز؛ دل على وجوب اتصافه تعالى بجميع الكمالات اللائقة بالإله؛ وكمال الله فوق ما يحيط به بني البشر؛ بل كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك؛ وفي هذه الرسالة الوجيزة مما أورده الإمام البخاري ﵀ من مدركات علم التوحيد: نأتي بتفصيل ما جاء عنه، ورواه على قدر متوسط بين الإجمال والتفصيل لعلائق هذا العلم الشريف، ونتناوله على مباحث فيما يتعلق بما يجب لله تعالى من الصفات، وما يجوز، وما يستحيل، على النحو التالي:

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com
www.darultahqiq.com

المطلب الأول: الصفات الذاتية

الصفة الذاتية هي الصفة الثابتة التي يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد على هذه الذات؛ كقولك مثلا: الله أزلي؛ فوصف الأزلي يدل على ذات رب العالمين الثابتة المتحققة؛ بخلاف صفات المعاني، كقولك: الله قادر؛ فإنها تدل على الذات مع معنى زائد عليها وهو القدرة؛ فلهذا كانت القدرة صفة معنى، وليست صفة ذاتية لرب البرية، والصفات الذاتية ست صفات نفصل ما جاء عن الإمام البخاري فيها على ما يأتي:

صفة الوجود

وهي صفة ثبوتية، يدل الوصف بها على نفس الذات، دون معنى زائد عن الذات؛ فتدل على الذات المتحققة الثابتة، بلا معنى زائد على حقيقة الوجود في قولك: الله موجود، ولهذا يطلق عليها عند علماء الاعتقاد: الصفة النفسية؛ لأنها تدل على نفس الذات، دون معنى زائد، بخلاف قولك: الله عليم؛ فإنه يدل على الذات العلية، مع معنى زائد عليها، قائم بها، وهو العلم؛ لهذا كان العلم صفة معنى.

ودليل الوجود: أن الكون وما فيه وما سواه مخلوقات، قائمة بعد أن لم تكن؛ في العدم ارتكزت، وإلى الوجود بعده ظهرت، وهذا الظهور يستدعي من أوجدها، وخالق لها خلقها، وهو الله رب العالمين؛ فلن يوجد الوجود متصف بالعدم؛ بل هو جلى وأولى بالاتصاف بالوجود الأزلي الأبدي؛ بما هو فوق الكمال وأعلى، كما ثبت أن الوجود محتاج إلى الله تعالى في وجوده، وفي جميع شؤونه، ومن اتصف بحاجة العالم واضطراره إليه؛ ثبت بالضرورة أن وجود لذاته، ولذلك كان واجب الوجود جل جلاله، كما تفضل علينا جل جلاله بإعلامنا في كتابه العزيز حيث قال الإمام البخاري ﷺ:

• باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾[١٦] [١٧].

• وباب قول الله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[١٨] [١٩].

• وقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٢٠] [٢١].

• وقال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢٢].

• قال ابن عيينة: بين الله الخلق من الأمر؛ لقوله تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [٢٣].

• حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن كريب، عن ابن عباس ﷺ قال: " بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة، ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر؛ قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح " [٢٤].

---

[١٦]) الأنعام/ ٧٣
[١٧]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٨٩)
[١٨]) الملك/ ١٣ - ١٤
[١٩]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٦)
[٢٠]) الروم /٢٢
[٢١]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٧)
[٢٢]) الأعراف/ ٥٤
[٢٣]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٤٥)
[٢٤]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٦٥)

• حدثنا إسحق، حدثنا عفان، حدثنا وهيب، حدثنا موسى هو ابن عقبة، حدثني محمد بن يحيي بن حبان، عن ابن محيريز، عن أبي سعيد الخدري، في غزوة بني المصطلق : أنهم أصابوا سبايا؛ فأرادوا أن يستمتعوا بهن ولا يحملن؛ فسألوا النبي ﷺ عن العزل فقال: " ما عليكم أن لا تفعلوا؛ فإن الله قد كتب من هو خالق إلى يوم القيامة " . وقال مجاهد عن قزعة: سمعت أبا سعيد فقال: قال النبي ﷺ: " ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها ([٥٥])

[٥٥]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٥)

صفة الوحدانية

والوحدانية تعني عدم الكثرة ولا التعددية: سواء في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، ومعنى التوحيد في الذات: أن الذات العلية ليست مجموع كثير منه تركبت، وأنه ليس هناك كثرة موصوفة بهذه الصفات العوالي؛ فلا إله غيره، ولا رب سواه.

أما توحيد الصفات: فهو بمعنى عدم الكثرة في نوع الصفة؛ فليس له قدرات متعددة كالبشر؛ بل له صفة القدرة تتعلق بإنفاذ الوجود لكل المقدورات، كما لا تتعدد عنده صفة البصر؛ بل تتعلق صفة البصر بكل المبصرات؛ كما أن صفاته تعالى متوحدة في ذاته تعالى؛ لا شبيه لها، ولا تكرير عند سواه منها أما توحيد الافعال: فهو أن جميع المكونات تكونت بأمره وحده تعالى؛ لا شريك له في الملك، كما قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، بل هو جل جلاله خالق العباد وأفعالهم، ولا فعل لسواه تحقيقا ولا تشبيها؛ بل هو المتفرد بالفعل على الحقيقة، وما كان لغيره فهو من باب الاكتساب بالإرادة.

وقد أثبت الكبير تعالت قدرته وحدانيته في القرآن بأكثر من تعبير واستدلال كقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾.

ومما استدل به الإمام البخاري هو سورة الاخلاص حيث قال:

• باب تفسير قوله ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾(الإخلاص):

يقال لا ينون ﴿أَحَدٌ ﴾ أي واحد([٥٦]).

وهنا نص الإمام البخاري على أن معنى الأحد : أي الواحد؛ فحقق معنى الوحدانية بلا شركة بهذا التعبير البسيط واللطيف، وأكده بهذه الرواية فيما:

• حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: " قال الله: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن

[٥٦]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٩٠٢)

courtesy of Darultahqiq
darultahqiq@gmail.com

له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني؛ وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا؛ وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوأ أحد ([٥٧])".

ولكنه أتى في موضع آخر بتفصيل شريف من الحديث العظيم، الذي دلل على أنه ما كان قبله تعالى شيء؛ بل كان وما زال متفردا متوحدا في ذاته، وصفاته، وأفعاله؛ بلا مشارك له في شأنه، ولا شبيه له في ذاته ووصفه، أو فعله؛ فقال:

• حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصين قال: إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن؛ إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت؛ فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وايم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم([٥٨]).

[٥٧]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٩٠٣)

[٥٨]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٩)

صفة الأزلية

وهي صفة عدم أولية وجوده تعالى؛ ولا أسبقية لأحد عليه؛ بل هو أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء؛ فليس لوجوده مبدأ؛ بل هو متفرد في الأزل؛ بلا شريك معه في هذا الوصف ينازعه، ولا ظهير له يقارعه، قد انعدم وصفه بسبق العدم، وجميع الخلق أوجده بكن من العدم، وقد جاء في صحيح شيخ الإسلام الإمام البخاري دليل:

[*]عدم أزلية الأكوان، ونفي حوادث لا أول لها:

• حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا جامع بن شداد، عن صفوان بن محرز، أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: " دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض؛ فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين؛ فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب فوالله لوددت أني كنت تركتها([٥٩]).

وجه الدلالة:

قلت: وهذا النص الصحيح الصريح قاطع بأن المولى تعالى قدره كان منذ الأزل أول بلا ابتداء، وليس معه غيره؛ لا مكان، ولا زمان، ولا كائن، ولا موجود؛ ثم بعد ذلك خلق الخلق بجميع أجناسه، وأنواعه، وألوانه.

وهذا يدل على أن الباري جل شأنه كان منذ الأزل بصفات كماله، وتنزيه ذاته بلا احتياج إلى مخلوق، ولا اضطرار إلى موجود معه لا من إله، ولا من مخلوق.

[٥٩]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٦٦)

وهذا الكمال في غنى الذات العلية يوجب عدم تغيره سبحانه عن غناه، ولا عن كماله؛ وإلا لزم افتقاره، أو نقصه، وهذا محال في حقه تعالى، ومعتقد ذلك يخرج عن ملة الإسلام بلا شك، ولا توقف على أمر.

لأن تغير الإله فيه عما كان عليه في الأزل يستدعي السؤال عن سر هذا التغير عما إذا كان التغير من ذاته، أو من غيره على النحو التالي:

فإذا كان التغير عما كان عليه في الأزل – وقد كان على أعلى الكمال الإلهي – قد صدر عن الذات نفسها فإن ذلك يستوجب: إما أن يكون عن احتياج إلى ذلك التغير، أو لا يكون عن احتياج؛ فإن كان التغير عن احتياج؛ فهو نقص في الذات الإلهية – تعالى عما يقول الظالمون علوا عظيما –، وينظر كذلك في هذا النقص: إن كان عن علة قديمة، أو عن علة حادثة:

فإن كان النقص في الذات قديم؛ فهو طعن في ألوهيته منذ الأزل ولا شطط.

وإن كان النقص حادث طارئ؛ فهو طعن في استمرار الألوهية، والطعن في الاستمرار طعن في الوجود الأزلي؛ وهو دليل على نفي وجود الألوهية أصالة؛ فكانت جميع تلك المعاني بواطل، مستحيلات، مكفرات.

وإن كان التغير قد صدر عن غير الذات؛ فهذا يستدعي أن الخارج عن الذات قاهر عليها وحاكم؛ وجاعل النقص فيها بعد أن لم يكن، وهذا يستلزم كون هذا الخارج هو الأحق بالاتصاف بالألوهية، وليس المقهور؛ بل هذا الأخير مخلوق وليس بإله!

ثم ينظر في قضية التغير من حيثية الداعي إليه؛ فإن كان إلى كمال؛ فهذا يستدعي سبق نقص، وهو على الكبير المتعال محال، وإن كان التغير إلى نقص؛ فهذا يستدعي زوال عن واجب صفات الألوهية، وسلب وجودها، وهذا السلب لها طاعن في وجودها من الأصل؛ لأن ما قبل النقص في ذاته تستحيل أزليته!

ومن هذه المقدمات نقول:

بعدم جواز تمكن الله تعالى بعد أن لم يكن متمكنا؛ وبذلك نقول باستحالة اتصاف المولى تعالى بالمكان، أو بالزمان أبدا؛ حيث لم يتصف بذلك أزلا!

وبعدم جواز الحركة، والانتقال بالذات؛ فيستحيل عليه المجيء، والإتيان، والنزول، والصعود، والاستقرار!

أما المجسمة فقد صرحوا بذلك ودعوا إليه فقالوا:

بأزلية الزمان والمكان، وبوصف ربهم بالحركة والانتقال والمجيء والاتيان، والنزول بالذات، وبالصعود على العرش ثم الاستقرار فيه!!!!

حتى أنهم قالوا بأنه في استوائه على العرش: أنه استوى من لا مكان إلى مكان؛ أي أنه كان غير متصف بوصف ثم اتصف به؛ وهو قول بحدوث صفات الله وعدم أزليتها، وهو وصف بالمستحيل من النقص بلا امتراء، وتصريح بالتغيير في صفاته تعالى، وقد أوصلنا إليك الأدلة؛ فانظر فيمن لدينك ترتجي؛ فإن الله هو الغني العلي!

صفة الأبدية

كما قد ثبت أنه لا بداية لوجود الله العظيم؛ فلا نهاية لوجوده؛ فما أوجب له الأزلية قد أوجب له تعالى الأبدية؛ فلا يلحقه تعالى موت، ولا فناء، ولا آخرية لله الأول والآخر؛ فلا يلحقه عدم جل جلاله.

وقد استشهد الإمام البخاري شيخ الاسلام ﷺ لذلك بما جاء:

[*]في قوله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[٦٠]؛ فسمى الله تعالى نفسه شيئا، وسمى النبي ﷺ القرآن شيئا وهو صفة من صفات الله، وقال: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[٦١] [٦٢].

وجه الدلالة:

قلت: يدل هذا النص الشريف على أمور منها:

- أن كل شئ محكوم عليه بالفناء؛ إلا الله وحده المتصف بصفة البقاء المطلق، وهذا بيت القصيد في هذا الموضع.
- كما يدل قول الإمام البخاري صراحة بأن الله سمى نفسه شيئا.
- فإذا أضفنا دلالة قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾؛ كانت الدلالة المركبة منهما: أن كل شئ هالك إلا شئ هو نفسه.
- وكان بذلك توجيه شريف بأنه الإمام البخاري ﷺ يؤول الوجه بمعنى الذات.

[٦٠]) الأنعام/ ١٩
[٦١]) القصص/ ٨٨
[٦٢]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٨)

صفة القيومية

والقيومية هي : الغنى الذاتي لله الحميد المجيد غنى لا ينفك عنه تعالى، ومعنى أنه ذاتي: أنه لم يحتاج لتحقيق الاتصاف به إلى الغير، في أي شأن؛ وإلا كان ذاك المغني هو الأحق بوصف الألوهية؛ فلم يحتج سبحانه إلى غيره في حقيقة وجوده، ولا في تحقيق كماله جل جلاله؛ بل كل من سواه فقير إليه فقرا ذاتيا لا ينفك عنه؛ فلا ينفك عند العبد فقره إلى مولاه، ولا ينفك عن ربنا غناه، كما قال سبحانه: {يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}، وهنا استشهد الإمام البخاري ﷺ، على هذا المعنى بأن الاحتياج إلى الولد فقر، والله تعالى مستغني بذاته عن الأبوة والبنوة لاقتضائهما النقص، وهما على الله العظيم محالان؛ بل هو الغني بذاته عما سواه على الإطلاق فقال: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[٦٣] [٦٤].

وأنه تعالى يقوم بنفسه، ومقيم لغيره حتى يصيره في معرض الشهود؛ فهو الحي القيوم، وفي حديث أنه اسم الله الأعظم؛ لتضمنه معنى الغنى الذاتي المطلق عن كل قيد؛ فروى البخاري في ذلك وقال:

- حدثني ثابت بن محمد، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن سليمان الأحول، عن طاوس، عن ابن عباس ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: " اللَّهُمَّ ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، أنت الحق وقولك الحق، ووعدك الحق ولقاؤك الحق، والجنة حق والنار حق، والساعة حق؛ اللَّهُمَّ لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت وإليك خاصمت وبك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وأسررت وأعلنت، وما أنت أعلم به مني؛ لا إله إلا أنت ".

[٦٣]) سورة يونس/ ٦٨
[٦٤]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٤٠)

قال أبو عبد الله: قال قيس بن سعد، وأبو الزبير عن طاوس: (قيام)، وقال مجاهد: القيوم القائم على كل شيء، وقرأ عمر: القيام، وكلاهما مدح ([٦٥]).

فهو القائم تعالى على كل شئ، وبه يقوم كل شئ، ولا يقوم سبحانه بشئ؛ بل الكل محتاج إليه، وهو غني عن الاحتياج لسواه، وإليه يحتاج كل من عداه.

ومع ذلك نبت من هذه الأمة من يدعون أن الله يحتاج إلى الجهة فخلقها لنفسه؛ فوصفوه بالمحال من الجهة والحيز، ثم وصفوه بالاحتياج إليهما؛ ويبررون أنه لم يحتج في خلقها لسواه، وإنما احتاج لنفسه، وهو كلام عقيم، وضلال وخيم، فقد شبه ربه بالنجار الذي يحتاج إلى سرير فيصنعه لنفسه، فانظر إلى الانحراف العقدي، وانظر إلى عظيم صبره عليهم، وينتظر توبتهم.

[٦٥]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٠٩)

صفة عدم مشابهة المخلوقات

أو هي كما قال جمهور أهل العلم صفة: مخالفة الله للحوادث(أي:المخلوقات) ؛ فجميع المخلوقات متشابهة فيما بينها، ولو في بعض الوجوه، متشاركة في الأوصاف الجسمانية، أو الجرمية، كالتمكن في المكان، والتعلق بالزمان، أو الخضوع تحت التغيرات الفيزيائية، لأن جميع ذلك وشبهه هو من العالم والعالم مخلوق؛ أما الله رب الأكوان عز شأنه؛ فهو منزه عن جميع العلائق الكونية؛ بل هو من قهرها على هذه الحاجة والافتقار، ونتناول بعض ما أتى به شيخ الإسلام الإمام البخاري أبو عبد الله ﷺ، من خلال بعض القضايا الآتية:

قضية نفي التشبيه عن صاحب التنزيه

أورد الإمام البخاري ﷺ تصريحا في هذه القضية:

[*]في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾([٦٦])، وقوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾([٦٧])، وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾([٦٨])، وقال ابن مسعود عن النبي ﷺ: " إن الله يحدث من أمره ما يشاء، وإن مما أحدث: أن لا تكلموا في الصلاة "([٦٩]).

قلت: في هذا المحل الشريف من تناول شيخ الإسلام أبو عبد الله البخاري الإمام لقضايا العقيدة، تجده يضع لها القواعد الرواسي؛ والمباني العوالي، حتى المبادي الدواني والقواصي، وهنا ينبري الإمام فينفي التشبيه عن فعل الله تعالى

[٦٦]) الأنبياء/ ٢
[٦٧]) الطلاق/ ١
[٦٨]) الشورى/ ١١
[٦٩]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٥)

بالإحداث، ويرسي قاعدة أولوية الذات العلية بنفي التشبيه عنها؛ فإذا كان التشبيه عن فعله منفي؛ فبالأحرى هو منفي بالأوجب عن ذاته تعالى؛ حيث أنه صدر عن أمره، وبرز عن مشيئته، وهو سبحانه لا شبيه له؛ فكذا فعله لا شبيه له.

ثم إن هنا ملفت شريف قويم وهو :

أن الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ قد استدل على نفي التشبيه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وهذا من إيقاع النظر إلى إعمال ليس بالنفي على الكاف المفيدة للتشبيه، مع اعتبار النص في الآية كذلك على نفي التمثيل من باب الأولى.

مع أن هناك من ضل من الناس عن دين ربه؛ حيث فهم أن المنفي هو التمثيل فقط؛ حتى أنه شبه ربه؛ وصرح بأنه على الصورة البشرية، وهو يفيد في عقيدته الباطلة أن الله بشر ولكن ليس مثل البشر، بلا تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل، بل هو بشر على الوجه اللائق به - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا- ؛ بل وجعل يتشبث بحديث لم يصح، وإن صح على رأي بعض المحدثين فهو مؤول، بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن، والحديث ضعيف بجميع طرقه الثلاثة، وتمسك به المشبهة لربهم بخلقه.

وفي هذا الموضع قد قعد شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري لنفي التشبيه القاعدة؛ فلم ينفيه عن الله مباشرة؛ بل نفاه عن فعله؛ لأنه لا يصدر عمن لا شبيه له في فعله؛ إلا كان لا شبيه له في ذاته، وما القول في هذا إلا فرع القول في ذاك، والحمد لله المنزه عمن هنا وهناك.

[*]استحالة وقوع التغير الحيوي على صفات الله في الأزل والأبد:

[*]أو نفي جريان الحوادث(أي: التغيرات الفيزيائية) بالذات العلية:

[*] تأويل الضحك الوارد في الأحاديث:

قد نفى شيخ الإسلام البخاري الإمام ﷺ وأحال وقوع التغيرات في الذات العلية، وأنه كان فيما لم يزل، وهو الآن على ما عليه كان، أزلي بصفاته، أبدي بنفس صفاته، لم يقع له تغيير ولا تبديل، ولا احتياج، ولم يرد عليه سبحانه ما يغيره، وأنه لو قال أحد بجواز طروء التغيير على ذاته العلية لقلنا بفساد دينه ؛ فإن من صحيح المعتقد أن يقال في مثل ذلك من المسائل :

أن هذا التغيير الذي جرى في ذاته تعالى يسأل: من الذي أوقعه ؟ فإن كان من خارج، كان الذي أوقع هو القاهر، ولكان هو الأحق بوصف الألوهية، وإن كان من داخل فيسأل :

ما الذي أوجب هذا التغيير ؟ إن كان من داخل ذاته فهو حادث تقهره الحوادث التي لا يتحكم فيها، ومتغير بحسب ورود المغيرات عليه، ثم ينظر : فيقال إن كان هناك صانع قهره وجعل تغيره من نفسه ؛ فهو الإله، وإن كان باختياره فيسأل :

لماذا تغير ؟ ألحاجة نفسه ؟ فهو نص على الإحتياج، وما كان كذلك فليس بإله، لأن ذلك نقص، وإن كان لحاجة غيره فيسأل :

ألم يكن يستطيع أن يحقق حاجة هذا الغير إلا بالتغيير في نفسه، فقد تعلق القديم بالحادث، والخالق بالمخلوق، وهو دليل على حدوثه، وأنه مخلوق مثله .

وإن لم يحتج إلى ذلك فما الذي دفعه إلى هذا التغيير في نفسه ؛ فإن الموصوف بالكمال لا يحوجه شئ لغيره لأنه ليحقق حاجة هذا الغير لا يزيد على أن يقول له كن فيكون من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

وها هنا تتأتى قضية أخرى كبرى، وهي أن بعض المسلمين قد قرر هذا الضلال، واتبعه فيه كثير من بسطاء الأمة في هذه الأيام؛ فيقرر بأن الله تعالى يقع عليه التغيير، وأن الحوادث تجري في ذاته العليَّة، فيجري، ويهرول، ويمشي، ويقعد، ويجلس، ويفرح، ويضحك، ويغضب، ويمل، ويجئ، ويأتي، وينزل، ويصعد، وينظر، ولا ينظر، وينسى، ويعلم ويتغير علمه، ويتحرك، وينتقل، ويتقرب، ويبعد، ويحتاج، ويصافح، ويمس، ويمل، ويستهزئ، ويمكر، ويؤذى!!!.

أما الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ فقد أول الضحك الوارد في الأحاديث، وشبهه : إلى معنى نتائج ومحكوم الفعل ونهاياته كما قرر في أول البحث، وقعد أن منتهى الضحك: لا يكون أبدا عقاب من يتكلم، أو الانتقام؛ بل يقتضي العفو، وربما الرضا الاستحسان، وفي نهاية الشأن يقتضي رحمة من الضاحك بمن أضحكه، وهذا هو عين ما قرره رحمه الله تعالى حيث جاء:

• أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو الحسن المصري، نا عبد الله بن محمد بن أبي مريم، نا نعيم بن حماد، نا سفيان بن عيينة، سمع مسعر بن كدام، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي، ومحمد بن عجلان، عن عون بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود، أنهما قالا : إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي هو أهيأ وأهدى وأتقى « قال الشيخ : وأما الضحك المذكور في الخبر فقد روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال : «معنى الضحك فيه الرحمة» (٧٠).

• وأخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا يحيى بن محمد، نا مسدد، نا عبد الله بن داود، عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، ﷺ : أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن : ما عندنا إلا الماء . فقال رسول الله ﷺ : « من يضيف هذا ؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق به إلى امرأته، فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبيان . فقال : هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا العشاء . فهيأت طعامها، وأصلحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، وجعلا يريانه كأنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ فقال : «لقد ضحك الله الليلة ـ أو عجب ـ من فعالكما»، وأنزل الله عز وجل : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

(٧٠) الأسماء والصفات للبيهقي - (ج ٢ / ص ١٨٦)

رواه البخاري في الصحيح عن مسدد، وأخرجه أيضا من حديث أبي أسامة عن فضيل، وأخرجه مسلم من أوجه أخر، عن فضيل وقال بعضهم في الحديث «عجب»، ولم يذكر الضحك . قال البخاري : « معنى الضحك الرحمة » . قال أبو سليمان : « قول أبي عبد الله قريب، وتأويله على معنى الرضى لفعلهما أقرب وأشبه، ومعلوم أن الضحك من ذوي التمييز يدل على الرضى والبشر، والاستهلال منهم دليل قبول الوسيلة، ومقدمة إنجاح الطلبة، والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر وحسن اللقاء، فيكون المعنى في قوله « يضحك الله إلى رجلين » ؛ أي : يجزل العطاء لهما ؛ لأنه موجب الضحك ومقتضاه (٧١).

قضية نفي الكيفية عن رب البرية

[*]في قوله تعالى:﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ﴾(٧٢) : قال الإمام البخاري: دين (٧٣).

وجه الدلالة :

إنه لا يستقيم معنى لمن له عقل يحترمه، ودين عظيم يؤمن به؛ وإله هو صاحب الجلال والجمال عنده؛ أن يقول أن الله تعالى عنده صبغة، أو مادة من المواد تضاف إليه تعالى، أو تتعلق به أزلا، أو أبدا؛ بل إن القول بذلك يؤدي إلى القول بحدوث الإله - تعالى الله الكبير عما يفهم أهل الزيغ -، إذ أن القاعدة هي:

أن كل ما تعلق بالحادث هو حادث، فإذا تعلق المولى عز شأنه على سبيل الافتراض بحادث من صبغة أو غيرها؛ دل ذلك على أنه - حاشاه - حادث، وتجويز اعتقاد ذلك ضلال من المجوز، ومن المجوز له؛ إذ أنه لم ينتقي من يأخذ عنه علم شريعة الملك الحكيم؛ فالصبغة والألوان: نوع من الأعراض، أو الكيفيات التي تفنى

(٧١) الأسماء والصفات للبيهقي - (ج ٣ / ص ١٣)
(٧٢) البقرة / ١٣٨
(٧٣) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٢٤)

وتزول، والله جل وعلى لا تتبدل ذاته، ولا تتغير صفاته؛ بل ذات المولى العظيم وصفاته أزلية أبدية، لا تفنى ولا تبيد؛ لأنه لا يشبه شأن العبيد، ولذلك جاء شيخ الإسلام أبو عبد الله البخاري ﷺ بأن المراد ليس ظاهر النص، وإنما المراد بالصبغة أنها دين الله؛ تشبيها للقلب في حالة كونه متمثلا بدين الله، وكأن له لون خاص تبعا للنسبة الخاصة التي انتسب إليها، وكونها من أعلى النسب: ألا وهي عظيم العبودية للمولى رب البرية، وهو من قبيل الاستعارة التصريحية.

ومن مثل هذه اللفتة عند الإمام البخاري ﷺ، وعند غيره، قرر علماء الاعتقاد المعلى نفي الكيفية عن رب البشرية؛ لأنها تعني تغير في ذاته تعالى، وقد أوضحنا قبل قليل، استحالة وقوع التغير، وأن تجويز ذلك يناقض الألوهية وينفيها، ولذلك جاءت عبارات أهل العلم في أمة الإسلام مصدرة قاعدة: بلا كيف؛ بل وقرر الإمام مالك وشبهه المسألة بقوله:

والكيف عنه مرفوع، وفي موضع آخر يقول: والكيف غير معقول، وهذا ما يوضح موروث دين أمة الإسلام؛ فالحمد لله العظيم على تحف الكرام.

المطلب الثاني: صفات المعاني

هي الصفات الموجودة في نفسها، والقائمة بذات الله العظيم، وقد أكثر العلماء من تناول وتفصيل شأن صفات المعاني، وهي الحياة، والإرادة، والقدرة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، وشرحوا متعلقها من القضايا، ونظم بعضهم متعلقها في قوله:

حي مريد قادر علام   له السمع والبصر والكلام

وهي التي يسمي بعضهم متعلقها بصفات المعنوية، وهي صفات الفاعل منها، ونأتي منها بما ذكره الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ على النحو التالي:

صفة القدرة

وهي صفة وجودية قائمة بذاته جل شأنه، يخلق بها الكائنات، ويفنيها على وفق إرادته وعلمه الأزلي سبحانه؛ فخلق المولى الحكيم للخلق دليل على قدرته، تلك التي تعلق بها إخراج الكائنات من الوجود إلى العدم، وقد أخبر سبحانه عن تفرده بخلقه للخلق حتى أفعال العباد، حيث قال:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(٧٤) و ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾(٧٥) فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره، وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسابهم لقوله تعالى ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ (٧٦) (٧٧).

---

(٧٤) الزخرف ٨٧
(٧٥) لقمان ٢٥
(٧٦) الفرقان ٢
(٧٧) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٣)

كما أخبر سبحانه عن نفسه عن إطلاق قدرته تعالى عن كل قيد فقال تعالى:

• وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن منصور عن المسيب بن رافع، عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال: كتب المغيرة، إلى معاوية بن أبي سفيان: أن رسول الله ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة إذا سلم:

" لا إله إلا الله وحده لا شريك، له له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد؛ منك الجد (٧٨).

وقال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٧٩)(٨٠).

صفة العلم

وهي صفة وجودية قائمة بذاته تعالى، ينكشف بها ما من شأنه أن يعلم سواء تعلق بذاته تعالى من أوصافه الأزلية،أو تعلق بالأكوان وما فيها من الكائنات، على جهة الانكشاف المنزه عن الجهل، أو النقص، ومن ينظر في الأكوان يجدها مبنية على حكمة بالغة، وقدرة فائقة مبدعة، ويستحيل وجودها على هذا الاتقان عديم الشبه؛ إلا من عالم يفوق طاقات وقدرات البشر علما وإحاطة بدواعي إعدادها وإبداعها، وأنه يستحيل صدور مثله عن ذات جاهلة أبدا، وقد قرر الإمام أبو عبد الله ذلك فقال:

• باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾(٨١) (٨٢).

٧٨) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٣٢)
٧٩) النحل ٧٧
٨٠) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٨٤)
٨١) سورة الانعام/ ٥٩
٨٢) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩١)

• حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: "مفاتح الغيب خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٨٣)".

• في قوله تعالى:﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ﴾ (٨٤)قال:

علم الله ذلك؛ إنما هي بمنزلة فليميز الله (٨٥).

وفي هذا الموضع الأخير من الكتاب المنزل، يدل ظاهره على أن الله كان يجهل الشأن فيما يتعلق بالعبد، في أحوال القتال؛ فأراد أن يجري تلك الحرب وشبهها؛ طالبا لتحقق العلم بحال العبد حتى يجازيه بما يستحق!

فأتى الإمام أبو عبد الله البخاري بتأويل هذا الظاهر إلى أنه: إرادة التمييز، بين عباده؛ فيظهر عوالي أهل الفهم والهمم، ويرزقهم علياء قربه، ويمحق أهل مرضى العقول والذمم، وكأن الإمام البخاري قد أخذ هذا المعنى الشريف من قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾(٨٦)، وقوله تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ (٨٧)، وما دفعه إلى هذا التأويل إلا وجوب دفع شبهة الاتصاف بالجهل لأنه مستحيل على رب العالمين، الذي هو موصوف بكمال العلم أزلا وأبدا.

٨٣) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩٣)
٨٤) العنكبوت / ١١
٨٥) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٩٠)
٨٦) سورة الانفال ٣٧
٨٧) سورة آل عمران ١٤١

صفة السمع

هي صفة وجودية قائمة بذاته سبحانه، تنكشف بها كل ما من شأنه أن يسمع؛ حتى ولو كانت الألوان، أو الأضواء، ويستحيل ضدها لأنه نقص، والنقص عليه تعالى محال، وقد ذكر الإمام البخاري بعضا من علائقها فقال:

- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي عثمان، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ، فكنا إذا أشرفنا على واد: هللنا وكبرنا، ارتفعت أصواتنا؛ فقال النبي ﷺ:" يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا؛ إنه معكم إنه سميع قريب؛ تبارك اسمه وتعالى جده" (٨٨).

وقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٨٩) (٩٠).

- باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(٩١) (٩٢).
- ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٩٣)(٩٤).

٨٨) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٠٩١)
٨٩) آل عمران ١٢١
٩٠) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٤٨٤)
٩١) البقرة/ ١٢٧
٩٢) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٢٩)
٩٣) البقرة ٢٢٧
٩٤) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٠٢٥)

صفة الإرادة

هي صفة وجودية قائمة بالذات العلية، يجعل بها العظيم سبحانه مقادير معينة للمخلوقات، وأجزائها، وهيئاتها، ووظائفها، والشؤون الجائزة عليها؛ فيجعل لبعضها المقدار المعين دون غيره من ألوان الجائز من الأوصاف، وفي زمن خاص، وفي بيئة خاصة، دون عموم البيئات والظروف والاعتبارات؛ دون معقب لحكمه تعالى؛ فالله جل وعلى يستحيل عليه الإكراه؛ بل ما شاء سبحانه كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد جعل الإمام أبو عبد الله البخاري بابا لمتعلق هذه الصفة فقال:

- باب في المشيئة والإرادة:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٩٥)، وقول الله تعالى ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ﴾(٩٦)، ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾(٩٧)، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾(٩٨)، قال سعيد ابن المسيب، عن أبيه: نزلت في أبي طالب ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ (٩٩) (١٠٠).

- وحدثنا يحي، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، سمع أبا هريرة: عن النبي ﷺ قال:" لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، ارحمني إن شئت، ارزقني إن شئت، وليعزم مسألته؛ إنه يفعل ما يشاء لا مكره له (١٠١).

٩٥) الإنسان/ ٣٠
٩٦) آل عمران/ ٢٦
٩٧) الكهف/ ٢٣
٩٨) القصص/ ٥٦
٩٩) البقرة ١٨٥
١٠٠) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٥)
١٠١) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٨)

- وحدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث، عن عبد العزيز، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دعوتم الله فاعزموا في الدعاء، ولا يقولن أحدكم: إن شئت فأعطني؛ فإن الله لا مستكره له ([102]).
- وحدثنا ابن سلام، أخبرنا هشيم، عن حصين، عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه: حين ناموا عن الصلاة، قال النبي ﷺ:" إن الله قبض أرواحكم حين شاء، وردها حين شاء"؛ فقضوا حوائجهم، وتوضؤوا، إلى أن طلعت الشمس، وابيضت فقام فصلى ([103]).

[102]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٥)
[103]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٧)

صفة كلام رب العالمين

وهي صفة وجودية قائمة بالذات العلية، ليست بصوت ولا بحرف؛ لأن الأخيران مخلوقان؛ لاقتضائهما الترتيب والتقديم والتأخير الزمانيين، والله جل وعلى غير متعلق بالزمان كما قدمنا؛ لأن الزمان مخلوق من مخلوقاته تعالى، وعليه: فالقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق، مقروء على الألسنة، مكتوب في المصاحف، متلو في المحاريب، محفوظ في الصدور، ليس حالا في أي شئ من ذلك، وعلى ذلك الإمام أبو عبد الله البخاري كباقي الأئمة كما جاء:

- أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الفارسي في التاريخ، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني، أخبرنا أبو أحمد محمد بن سليمان بن فارس، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال: الحكم بن محمد أبو مروان الطبري حدثناه، سمع ابن عيينة قال: «أدركت مشيختنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله ليس بمخلوق» كذا قال البخاري، عن الحكم ورواه سلمة بن شبيب، عن الحكم بن محمد قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار قال: سمعت مشيختنا منذ سبعين يقولون فذكر معنى هذه الحكاية؛ أخبرنا أبو منصور الفقيه، أخبرنا أبو أحمد الحافظ، أخبرنا أبو عروبة السلمي قال : أخبرنا سلمة بن شبيب، فذكره وكذلك رواه غيره عن الحكم بن محمد، عن سفيان قال البيهقي رحمه الله: مشيخة عمرو بن دينار جماعة من الصحابة منهم: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن الزبير، وأكابر التابعين، وروينا هذا القول عن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد الصادق، ومالك بن أنس، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وعبد الرحمن بن مهدي، ومحمد بن إدريس الشافعي، ويحي بن يحي، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد، ومحمد بن إسماعيل البخاري في مشيخة أجلة سواهم ([104]) .

[104]) شعب الإيمان للبيهقي - (ج ١ / ص ١٨٤)

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

قلت : وهذا بالطبع ينفي ما ذكر في كتب التاريخ زورا: أن الإمام البخاري كان يقول بأن كلام الله تعالى مخلوق؛ بل هذا النص وما يأتي من النصوص يفيد عدم اعتماد الإمام البخاري لهذا المعتقد الفاسد، ومن ذلك ما:

* وقال الحاكم: سمعت أبا الوليد حسان بن محمد الفقيه، سمعت محمد بن نعيم يقول: سألت محمد بن إسماعيل، لما وقع في شأنه عن الإيمان، فقال: قول وعمل، ويزيد وينقص، والقرآن: كلام الله غير مخلوق، وأفضل أصحاب رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي على هذا، وعلى هذا حييت، وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله ([105]).

* قال محمد بن يحيى الذهلي في مجلسه: من أراد أن يستقبل محمد بن إسماعيل غدا فليستقبله؛ فإني أستقبله؛ فاستقبله محمد بن يحيى وعامة علماء بنيسابور، فدخل البلد فقال لنا محمد بن يحيى: لا تسألوه عن شيء من الكلام؛ فإنه إن أجاب بخلاف ما نحن عليه؛ وقع بيننا وبينه، وشمت بنا كل ناصبي، ورافضي، وكل جهمي، ومرجئ بخراسان، قال: فازدحم الناس على محمد بن إسماعيل، حتى امتلأت الدار والسطوح؛ فلما كان اليوم الثاني، أو الثالث من قدومه، قام إليه رجل فسأله عن اللفظ بالقرآن، فقال: أفعالنا مخلوقة، وألفاظنا من أفعالنا، قال: فوقع بين الناس اختلاف؛ فقال بعضهم: قال: لفظي بالقرآن مخلوق، وقال بعضهم: لم يقل؛ فوقع بينهم اختلاف، حتى قام بعضهم إلى بعض؛ فاجتمع أهل الدار فأخرجوهم ([106]).

* وقال الحاكم: حدثنا أبو بكر بن الهيثم، ثنا الفربري قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: أما أفعال العباد مخلوقة؛ فقد حدثنا علي بن عبد الله، ثنا مروان ابن معاوية، ثنا أبو مالك، عن ربعي، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ:" إن الله يصنع كل صانع وصنعته"، قال: وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى

[105]) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٣٥)
[106]) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٣١)

بن سعيد يقول: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، قال محمد بن أسماعيل: حركاتهم وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة؛ فأما القرآن المبين، المثبت في المصحف، الموعى في القلوب؛ فهو كلام الله غير مخلوق، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾([107]).

قال ابن حجر العسقلاني:

لم يصرح البخاري قط بقوله: لفظي بالقرآن مخلوق؛ بل كان يتبرأ منها، ويكذب من عزاها إليه، مع اعتقاده أن حركة اللسان مخلوقة.

قرأت على فاطمة بنت المنجا بدمشق، عن سليمان بن حمزة، أن الضياء محمد بن عبد الواحد الحافظ، أخبرهم أن السلفي في كتابه، أن المبارك بن عبد الجبار، أن هناد بن إبراهيم، أن محمد بن أحمد بن سليمان الحافظ، ثنا خلف بن محمد بن إسماعيل، سمعت أبا عمرو أحمد بن نصر النيسابوري الخفاف ببخارى يقول: كنا يوما عند أبي إسحاق القرشي، ومعنا محمد بن نصر المروزي، فجرى ذكر محمد بن إسماعيل، فقال محمد بن نصر: سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب؛ فإني لم أقله، فقلت له يا أبا عبد الله: قد خاض الناس في هذا فأكثروا، فقال: ليس إلا ما أقول لك.

قال أبو عمرو: فأتيت البخاري فناظرته في شيء من الحديث، حتى طابت نفسه، فقلت يا أبا عبد الله: ها هنا أحد يحكي عنك أنك تقول: لفظي بالقرآن مخلوق، فقال يا أبا عمرو: احفظ ما أقول لك، من زعم من أهل نيسابور وغيرها، سمى بلادا كثيرة: أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو كذاب؛ فإني لم أقله؛ إلا أني قلت: أفعال العباد مخلوقة([108]).

[107]) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٣٢)
[108]) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٣٣)

[*] وما روي عنه الباطل إلا الحسدة من الأقران؛ فقد جاء:

• قال أبو أحمد بن عدي: ذكر لي جماعة من المشايخ: أن محمد بن إسماعيل لما ورد نيسابور، واجتمع الناس عليه حُسَّده، بعض من كان في ذلك الوقت من المشائخ، لما رأى من إقبال الناس عليه؛ فقال لأصحاب الحديث إن محمد بن إسماعيل يقول: اللفظ بالقرآن مخلوق؛ فامتحنوه، فلما حضر الناس مجلس البخاري، قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله: ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو، أو غير مخلوق؟ فأعرض عنه البخاري، ولم يجبه ثلاثا؛ فالتفت إليه البخاري في الثالثة فقال: القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة، والإمتحان بدعة؛ فشغب الرجل، وشغب الناس، وتفرقوا عنه(١٠٩).

• وقال إسحاق بن راهويه: أما الأوعية؛ فمن يشك أنها مخلوقة، وقال أبو حامد بن الشرقي، سمعت محمد بن يحي الذهلي يقول: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن زعم لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو مبتدع لا يجالس ولا يكلم، ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن إسماعيل؛ فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مذهبه.

• وقال الحاكم: سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول: سمعت أحمد بن سلمة يقول: دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبد الله: إن هذا رجل - يعني الذهلي- مقبول بخراسان، خصوصا في هذه المدينة، وقد لح في هذا الحديث؛ حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه؛ فما ترى فقبض على لحيته ثم قال: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ اللَّهُمَّ إنك تعلم، أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا، ولا بطرا، ولا طلبا للرئاسة، وإنما أبت علي نفسي الرجوع إلى الوطن؛ لغلبة المخالفين، وقد قصدني هذا الرجل، حسدا لما آتاني الله لا غير، ثم قال يا أحمد: إني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي.

١٠٩) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٣٢)

وقال الحافظ أبو عبد الله الأخرم، لما قام مسلم بن الحجاج، وأحمد بن سلمة، من مجلس محمد بن يحي، بسبب البخاري، قال الذهلي: لا يساكنني هذا الرجل في البلد؛ فخشي البخاري وسافر(١١٠).

• وقال مجاهد: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾(١١١) إنسان يأتيه؛ فيستمع ما يقول، وما أنزل عليه؛ فهو آمن حتى يأتيه، فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه حيث جاءه (١١٢).

• وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا أبو عوانة، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال كان النبي ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان يحرك شفتيه؛ فقال لي ابن عباس: أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما؛ فقال سعيد: أنا أحركهما كما كان ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه؛ فأنزل الله عز وجل ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾، قال: جمعه في صدرك ثم تقرؤه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال فاستمع له، وأنصت، ثم إن علينا أن تقرأه قال فكان رسول الله ﷺ إذا أتاه جبريل ﷺ استمع؛ فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما أقرأه (١١٣).

وقال أبو عبد الله البخاري في أحكام مس المصحف:

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾(١١٤) لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقه إلا الموقن لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١١٥).

١١٠) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٤٣٤)
١١١) التوبة/ ٦
١١٢) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٣)
١١٣) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٦)
١١٤) الواقعة/ ٧٩

[*]مسألة الكلام النفسي:

وهل يطلق على كلام الله تعالى أنه كلام نفسي يليق بالله تعالى أم لا؟

أقول قد أجاب المولى الكريم عن ذلك بالجواز أن يسمى بذلك؛ حيث أخبر تعالى:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ ([116]) ([117]).

وقد سماه تعالى قولا، مع أنه يجري بداخل النفس، وأكده سبحانه كذلك بقوله جل ذكره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾([118]) ([119]) .

والشأن متأكد بأدلة كثيرة، ولكننا هنا نكتفي ونعتمد ما أورده الإمام البخاري في صحيحه ﷺ، حتى كأنه هو القائل والمرتب للقضايا.

---

[115]) الجمعة/٥
[116]) آل عمران ١٥٤
[117]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٤٩٢)
[118]) المائدة ١١٦
[119]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٣)

صفة الحياة

هي صفة ذاتية قائمة بذات المولى العلية، مشروطة لصحة الاتصاف بالعلم، والإرادة، والكلام، والبصر، والسمع؛ حيث يحيل العقل أن يكون السميع البصير إلا حيا، وقد ذكر أبو عبد الله البخاري في أكثر من موضع من صحيحه الدال عليها، ومن ذلك قوله:

• حدثنا إسماعيل بن عبد الله، حدثنا سليمان بن بلال، عن هشام ابن عروة، عن عروة بن الزبير، عن عائشة ﵂، زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح - قال إسماعيل يعني بالعالية - فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم؛ فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ، فقبله قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا ميتا، والذي نفسي بيده؛ لا يذيقنك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك؛ فلما تكلم أبو بكر، جلس عمر؛ فحمد الله أبو بكر، وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ؛ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله؛ فإن الله حي لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾؛ فنشج الناس يبكون قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير؛ فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح؛ فذهب عمر يتكلم؛ فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك؛ إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء، وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير؛ فقال أبو

بكر: لا ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء؛ هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا؛ فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح؛ فقال عمر: بل نبايعك أنت؛ فأنت سيدنا وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ؛ فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس؛ فقال قائل: قتلتم سعدا؛ فقال عمر: قتله الله.

وقال عبد الله بن سالم عن الزبيدي: قال عبد الرحمن بن القاسم: أخبرني القاسم، أن عائشة ﵂ قالت: شخص بصر النبي ﷺ، ثم قال: "في الرفيق الأعلى" ثلاثا وقص الحديث، قالت: فما كانت من خطبتهما من خطبة؛ إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس، وإن فيهم لنفاقا فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبو بكر الناس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم، وخرجوا به يتلون ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(١).

• وقال عثمان بن الهيثم أبو عمرو، حدثنا عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة ﵁ قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان؛ فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت والله لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: إني محتاج وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت؛ فقال النبي ﷺ:" يا أبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟ قال: قلت يا رسول الله: شكا حاجة شديدة وعيالا؛ فرحمته فخليت سبيله قال:" أما إنه قد كذبك وسيعود" فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ:" إنه سيعود"؛ فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته؛ فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود فرحمته فخليت سبيله؛ فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ:" يا أبا هريرة ما فعل أسيرك؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالا فرحمته فخليت سبيله، قال:" أما إنه

(١) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤١)

كذبك وسيعود"؛ فرصدته الثالثة؛ فجاء يحثو من الطعام فأخذته؛ فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرات، تزعم لا تعود ثم تعود، قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هو؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حتى تختم الآية؛ فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح؛ فخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ:" ما فعل أسيرك البارحة"؟ قلت يا رسول الله: زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها؛ فخليت سبيله قال: "ما هي "، قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك؛ فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح - وكانوا أحرص شيء على الخير - فقال النبي ﷺ:" أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة ؟ قال: لا، قال: ذاك شيطان" (١).

(١) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٨١٢)

الفصل الثالث

الصفات الجائزة في حقه تعالى

إن صفات الله العظيم فوق الكمال؛ فهو القدوس المنزه عن كل نقص، لا شريك له في ملكه، ولا معقب لحكمه، لا يعزب عن علمه شئ، وهو السميع البصير، الكل تحت قهره الحكيم وسلطانه العظيم؛ منفرد بصفات جماله، متوحد في أزلي جلاله؛ أحوج إليه خلقه، وهو الغني عمن سواه؛ بيده الملك والملكوت، وموصوف بالعزة والجبروت، يفعل ما يشاء: عطاء ومنعا، رفعا وخفضا، عزا وذلا، إيجادا وإعداما، إحياء وإماتة، ثوابا وتعذيبا، رحمة وإشقاء، هدى وإضلالا، إنعاما وحرمانا، تقريبا وإبعادا؛ فهو إله عليم حكيم، وعلى كل شئ قدير، قال الله تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[122]، ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[123]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[124]، قال سعيد بن المسيب، عن أبيه: نزلت في أبي طالب ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ ﴾[125] [126].

ومما جاز لله العظيم فعله:

[*] إطلاق اسم ووصف الخالق على غير الله تعالى:

كما قال جل شأنه: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[127].

---

[122]) آل عمران/ ٢٦
[123]) الكهف/ ٢٣
[124]) القصص/ ٥٦
[125]) البقرة ١٨٥
[126]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٥)
[127]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢١٦)

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com
www.darultahqiq.com

وبالطبع لا يقصد أن الخالق غير الله تعالى، يستقل بخلقه لغيره؛ فيوجده من العدم؛ بل هو عبد يقوم بتصوير أو بتشكيل جسم على هيئة معروفة، كما قال ﷺ؛ فيما روى الإمام البخاري بقوله:

• حدثنا محمد، أخبرنا مخلد، أخبرنا ابن جريج، عن إسماعيل بن أمية، أن نافعا حدثه، أن القاسم بن محمد حدثه، عن عائشة ﵂ قالت : حشوت للنبي ﷺ وسادة فيها تماثيل، كأنها نمرقة، فجاء فقام بين البابين، وجعل يتغير وجهه؛ فقلت: ما لنا يا رسول الله قال: ما بال هذه الوسادة، قالت: وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها، قال: أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة، وأن من صنع الصورة يعذب يوم القيامة، يقول: أحيوا ما خلقتم ([128]).

• حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا ابن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة، سمع أبا هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي؛ فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو شعيرة "([129]).

وهذا كما جاء في القرآن:

[*]إطلاق اسم ووصف الرازق على غير الله تعالى:

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾([130]) ([131]).

فإذا كان الله خير الرازقين؛ فغيره تعالى رازق، ولكنه ليس خير الرازقين، وهذا كما قال تعالى: ﴿فَٱرْزُقُوهُمْ مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾([132])؛ بل طلب من غيره تعالى فعل متعلق الوصف بالرازق.

[128]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٧٨)
[129]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٤٧)
[130]) الجمعة/ ١٠،١
[131]) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٧١٩)
[132]) النساء/٨

الفصل الرابع
الصفات المحالة في حقه تعالى

الصفات المحالة: هي الصفات المقابلة للصفات الواجبة للذات العلية، فكما يجب في حقه تعالى كل كمال يليق بذاته المقدسة؛ يستحيل عليه كل نقص، ولا يقال أن هناك نقص يليق بذاته تعالى؛ بل كل نقص عنه تعالى مرفوع.

وقد وجب له جل جلاله صفات:

الوجود، والأزلية، والأبدية، والغني الذاتي المطلق، والوحدانية، وعدم مشابهة المخلوقات، والحياة، والعلم، والقدرة،والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام .

ومحال عليه عز قدره الاتصاف بـ:

العدم، والمخلوقية، والفناء، والفقر، والتعدد، ومشابهة ومماثلة الخلق، والموت، والجهل، والعجز، والإكراه، والصمم، والعمى، والبكم.

فجميع تلك النقائص محالة على الإله الحق الموصوف بما هو فوق كل كمال؛ فهذا المعايب تنافي جلال الألوهية، ويسمو عنها مقام الربوبية.

ونسوق في هذا الكتاب بعضا مما أورد شيخ الإسلام البخاري ﷺ، من أنواع ما يندرج تحت معالم الوصف المحال والمستحيل؛ في حق الملك الجليل؛ فمنها:

[*]تأويل الحسرة؛ لأنها من ألوان مشابهة المخلوقات:

[*] في قوله تعالى : ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ ([133]):

قال الإمام البخاري: كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل ([134]).

قلت: في ظاهر الآية أمران:الأول: أن الحسرة هي أشد الندم من العبد على ما فاته، ويكون صاحبه حسير أي بلا منفعة، وهي في حقه تعالى محالة.

[133]) يس / ٣٠
[134]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٤)

والأمر الثاني: هو أن الحسرة لا تنادى، وإنما ينادى الحي الذي يرجى منه تلبية النداء؛ ولذلك قال أبو اسحاق أن هذه الآية من أصعب المسائل في القرآن! فكان في الآية أمران محالان في حقه تعالى فقد قال ابن منظور:

• وحسر يحسر حسرا، وحسرة، وحسرانا؛ فهو حسير، وحسران إذا اشتدت ندامته على أمر فاته وقال المرار:

ما أنا اليوم على شيء خلا يا ابنة القين تولى بحسر

والتحسر التلهف، وقال أبو اسحق في قوله عز وجل: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ قال: هذا أصعب مسألة في القرآن؛ إذا قال القائل ما الفائدة في مناداة الحسرة، والحسرة مما لا يجيب؟ قال والفائدة في مناداتها كالفائدة في مناداة ما يعقل؛ لأن النداء باب تنبيه إذا قلت: يا زيد ؛ فإن لم تكن دعوته لتخاطبه بغير النداء؛ فلا معنى للكلام، وإنما تقول: يا زيد لتنبهه بالنداء، ثم تقول: فعلت كذا؛ ألا ترى أنك إذا قلت: لمن هو مقبل عليك يا زيد ما أحسن ما صنعت؛ فهو أوكد من أن تقول له: ما أحسن ما صنعت بغير نداء، وكذلك إذا قلت للمخاطب: أنا أعجب مما فعلت؛ فقد أفدته أنك متعجب، ولو قلت: واعجباه مما فعلت، ويا عجباه أن تفعل كذا؛ كان دعاؤك العجب أبلغ في الفائدة، والمعنى يا عجبا أقبل ؛ فإنه من أوقاتك، وإنما النداء تنبيه للمتعجب منه، لا للعجب، والحسرة أشد الندم؛ حتى يبقى النادم كالحسير من الدواب الذي لا منفعة فيه ([135]).

وهنا ينبري الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ ليقرر أن ظاهرها غير مراد؛ بل إن من اعتقد ذلك كفر برب العالمين، وأن معناها: كان حسرة عليهم، على جهة العقوبة والنكال بهم، وليس لهم على جهة الإضافة والملك؛ بسبب استهزاؤهم بالرسل؛ فتعلقت الحسرة بهم، واستحقوا استدعاء الويل لهم؛ إذ أن الله تعالى لا يستحسر على شئ لا قتضاء ذلك النقص في صفاته جل وعز، وإلا اقتضى جريان

[135]) لسان العرب - (ج ٤ / ص ١٨٧)

الحوادث من المشاعر المخلوقة المتغيرة، وغيرها في ذاته تعالى شأنه، وكل ذلك مستحيل في حقه، ولو كان الأمر على ظاهره يتعبد به فقد كان ترجمان القرآن أولى الناس بذلك، وإن حاسبنا ظاهريةَ الاعتقاد بذلك: لحق لنا إلزامنا لهم بأنه يجب إثباتهم صفة الحسرة في حق ربهم! فأين يذهبون من دامغ أدلة الحق! أما نحن فمع منهج الصحابة وهو واضح، والحق معهم باللغة لانح، وماالحرمان إلا من العمى.

[•] ما جاء في تأويل النسيان : لأنه من أنواع الجهل وهو مستحيل:

[•] في قوله تعالى : ﴿نَنسَىٰكُمۡ﴾([136]) نتركم ([137]).

قلت : وهذا من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المسببية ؛ فقد يتبادر إلى كليل الذهن أن يعتقد في حق الملك صاحب الكمال وقوع النسيان، ولكن هذا مما يستحيل عقلا وروده في حقه تعالى بالإجماع، والسماع نقلا عن النص الكريم بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾، فيمتنع نسبة النسيان إليه عز وجل وتستحيل، وهنا يأتي القول بوجوب بالتأويل لمثل ما يرد من شبه ذلك من الآيات والأحاديث، وعلى ذلك عمل السلف ﷺ، وعلى رأسهم في ذلك الإمام أبو عبد الله البخاري ﷺ فقال:

إن النسيان الوارد في الآية هو بمعنى الترك، فيقول إن معنى ﴿نَنسَىٰكُمۡ﴾: أنا نتركم في النار، وهو يعلل تفسيره للنسيان بالترك أنه مجاز مرسل على سبيل المشاكلة؛ لعلاقة المسببية والنتيجة، أي عاملناهم بمثل معاملتهم، وأن [نَنسَىٰكُمۡ]: مؤداه أنهم تركوا من عقيدتهم، وفكرهم: أمره تعالى، فعاقبهم الله عليه؛ فالنسيان ومآله: ترك الأمر، فقال ﷺ : نتركهم في النار كما تركوا لقاء يومهم هذا، فالجزاء وقع من جنس العمل مشاكلة؛ لا أن الله العظيم يغيب عنه أمر مخلوق، ولو طرفة عين من الزمان، وإلا لترتب على ذلك من المحذورات التي تقضي كذلك على معتقد

[136]) الجاثية / ٣٤
[137]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٢٥)

الألوهية من أسه وأساسه، لاقتضاء ذلك عدم إحكام أمور العالم بل والكون بأجمعه، فكيف يترتب أمر على فعل ماض قد نسيت علته، وكيف يكمل ما قد بدئ فيه على وجه من الوجوه، وكيف يحتكم في شرع يحتمل نسيان اعتباره، إجمالا أو تفصيلا، وكيف يطلب من العبد القيام بأمور قد سلب إلهه حسن النظر فيها، فأصبح السؤال ليس سؤال لأنه يكون كما لم يسأل لورود نسيانه، وكذلك يكون الشرع ليس شرع، والحكم ليس حكم، والعقاب ليس عقاب، والنقص ليس نقص، والكمال ليس كمال، والعبادة ليست عبادة، والإله ليس إله، وإذا كان الإله ليس على الكمال فكيف يطلب من العبد الوفاء بالعبودية، التي من الممكن أن يكون قد وقع من الإله النسيان لطلبها، ولا حجة تدفع، ولا شاهد يكون أكمل من الإله فيرفع، ولو جاز وقوع النسيان منه لانهدم الكون من أصوله، ولانعدم وجوده، وبقاؤه، إلى غير ذلك من المحذورات التي تسلب الإله ألوهيته، فالنسيان نقص، ومحال في حق الإله الاتصاف بالنقص.

إلا أنه قد أتى ممن كان يظن بأنه من أهل السنة، ومن ورائه مدرسته بالتبعية ؛ فاعتقدوا جواز إثبات النسيان لله العظيم تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

[*]تأويل الفراغ؛ لأنه من مشابهة المخلوقات من حيث التعلق بالزمن:

[*]في قوله تعالى :﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾[١٣٨]:

قال الإمام البخاري: سنحاسبكم؛ لا يشغله شيء عن شيء، وهو معروف في كلام العرب، يقال: لأتفرغن لك وما به شغل، يقول: لآخذنك على غرتك[١٣٩].

قلت: إن هذا من قبيل الكناية عن الوعيد منه تعالى، وأن تستحيل دلالة ظاهر النص الكريم من كلام الله تعالى أن هناك شغل عنده - تعالى عما يخطر ببال

[١٣٨]) الرحمن / ٣١
[١٣٩]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٤٦)

البرايا -، وربما استدل عليه بعض الذين في قلوبهم زيغ بقوله تعالى ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴾، ولكن قد أتى لهم شيخ الإسلام البخاري الإمام ﷺ بالقول الفصل؛ للاعتقاد الواجب في حق الله تعالى في هذا الصدد بأن :

هذا وعيد من الله تعالى للعباد، ويقصد منه الترهيب من مؤاخذته عز وجل، والوقوف بين يديه، أما أن يعتقد بأن بالله شغل، فهذا غير مراد، وكيف يشغله شغل؟ لو قدر هذا المحال في حقه تعالى لأفاد :

أن الله - تعالى عما يقول الظالمون - له طاقة لاستيعاب الأمور والأشياء والأشغال الحادثة، ولكنها محدودة بقدر لا يتعداه ؛ فإذا ما نفدت الطاقة فيجب الانتظار حتى يفرغ من مشغلته ليقوم بأخرى وهكذا !!!

وهل يكون ذلك إلا من المخلوق محدود الذهن، محدود الطاقة، محدود القدرة، محدود الفعل ؟

أما الله رب العالمين جل شأنه فإنه : لا نقول قد خرج عن الحدود في كل أمر وشئ ؛ بل نقول أنه - تعالى قدره - هو من حدد الحدود، وخصص القدرات بأبعاد لا تتخطاها العباد بل هو ﴿ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ و ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ و ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ في السماوات ولا في الأرض وماله فيهما من شرك، وماله منهم من ظهير} !!!

وكيف يشغله شغل عن شغل، وهل شغله رزق عبد عن عبد ؟ أو متابعة أحوال عبد عن غيره ؟ أو رفع البعض عن خفض الآخر ؟ أو إحياء البعض عن إماتة الآخر ؟ وكل ذلك على مشهد من العالمين واقع، فكيف يشغله أمر عن أمر وهو سبحانه يتعرف إلى العباد كما قيل بنقض العزائم، أي أن قهر الملك الكبير على الكون مهيمن، ولا يخلو مخلوق من سلطانه تعالى كما قال سبحانه في نفس السورة

﴿ يَمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ وكأنه تعالى وتقدس يأتي بالتأويل بنفسه فيقول يا أيها المكلفون إياكم أن تظنوا بنا محدودية في القدرة، والإحاطة بالعلم، والقهر، والرحمة على العالمين، فإن لنا القدرة المطلقة، والكمال المطلق عن الحدود، ولا يشغلنا مخلوق عن مخلوق، ولا أمر عن غيره، وأن قولنا لكم سنفرغ لكم لايعني التفرغ عن شغل، ولكن هو قول أنتم تقولونه من جهة اللغة، وتقصدون منه توجيه عزمكم على الإتيان بأمر فيه تهديد ووعيد؛ لمن تريدون منه عدم التواني في تحقيق مرادكم، وهذا كذلك نقوله لكم بلغتكم؛ للإعلام بعظم ما كلفناكم به، على سبيل التقريب لكم في المعنى، وليس لأن ذلك واقع منا؛ فأنتم لاتقصدون التفرغ كذلك، وإنما تقصدون التشدد في التكليف لمن تخاطبونه، وإلا فكيف يشغلنا أمر عن أمر مهما عظمت تفاصيل شأنه، فكيف والكل تحت قهرنا بأقل من لحظة بأختها، بمنتهى العظمة ومحيط السلطنة، بل لو استطعتم أن تنفذوا من تحت قهر سلطاننا فافعلوا إن كنتم قادرين على ذلك، بل أنتم وجميع من تعلمون، ومن لا تعلمون تحت قيوميتنا: إعدادا، وإيجادا، وإمدادا، ولا قدرة لأحد على النفوذ إلا إن أقدرناه، فليس له من نفسه وجود ولاعدم ؛ فيخرج عن قهر لنا عليه إلى قهر لنا فوقه مهيمن، فسبحان الملك القاهر في رحمانيته، والرحمن في قهريته .

[*]تأويل الإذن؛ لأنه من الفقر، وهو مستحيل في حق الغني:

[*]في قوله تعالى :﴿وَأَذِنَتْ﴾ ([140]) سمعت، وأطاعت ﴿لِرَبِّهَا﴾ ([141]).

لا يخرج كائن في الموجودات بأسرها عن قهر الله العظيم سبحانه ؛ وليس لأحد أن يكون له مطلق الخيرة ؛ فقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾، وقال

[140]) الانشقاق / ٢، ٥

[141]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٤)

تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ؛ فليس لأحد أن يخرج عما قدره له، أو ينفذ عما هو فيه إلا بإذن كما قال تعالى ﴿ يَمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾، وليس لأحد أن يكون له الإذن من دون الله تعالى؛ فتنعكس القضايا ويقع الإذن من المخلوق للخالق ؛ بل هذا من المحال في شأنه جل وعلى ؛ بل كل المخلوقات قهر عظمته، وأمره بالكاف والنون بلا زمان .

كما أن كلمة الإذن تفيد أمور :

منها : أن الإذن يكون ممن هو أعلى لمن هو أدون، ومنها : أن الإذن يكون ممن يملك تجاه من لا يملك، وممن يبيح تجاه من يفتقر، ومنها : أنه يكون من خارج عن القهر تجاه من هو واقع تحته .

أما في هذا الموضع : فجميع هذه المعاني وغيرها مما يشبهها محال في حقه تعالى، ويكفر معتقد ذلك، فالأرض مخلوقة تحت قهر الله العظيم تعالى، ولا تملك لنفسها شئ، ولا إذن، والأرض جميعا قبضته في الدنيا والآخرة بما فيها ؛ فالكل ملك له تعالى قبل وبعد إيجاده حتى يتم إعدامه .

فكان من اللازم تأويل كلمة ﴿وَأَذِنَتْ﴾ فأتانا الإمام البخاري بأنها بمعنى: سمعت وأطاعت، وهو المعنى اللائق لمخلوق تجاه خالقه عند توجيه الأمر له،

كما لا يتصور أحد من العقلاء المؤمنين بوجود إله يجيز لأحد من عباده ومخلوقيه الحق في أن يكون الأمر فيه متعلق بإذن هذا العبد؛ فإذا ما وقع الإذن فالإله حر التصرف، وإلا فلا حق له كإله أن يأتي بأي فعل فيما يتعلق بهذا العبد! وهذا غير مقبول عقلا ولا شرعا، عند أي ملة من الملل، ولذلك كان هذا الأمر على هذه الصورة من الأمور المحالة؛ بل يكون إله عاجز عن قهر خلقه، وإنفاذ طاعة عبيده له؛ فأتى أبو عبد الله ﷺ فقال: أن أذنت لربها ليس على ظاهره، وإنما المراد أنه على معنى سمعت؛ فهذا هو اللائق بالعبودية، وسمعت كذلك على معنى الاستجابة له فهو وليها ومليكها .

Courtesy of Darul Tahqiq

[•]تأويل الفعل الأهون؛ فهو من المحال لأنه ضد طلاقة القدرة:

[•]في قوله تعالى :﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال:

قال الربيع بن خثيم، والحسن: كل عليه هين ([٤٢]).

تستوي تعلقات صفة القدرة مع بعضها؛ فلا يترجح أحدها على الآخر؛ فيكون بعضها هين، والآخر أهون، أو بعضها صعب والآخر أصعب؛ بل يتعلق هذا التفاوت في حق ما يوصف به العبد؛ لأنه محدود القدرة؛ حتى أن هناك ما يعجز عن إعماله؛ أما الله رب العالمين جل شأنه:

فقدرته مطلقة، ويستوي تحت قهرها تكوين جميع الممكنات، والقول بأنها تتفاوت: ضلال مبين، وزيغ مهين؛ لأنه يستدعي وصف ربنا بالمحال، الذي يلزم منه: أن ربنا – عز جاهه – يصعب عليه خلق بعض الكائنات، ويهون عليه خلق البعض الآخر، ويعجز عن خلق بعض الأشياء، حيث إن قدرته تتفاوت في التعلق بحسب حالة المخلوق، وكل ذلك ضلال سحيق؛ بل الله العظيم على كل شئ قدير؛ يهون عليه صنع العوالم كلها، بنفس هوان خلق ذبابة فيه؛ فقد قال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾؛ ولهذا روى الإمام البخاري ﷺ عن الربيع بن خثيم، والحسن: أنه يستوي عنده تعالى كل مقدور؛ فكل عليه هين تعالى شأنه.

[•]تأويل الإحصاء؛ لأنه من الجهل والعجز المحالان عليه تعالى:

[•]في قوله تعالى: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾([٤٣]) قال : حفظناه ([٤٤]).

فقد أوَّل الإمام البخاري الإحصاء، المقتضي للجهل بالعدد؛ فيقوم طالبه بالإحصاء؛ ليتحقق له علم بالمحصى؛ إلى معنى: الحفظ، وعدم التفلت، المقتضي للواجب من الاتصاف بالقدرة المطلقة.

[٤٢]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٦٤)
[٤٣]) يس / ١٢
[٤٤]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٤)

[•]نفي عقيدة الحلول والاتحاد الباطلة:

[•]في قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾([٤٥]):

قال الإمام البخاري: أي في ملكه وسلطانه ([٤٦]).

قلت: وهذا من الله العظيم من قبيل الكناية ؛ حيث يدل ظاهر هذا التعبير الإلهي في كتاب الله العزيز على: أن الله يمسك بمقدم شعر الرأس، أو القرون العظمية، من جميع دواب الأرض؛ فيسيرها حيث يريد: من الخيل والبقر، والجمال والحمير، والأسود والضباع، وسائر حيوانات البر، وحيوانات البحر من التماسيح، وكلاب البحر، وأنواع الأسماك كلها من الحوت والقرش، وبقية أصنافها، وكذلك كل أنواع الطيور، وجميع آحاد البشر، وبقية دواب الأرض، من الحشرات والأفاعي، مهما كان حجمها ونوعها، وما ذلك إلا باعتبار الوقوف أمام ظاهر هذه الآية !!!

وبذلك يعلم خطورة الوقوف عند ظواهر آي التنزيل، وأن الشأن لابد فيه من إعمال القواعد الشرعية الضرورية، وأولها الإحاطة بعلوم العربية، وهي تزيد عن ثلاثة عشر علما، وكذلك تجب الإحاطة بعلوم التفسير، وعلم المعتقد، والحديث، والفقه، وعلم أصول الفقه، وغيرها من العلوم التي لا أقول: هي علوم خدمية؛ بل هي علوم أصلية، وما ضيع الفهم عن الله العظيم؛ إلا بالبعد عن رواسخ موروث علوم الشريعة العوالي.

ومن أجل جميع ذلك، ومن أجل صيانة طغام الأمة أن ينحدروا إلى هاوية الوقوف أمام الظواهر: انبرى الإمام أبو عبد الله البخاري شيخ الإسلام، ليبين للناس: أن المراد لا يتعلق بالظاهر، وإنما يتعلق بأن جميع الدواب والخلق تحت قهر الله الكبير، وفي ملك وسلطان العليم الخبير، ولا حد لسلطانه تعالى؛ فقد أحاط بكل شئ علما وقهرا؛ إنه الله رب العالمين، وذاك البخاري عالم شريعته، ومن سادات أمة نبيه ﷺ.

[٤٥]) سورة هود/٥٦
[٤٦]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٢٤)

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

قد كان يناسبه القول بإثبات صفة الوجه لله تعالى، ثم يراعي مقام التفسير على حسب منهج من أوجبوا ذلك، ولكنه لم يفعل ما ذكروه؛ بل وجدناه:

قد أوَّل الوجه بتأويلين: الأول: تأويله للوجه بالملك .

والتأويل الثاني: تأويل الوجه بكل ما قصد به جهته تعالى، أي: قصد به رضاه وقربه، إخلاصا له سبحانه، ويدل على ذلك ما روى :

• حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا الأعمش قال: سمعت أبا وائل قال: عدنا خبابا فقال: هاجرنا مع النبي ﷺ نريد وجه الله؛ فوقع أجرنا على الله، فمنا من مضى لم يأخذ من أجره شيئا: منهم مصعب بن عمير، قتل يوم أحد وترك نمرة؛ فإذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه؛ فأمرنا النبي ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه من الإذخر، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها([148]).

[•]وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾([149]) ؛ فسمى الله تعالى نفسه شيئا، وسمى النبي ﷺ القرآن شيئا وهو صفة من صفات الله، وقال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾([150]) ([151]).

وجه الدلالة:

قلت: يدل هذا النص الشريف على أمور منها:

• أن كل شئ محكوم عليه بالفناء؛ إلا الله وحده المتصف بصفة البقاء.

• كما يدل قول الإمام البخاري صراحة بأن الله سمى نفسه شيئا.

• فإذا أضفنا دلالة قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ ؛ كانت الدلالة المركبة منهما: أن كل شئ هالك إلا شئ هو نفسه.

• وكان بذلك توجيه شريف بأنه الإمام البخاري ﷺ يؤول الوجه بمعنى الذات.

[148]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٩)
[149]) الأنعام/ ١٩
[150]) القصص/ ٨٨
[151]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٨)

[•] تأويل ما جاء في صفة العين :

• في قوله تعالى : ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾([152]) قال: تغذى، وقوله جل ذكره ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ([153]).

قلت : قوله تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾: هذا من قبيل المجاز المرسل لعلاقة المسببية، وأما قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ فهو من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الحالية، بدليل الاستحالة، وأقول إنه:

ما جاء عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل إثبات صفة العين، ولو تلميحا؛ بل أوَّل ما جاء من النص عليها مضافة إلى رب العالمين عز ذكره، في قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ؛ فقال: أنها على معنى الرعاية والعناية والكلاءة، من قوله[تغذى]، ثم جعله نفس التأويل لقوله تعالى:﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وتلك هي عقيدة أهل السنة والجماعة الحق؛ فالحمد لله الذي يسوق الرزق، من العلم كما يخرجه بالماء الغدق.

[•]تأويل ما جاء في صفة اليد:

قد جاء ذكر اليد والأيادي في القرآن الكريم، والسنة المطهرة كثيرا، وهي في مجملها تفيد الكثير من المعاني المختلفة، بحسب السياق الواردة فيه، حتى ولو كانت صفات حقيقية عند من وصف بها كالبشر؛ بل تؤول كذلك على حسب ما جاءت بصدده؛ فقد تؤول على القوة، وقد تؤول على النعمة، وقد تؤول كذلك على السخاء، وقد تؤول على معنى السلطان والقهر، أو إلى معنى التدبير والتصريف، وقد تؤول على معنى المزامنة للفعل، وقد تؤول على معنى العقد والبيعة، وقد تؤول على معنى، وقد يصل بها المجاز إلى حد وصف المعاني والأفعال بها، وليس فقط الذوات، وسوف أقتصر

[152]) طه/ ٣٩
[153]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٤)، فتح الباري - ابن حجر ج ١٣ ص ٣٢٩

في هذا البحث، على ما جاء به وذكره الإمام أبو عبد الله البخاري فقط، ولن أخرج عما أورد، حتى يصح نسبة المعتقد لما به صرح، أو في كتابه أورد؛ فمما أتى به ﷺ:

[•] تأويل اليد على معنى القوة:

• قال ابن عباس: ﴿ٱلْأَيْدِ﴾[١٥٤] : القوة في العبادة ([١٥٥]).

أو قد يجئ من أنواع التأويل وصرف لفظ اليد عن ظاهره إلى :

[•] تأويل اليد على معنى النعمة:

• حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، سمع جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما كان يوم بدر أتي بالأسارى، وأتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب؛ فنظر النبي ﷺ له قميصا؛ فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه؛ فكساه النبي ﷺ إياه؛ فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه.

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي ﷺ يد؛ فأحب أن يكافئه([١٥٦]).

• فقال من ذا ؟ قالوا أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده: لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها؛ لأجبتك([١٥٧]).

• حدثني إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن ادريس قال: سمعت حصين بن عبد الرحمن، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ قال: بعثني الرسول الله ﷺ، وأبا مرثد الغنوي، والزبير بن العوام، وكلنا فارس؛ قال: انطلقوا حتى تأتو روضة خاخ؛ فإن بها امرأة من المشركين، معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين؛ فأدركناها تسير على بعير لها، حيث قال رسول الله ﷺ؛ فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب؛ فأنخناها فالتمسنا؛ فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ؛ لتخرجن الكتاب، أو لنجردنك؛ فلما رأت الجد؛ أهوت إلى

[١٥٤]) ص/ ١٧
[١٥٥]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٨)
[١٥٦]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٠٩٥)
[١٥٧]) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٩٧٤)

حجزتها، وهي محتجزة بكساء؛ فأخرجته؛ فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ؛ فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلأضرب عنقه؛ فقال النبي ﷺ:" ما حملك على ما صنعت"؟. قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ﷺ؛ أردت أن يكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته، من يدفع الله به عن أهله وماله؛ فقال النبي ﷺ:" صدق ولا تقولوا له إلا خيرا"؛ فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين؛ فدعني فلأضرب عنقه؛ فقال:" أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم؛ فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم([١٥٨]).

وفي هذه الأحاديث تعبير من المجاز المرسل لعلاقة السببية في اليد، وأنها سبب لتقديم العون في أوقات خاصة ؛ فاستحق أن يكافأ على ما قدم، وليس على ما قدمت يداه، كما جاء في الآية، وإنما هي سبب في العادة للإعانة.

[•]وقد يكون التأويل منعكسا؛ فتطلق النعمة ويعبر عنها باليد:

[•]في قوله تعالى: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[١٥٩]:

قال ابن عيينة: أيادي الله عندكم وأيامه([١٦٠]).

فقد أوّل الإمام ابن عيينة النعمة بالأيادي؛ بسبب من اطلاق المجاز المرسل لعلاقة السببية؛ عرفا اقترب من الحقيقة، وهو من أوضح الواضحات، في تأويل اليد بالنعمة، من القرآن بأقوال أكابر السلف.

[•]تأويل اليد إلى معنى العقد والبيعة:

• وكانت بيعة الرضوان، بعد ما ذهب عثمان إلى مكة؛ فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى:" هذه يد عثمان"؛ فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان ([١٦١]) .

[١٥٨]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٤٦٣)
[١٥٩]) إبراهيم / ٦
[١٦٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٣٣)
[١٦١]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٥٢)

[*]تأويل اليد إلى معنى القدرة والسلطان:

* حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا شعبة، عن واصل الأحدب، عن المعرور قال: لقيت أبا ذر بالربدة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة؛ فسألته عن ذلك؟ فقال: إني سابببت رجلا؛ فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: " يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرو فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم؛ فمن كان أخوه تحت يده: فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلفتموهم فأعينوهم ([162])".

* حدثنا سعيد بن تليد قال: أخبرني ابن وهب قال: أخبرني جرير ابن حازم، عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ؛

حدثنا سليمان، عن حماد بن يزيد، عن أيوب، عن محمد، عن أبي هريرة: لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات؛ بينما إبراهيم مر بجبار ومعه سارة - فذكر الحديث - فأعطاها هاجر، قالت: كف الله يد الكافر، وأخدمني آجر، قال أبو هريرة: فتلك أمكم، يا بني ماء السماء([163]).على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية كذلك.

[*]تأويل اليد بمعنى التدبير والتصريف:

* حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ:" قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر؛ بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار([164]).

* حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام؛ حدثنا أبو هريرة: عن النبي ﷺ قال: " إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة؛ سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؛ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى الفيض أو القبض ؛ يرفع ويخفض ([165])

[162]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٠)
[163]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ١٩٥٥)
[164]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٢)
[165]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٩)

وفي هذا الموضع تجد أن النبي ﷺ: قد وصف المولى العظيم جل شأنه بيدين، الأولى: للنفقة، والسخاء، والثانية: للقبض، فجعلهما على سبيل التقابل في العطاء والمنع؛ فدل ذكر اليدين هنا كذلك، على تدبير الكون، وتصريف شؤونه، رفعا لقوم، وخفضا لآخرين؛ على سبيل الكناية عن الجود والكرم من رب العالمين، في ذكر اليدين وما تنفقان، والمجاز المرسل لعلاقة السببية.

[*]تأويل اليد على معنى التزامن الفعلي:

[*]من أدلة حتمية التأويل أن يوصف الوصف باليدين:

* باب ما جاء في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾([166]) ([167]).

فالرحمة هي وصف فعله جل وعلى، ومحال أن يكون لها يدان؛ فكان تعبيرا بالاستعارة المكنية؛ حيث جعل الرحمة كالانسان ذي يدين، وحذف الانسان وعبر بشئ من لوازم صفاته وهو اليدين.

[*] ومن أدلة حتمية التأويل أن يوصف زمن باليدين:

* حدثنا عبيد الله بن موسى، عن الأعمش، عن شقيق قال: كنت مع عبد الله، وأبي موسى فقالا: قال النبي ﷺ:" إن بين يدي الساعة لأياما ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج"، والهرج القتل ([168]).

وهو من الاستعارة المكنية ؛ فمن المحال العقلي، أن يوصف زمن القيامة، ونهاية العالم، باليدين، أو الأيدي، وما هذا التعبير إلا من المجاز، الذي اشتهر استعماله، من لغة العرب، ويدل على وقوع تفشي الجهل، ورفع العلم، وكثرة القتل؛ قبيل وقوع نهاية الكون، في يوم القيامة.

[166]) الفرقان/ ٤٨
[167]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٧١)
[168]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٩٠)

[*] من أدلة حتمية أن يوصف عرض من الأعراض باليدين:

* حدثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش قال: حدثني عمرو ابن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا؛ فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش؛ حتى اجتمعوا؛ فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج: أرسل رسولا لينظر ما هو؛ فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي، تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم؛ ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ (١٦٩).

فلا يوصف أبدا العذاب بأنه له يدان، أو أيدي، وإنما معناها الذي آلت إليه وهو من أنواع مجاز اللغة عن الحقيقة؛ بالاستعارة المكنية، إلى معنى تزامن عذاب شديد مع دعوته لهم، مخصوص في الوقوع لمن جحد نبوته، ولم يصدقه.

[*]من أنواع حتمية التأويل أن يوصف فعل البشر باليدين:

* في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٢ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٧٠) (١٧١).

فمن المحالات العقلية أن توصف المناجاة منهم للنبي ﷺ، وهي حديثهم معه: بأن لها يدان أو أيدي؛ فكانت مؤولة إلى معنى التزامن، على سبيل الاستعارة المكنية كذلك.

١٦٩) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٧)
١٧٠) المجادلة ١٢، ١٣
١٧١) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣١٨)

قلت:

وبعد إتيان شيخ الإسلام: أبو عبد الله البخاري الإمام، بهذا البيان لتأويل ما يطلق عليه بعض أهل العلم: بأنه صفة لربه الكريم المراد، وقد أكثر من التأويل لها وزاد؛ لا يستطيع أحد أن يجزم بأنه يراد بها الحقيقة بلا ترداد؛ فقد كان منها المراد مجازا، مع أنه قطعا وصفا حقيقي للعباد، ومع أتى فيها التأويل المشغل بالحق عن لذيذ الرقاد؛ بل ومنها ما أتى بوصف ما يستحيل له بذلك الوصف؛ فصار المنزع مسوق إلى تنزيه الباري، بنور علم السلف الساري، وصرف ما يضاده من الظواهر إلى متسع اللغة للقاري.

فيكون تفسير مثل قوله الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾(١٧٢) (١٧٣)، على معنى التكريم لآدم بكرامة خاصة، تزيد عن غيره من سائر المخلوقات، وأنها من المجاز المرسل لعلاقة السببية؛ لاعتبار العادة عند البشر؛ فكما جاء في الحديث المعدد لكرامة كل نبي، الأمر الذي كان يسوقه أهل المحشر، طلبا لشفاعتهم، رجاء الخروج عن أهوال ذلك اليوم الشديد، كما جاء فيما أخبر الإمام البخاري ﷺ، حيث قال:

* حدثني معاذ بن فضالة، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ قال: "يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؛ حتى يريحنا من مكاننا هذا؛ فيأتون آدم، فيقولون يا آدم: أما ترى الناس؛ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء؛ اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا نوحا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن؛ فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم ويذكر لهم خطاياه التي أصابها، ولكن ائتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة، وكلمه تكليما؛ فيأتون موسى فيقول: لست هناكم ويذكر

١٧٢) ص/ ٧٥
١٧٣) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٥)

لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا ﷺ، عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فيأتونني فأنطلق؛ فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه؛ فإذا رأيت ربي، وقعت له ساجدا؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع؛ فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع؛ فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع؛ فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع؛ فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فأقول يا رب: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود، قال النبي ﷺ: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة ([174]).

[*] ما جاء في صفة القدم:

[*]في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾([175]):

قال زيد بن أسلم: ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾: محمد ﷺ، وقال مجاهد: خير([176]).

قلت : وهذا كذلك من قبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية ؛ ففي هذا الموضع محال على الواقف على الظواهر أن يدعي: أن القدم توصف بالصدق، وإنما يوصف

[174]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٥)
[175]) يونس/ ٢
[176]) صحيح البخاري/٤/١٧٢٠

بالصدق صاحبها، وإن وقع فيكون على سبيل التجوز البلاغي، وتكون هذه هي قرينة التأويل الدافع، إلى عدم التزام ظاهر المعنى من اللفظ، ومن أجل ذلك روى أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه:

أن زيد بن أسلم ﷺ قد أوَّلَ القدم – وهو صفة حقيقة في جميع الذين آمنوا – على معنى أنها: النبي محمد ﷺ؛ فكانت دالة على المقدم عليهم، والنائب عنهم؛ في الشفاعة لهم عند ربهم.

كما أخبر أبو عبد الله بأن الإمام مجاهد شيخ التابعين رحمه الله: قد أوَّلَ القدم على معنى أنها: خير من عند ربهم، على معنى أنهم يقدمون على فضل من الله ونعمة، عند استقبالهم في جنة مليكهم.

وهنا عند الإضافة إلى الصدق: تغير معنى القدم؛ فهي بحسب ما يضاف إليه، ولما كانت الأعضاء محالة في حقه تعالى؛ بحسب قواطع ما أسس الإمام البخاري، وجماهير علماء الراسخين في العلم من أهل السنة؛ كان ما جاء من حديث:

* حدثنا عبد الله بن أبي الأسود، حدثنا حرمي بن عمارة، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: يلقى في النار، وتقول هل من مزيد، حتى يضع قدمه؛ فتقول قط قط ([177]).

* وحدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، وعن معتمر، سمعت أبي، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال:" لا يزال يلقى فيها، وتقول هل من مزيد، حتى يضع فيها رب العالمين قدمه؛ فينزوي بعضها إلى بعض، ثم تقول: قد قد بعزتك وكرمك، ولا تزال الجنة تفضل؛ حتى ينشئ الله لها خلقا، فيسكنهم فضل الجنة" ([178]).

كانت هذه الروايات مؤولة وليست على ظاهرها طبقا لهذه القواعد، والروايات الصحيحة، ولذلك قيل المعنى: يذللها تذليل من يوضع تحت الرجل،

[177]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٣٥)
[178]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٨٩)

والعرب تضرب الأمثال بالأعضاء، ولا تريد أعيانها كقولهم للنادم يعض أصبعه ولو لم يفعل ذلك، والله تعالى أعلم.

[*] ما جاء في تأويل جنب الله:

في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[179] :

قال الإمام البخاري: ضيعت من أمر الله [180].

قلت : وهذا من الملك المتعال قد جاء على سبيل المجاز المرسل لعلاقة السببية وليس الجزئية؛ حيث يطلق في العادة على البشر ذلك؛ فكان تقريبا للمعاني من جهة اللغة المستعملة؛ وليس يراد الحقيقة؛ بل يطلق الجنب على الشق، والجانب من الجسم، أو الإنسان، ويستحيل عقلا أن يتصور التقصير في جنب المرء من بني البشر، أو من الأشياء.

وفي هذا الموضع من آي التنزيل، قد وقع إشكال تصوري، وضلال عقدي، عند بعض الناس، من النصارى، واليهود، وبعض المبتدعة في ملة الإسلام؛ فوصفوا ربهم بالصورة والهيئة البشرية، والحقيقة الجسمية، وصرحوا بتلك الأوصاف الرزية، وستكون لهم عند ربهم مزرية.

أما أهل السنة والجماعة، الذين هم على ما كان عليه الصحابة، وسلف الأمة؛ فقد صرحوا بنفي التجسيم، والصورة على رب البرية، وأجمعوا على هذه العقيدة السنية، وأحالوا على الله العظيم الاتصاف بهذه النعوت الردية، ومن هذه التصريحات العلية، والنقول المرضية، ما نحن بصدده حيث:

قرر هنا شيخ الإسلام أبو عبد الله البخاري ﷺ، بتأسيس نفي أوصاف الخليقة عن ربه، ومن جملة ذلك ما يخطئ في تصوره البعض؛ فيعتقد أن الله بشرا – وإن كان تحت مضلل قاعدة : بلا تشبيه، ولا تعطيل، ولا تمثيل؛ لأنه عند ذلك يكون بشرا

[179]) الزمر/ ٥٦

[180]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٤٥)

ليس ككل البشر، ولا ينفعهم ذلك التلبيس على الناس عند الله ولا عند المؤمنين – وأن له أعضاء وجوارح ومنها الجنب ويصفه تعالى بذلك؛ وهنا برز الإمام أبو عبد الله مدافعا عن التنزيه للمولى في عقيدة أهل الحق الأعلى: بأن المقصود في الآية هو :

التقصير في حقه تعالى، وليس لله صفة تسمى بالجنب؛ بل هو من المجاز المرسل، وليس الحقيقة، وهذا منه رحمه الله سد لذريعة: الشرك المستوحاة، من الشركة في الصفات بين العبد والرب، فيكون المسلم كالنصراني في اعتقاد بشرية الإله؛ جل ربنا عما يقول الظالمون علوا كبيرا، والحمد لله أولا وأخيرا.

[*] تأويل الضحك إلى معنى الرحمة:

• أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أنا أبو الحسن المصري، نا عبد الله بن محمد بن أبي مريم، نا نعيم بن حماد، نا سفيان بن عيينة، سمع مسعر بن كدام، عن عمرو بن مرة، عن عبد الله بن سلمة، عن علي، ومحمد بن عجلان، عن عون بن عبد الله، عن عبد الله بن مسعود، أنهما قالا : إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا فظنوا به الذي هو أهيأ وأهدى وأتقى « قال الشيخ : وأما الضحك المذكور في الخبر فقد روى الفربري عن محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله أنه قال : «معنى الضحك فيه الرحمة» [181].

• أخبرنا محمد بن عبد الله الحافظ، أخبرني أبو عبد الله محمد بن يعقوب، ثنا يحيى بن محمد، نا مسدد، نا عبد الله بن داود، عن فضيل بن غزوان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، ﷺ : أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث إلى نسائه، فقلن : ما عندنا إلا الماء . فقال رسول الله ﷺ : « من يضيف هذا ؟ » فقال رجل من الأنصار : أنا . فانطلق به إلى امرأته، فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبيان . فقال : هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا العشاء . فهيأت طعامها، وأصلحت سراجها ونومت صبيانها، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، وجعلا يريانه كأنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح

[181]) الأسماء والصفات للبيهقي - (ج ٢ / ص ١٨٦)

غدا على رسول الله ﷺ فقال : « لقد ضحك الله الليلة ـ أو عجب ـ من فعالكما ».

وأنـزل الله عـز وجـل : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. رواه البخاري في الصحيح عن مسدد، وأخرجه أيضا من حديث أبي أسامة عن فضيل، وأخرجه مسلم من أوجه أخر، عن فضيل وقال بعضهم في الحديث « عجب »، ولم يذكر الضحك . قال البخاري : « معنى الضحك الرحمة » . قال أبو سليمان : « قول أبي عبد الله قريب، وتأويله على معنى الرضى لفعلهما أقرب وأشبه، ومعلوم أن الضحك من ذوي التمييز يدل على الرضى والبشر، والاستهلال منهم دليل قبول الوسيلة، ومقدمة إنجاح الطلبة، والكرام يوصفون عند المسألة بالبشر وحسن اللقاء، فيكون المعنى في قوله: « يضحك الله إلى رجلين » ؛ أي : يجزل العطاء لهما؛ لأنه موجب الضحك ومقتضاه(١٨٢).

والشأن في ذلك واضح، وقد سبق من تقرير بعض ما فيه فارجع إليه تجده زاخرا بلطيف المعاني، وقويم المباني؛ بفضل ربنا عظيم الشان.

[•] ما جاء في تأويل الإتيان:

[•] في تأويل الإتيان والمجئ ممن يستحيل منه : أنه على معنى العطاء :

• في قوله تعالى :﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾:

قال البخاري: باب تفسير سورة حم السجدة (فصلت) وقال طاوس، عن ابن عباس: ﴿ائْتِيَا طَوْعًا﴾ أعطيا، ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أعطينا (١٨٣).

وجه الدلالة:

قلت: ظاهر الآية هو إخبار المولى تبارك وتعالى عن أن الأرض تأتي وكذلك السماء، مع أن حقيقة الإتيان لا يحصل من السماء، ولا الأرض؛ فهو مجعول لمن

(١٨٢) الأسماء والصفات للبيهقي - (ج ٣ / ص ١٣)
(١٨٣) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٤)

يعقل، ويتحرك بذاته حركة اختيارية انفعالية رجاء إيقاع فعل أو كف، وكل هذا غير متصور من السماء، ولا من الأرض؛ فكيف وقع به الخبر من رب العزة جل شأنه؟

وها هنا يظهر حبر الأمة رضي الله العليم عنه برواية البخاري رحمه الله تعالى أن الإتيان المذكور في الآية ليس على ظاهره، وإنما يقصد به الإعطاء والانفعال بما جبل عليه الشئ، وبما قد ركز في فطرته وخلقته !

وأنه لا يقصد به الإتيان بمعنى الحركة التي أشرنا إليها، وأن ذلك أمر غير منكر بدليل التأويل الذي ذكره الحاكم وصححه في مسنده على أنه كان بالأمر لهما بإخراج ما ركز فيهما من الشمس، والقمر، والنجوم، والنبات، والثمار، والأنهار، وغير ذلك مما جبلتا عليه؛ فقالتا أعطينا ما فينا: طاعة لله رب العالمين.

ولكن يأتي هنا إشكال مدرسة المجسمة والمشبهة من شبهة ضلالهم بأن يقال:

كما قلتم يجب أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل ... إلخ، وهنا قد أتى النص ليفيد كذلك إثباته تعالى لأحد خلقه صفة من الصفات ؛ فيجب على نحو ما قالوه أن نثبت لهذا المخلوق ما أثبته له الله تعالى بغير تعطيل، ولا تكييف ... إلخ، وإن لم نثبتها لهذا المخلوق ؛ فيلزم من ذلك التكذيب لرب العالمين فيما أخبر، فهو سبحانه الذي أثبت لنفسه أشياء وطالبنا بالإيمان بها ؛ فكذلك يطلب منا الإيمان بما به أخبر، ويلزم أيضا القول بتجهيل رب الأكوان تقدست كمالاته عن علمه بحقيقة صفات الخلق الذين يخلقهم ثم يخبر عنهم، ويلزم كذلك تعطيل كلام رب العالمين أن يراد به غير الحقيقة، وهو كذلك تعطيل في صفات رب العالمين من الكلام والإرادة والعلم وغير ذلك من الصفات، وجميع ذلك ضلال يخرج عن ملة الإسلام، أو أن يثبتوا للأرض والسماء الإتيان الذي لا نعرفه، وهذا هو بعينه القول بمذهب التفويض حيث أثبتوا بخبر الله تعالى ما لا يعلمون وصفه، وقد كفر المجسمة مذهب التفويض وسموه مذهب التجهيل؛ فلم يعد بإمكانهم القول به، وإن قالوا فقد وقعوا في التناقض، وألزمناهم القول بما قلنا في غيره من المواضع فيثوبوا إلى معتقدنا، وينتحر مذهبهم برمته !

أو أن يقولوا أن ابن عباس ﷺ قد عطل في صفات ما أخبر الله تعالى شأنه فغير معاني كلام الله تعالى، وأنه قد حرف كلام رب العالمين عن مواضعه ؛ فيكون سب للصحابة ﷺ، وهذا ليس من عموم الصحابة ؛ بل هو من أخص الصحابة وأعلمهم بالنصوص القواطع ؛ فيكون هذا كذلك من الكفر لإنكار ما صرح المولى العظيم بترضيه على الصحابة، بل يكون ذلك من الجحود لهذا الشهادة بالرضى عنهم ؛ فأين تذهبون ؟

وهنا أيضا مسألة من العلوم القواطع هي :

أن الأحاديث الصحاح قد أتت بتأويل الإتيان المنسوب للأرض والسماء على معنى : إخراج ما يراد منهما، وليس إتيان حقيقي للأرض ولا للسماء، مع أن الإتيان هنا مطلوب مما لا يصح وقوع الإتيان منه، وهو مخلوق ؛ فكيف يتصور من الغني بذاته وقوع الإتيان منه جل شأنه لتنزيهه عن الحركة والانتقال ؟ .

ولما لا يكون التأويل للإتيان المنسوب لرب الأكوان جل شأنه : أن يكون على معنى فصل القضاء في هذا اليوم المهيب، وأنه ليس هناك إتيان حقيقي يوصف به تعال، كما هو متحقق في إتيان السموات والأرض ؟؟؟؟؟؟.

فالرجوع الرجوع إلى الله على منهج الصحابة والأئمة، ولتتوبوا إليه تعالى عما اقترفته عقولكم، وما تدنست به قلوبكم، ونثوب جميعا إلى حظيرة الإسلام وعزه؛ عسى الله الغفور الكريم أن يقبلنا جميعا !!!

[*]في قوله تعالى :﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾[١٨٤]:

قال الإمام البخاري: نأتيهم من مأمنهم، كقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾[١٨٥] [١٨٦] .

---

[١٨٤]) الاعراف / ١٨٢
[١٨٥]) الحشر/ ٢
[١٨٦]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩٧)

قلت: وهذا من نوع الاستعارة المكنية التبعية؛ حيث شبه فعل الله بالكافرين على جهة العطاء ؛ مع أنه سبحانه قد جعل عقوبتهم قريبة ومضاعفة، وأنه أعد لهم فواجع فوق حساباتهم بالاستدراج لهم، ولابد للمتصدر للنظر في علوم الرسالة ذات العصمة، والشريعة الفضلى لهذه الأمة: أن يكون متدرعا بعلوم الآلة، وأولها وأفخمها: لغة العرب؛ ففيها أنواع كثيرة من وجوه الدلالات، وبها نزل القرآن، وهو كما قال علي بن أبي طالب ﷺ: حمال لأوجه، ومن ضيع علم العربية، وأراد النظر في مدارك ومعطيات هذا الدين؛ فقد ضيع الدين عند سامعيه، والمتعلقين به، وإن حسنت نيته، ولا عذر له في مهالك مصيبته؛ فكيف يتسنى عند عقله: أن من أراد التعلق بعلم الطب، لابد له من تعاطيه بشروطه على المتخصصين، ووفق ما يدرسونه من قوانينه، وإلا قتل بجهله من وثق به؛ وهي حياة دنية قد ضيعها على صاحبها؛ فكيف بمن يتسبب بجهله، وخسة عقله؛ - حيث لم تعلو همته لتعاطي قواعد علوم النظر في شريعة ربه- ؛ فيهلك نفسه ومن أخذ عنه؛ فيضيع عليهم سعادة الخلود لحياة الأبد!!!!!!!

ومن أجل ذلك فإن الإمام أبو عبد الله البخاري هنا، يتكلم بلغة المجاز في الإتيان، وهي لغة مشهورة عند العرب، وصحيحة المدرك في كل لغة من غير العرب؛ فيفسر ﷺ الاستدارج الوارد في الآية: بأنه الإتيان للمجرمين من حيث لم يحتسبوا، فيكون الإتيان لهم من غير مأمنهم؛ فهنا :

يقوم الإمام البخاري ﷺ بتفسير الإتيان الوارد في آية: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟﴾ مؤولا للإتيان المذكور فيها، بأنه الاستدارج، وأنه يوقعهم فيما يعجزون عن تدارك حساباتهم العقلية؛ فيوردهم المهالك قهرا، ويخيب لهم وقايتهم لأنفسهم جبرا، عقابا لهم على عصيانهم قسرا.

ولكن أين ذكر الإتيان على حقيقته المزعومة في حق رب العالمين، المقتضية للتحرك والانتقال، من موضع لآخر، وهل يفعل ذلك: إلا من عجز عن استلحاق نفع، أو دفع ضرر إلا بتلك الحركة؟؟؟

وهل يتحرك في المواضع؛ إلا من حل فيها، وكانت تحصره في محيط إمكاناتها ومكانها؟ فلو كان خارج سلطان حدودها، وقاهرا على أبعاد مساحاتها؛ فأي معنى يكون للتحرك بداخلها، وهو أعظم من علائقها؟ بل لا يكون هناك للتحرك فيها سوى معنى الحلول والاتحاد فيها!!!

فيكون المعنى المستقيم المتبادر إلى ذهن المسلم العلي، والسني التقي:

أن الآتي إلى أولئك المجرمين، من دواعي الانتقام: هو فعل الله بإهلاكهم بأمره؛ أو يكون الآتي إليهم : ملائكة عذابه، وموكلو انتقامه ووباله عليهم؛ كما أرسل جل جلاله لقوم لوط: رسول الله جبريل عليه السلام؛ فرفع القرية على طرف جناحه إلى السماء، حتى سمع نباح كلابهم لأهلها، ثم قلبها وخسف بها، وهذا أمر معروف لا يحتاج إلى طول بيان، والحمد لله المتفضل بقويم البرهان، وهذا يؤيده قول الإمام البخاري كذلك، عندما روى عن النبي ﷺ، الحديث المخبر عن الآتي هو الأمر؛ فقال:

• حدثنا شهاب بن عباد، حدثنا إبراهيم بن حميد، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة قال : سمعت النبي ﷺ يقول: " لا يزال من أمتي قوم ظاهرين على الناس، حتى يأتيهم أمر الله ([١٨٧]) ".

• وحدثنا الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، حدثني عمير بن هانئ، أنه سمع معاوية قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"، فقال مالك بن يخامر: سمعت معاذا يقول: وهم بالشأم؛ فقال معاوية: هذا مالك يزعم: أنه سمع معاذا يقول: وهم بالشأم ([١٨٨]).

[١٨٧]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٤)
[١٨٨]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٤)

[•] تأويل صفة الغيرة:

• حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان عن يحيى، عن أبي سلمة، أنه سمع أبا هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال:

" إن الله يغار، وغيرة الله: أن يأتي المؤمن ما حرم الله" ([١٨٩]).

• حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن أبي وائل، عن عبد الله ﷺ قال: " لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه"، قلت: سمعته من عبد الله ؟ قال نعم قلت ورفعه ؟ قال نعم([١٩٠]).

قلت: وهذان الحديثان الشريفان، من جملة روائع تأويلات سيد المرسلين أجمعين، ﷺ؛ حيث وصف ربه ابتداء بصفة الغيرة، ثم :

أراد المصطفى الأغر، من إليه المعالي تفتقر؛ فهو أعلى منها وأقدر، من قيل في قدره الفخيم، وإنك لعلى خلق عظيم، أراد أن يدفع التوهم في علم العقيدة المهدية، من تصورات الأوصاف البشرية؛ فقال:

[وغيرة الله]، وهذا منه ﷺ تقرير:

بأن إذا وصف الله بالغيرة؛ فهي صفة تشتبه بالأوصاف البشرية، من جهة اللفظ، أما المعنى فلا!!!

بل هناك فارق بين العبد وبين الرب، وأنه ليس بينهما سوى الاشتراك اللفظي فقط، وأن المعلوم لدينا هو ما للعبد وحده، وأن غيرته:

تتعلق بتغيير في التركيب الدموي، الناتج عن تغيير في الشعور؛ مما يحدث اختلافا في لون العبد، وارتفاعا في ضغط دمه، واحتقانا وربما اختناقا في تنفسه، واتخاذا لواقع كثيرة في وظائف أعضائه.

[١٨٩]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٠٠٢)
[١٩٠]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٦٩٦)

وكل تلك الأوصاف على مستحيلة، ومن اعتقدها في حق ربه؛ فقد عرض نفسه للهلاك؛ فقد شبه الأزلي بالمخلوق الحادث، وجعل ذات المولى العظيم محل للتغيرات الحادثة، وهو على الله الكبير محال.

وهنا أعلى سيد الخلق بيانه: بأن هناك غيرة لله، ولكنها تخالف ما عليه غيرة البشر، ثم أوضحها بقوله: [أن يأتي المؤمن ما حرم الله]، وهذا يفيد:

نفي كون غيرة الله من الحوادث، أي : من أنواع التغيرات الشعورية، أو الفسيولوجية، وهذا من ألوان نفي التشبيه؛ فلو كانت من نفس الجنس، ولكنها تختلف من حيث الكم، والكيف؛ لبين ذلك ﷺ، ولكنه بين خلاف هذا الأمر؛ فقال قولته[أن يأتي المؤمن ما حرم الله] وهي تفيد كذلك:

أن النبي الأعظم قد حول انتباه المسلم، عن النظر في حقيقة صفات الذات العلية، إلى المتوجب على العبد النظر فيه، وهو الحذر من الوقوع في محيط غضب الله؛ من حيث: إن من أثار غيرة غيره؛ فقد استوجب غضبه؛ فوجه المعصوم ذهن أصحاب الفهم عن ربهم إلى :

أولا: عدم الخوض في النظر في كنه ذات، أو صفات باريهم تعالى شأنه.

ثانيا: عدم قياس أوصاف مليكهم العظيم على أوصاف أنفسهم؛ فلهم النقص، وله ما فوق الكمال.

ثالثا: أن نتاج أفعال العباد، من أنواع القربات، أو من أنواع الإجرامات؛ لا يكون له تأثير، أو تغيير على ذات هي فوق جميع المخلوقات، وهي الموجدة لكل الكائنات، وأن ما يلزم العبد هو النظر؛ فيما يكون من فعله تعالى؛ جزاء، أو عقابا للعباد؛ فيلزم باب ربه، ويحذر أن يراه فيما حرم، وأن هذا متعلقهم، وأنه تعالى لا يعبؤ بهم لولا الدعاء، وأنه ما من شئ هو نتيجة لفعالهم في ذاته، ولا في صفاته؛ بل يمتن عليهم لأنه الكريم، ويصبر على سوء أدبهم وجميعهم إليه فقير، ولو شاء لأهلكهم جميعا ولا يبالي، ولكن رحمته سبقت غضبه.

الباب الرابع
النبوات

تتعدد صفات الرسل عليهم السلام إلى أقسام ثلاثة: فمنها ما هو واجب، ومنها ما هو محال، ومنها ما هو جائز، فيجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام: الصدق، والأمانة، وتبليغ الرسالة، والعصمة .

ومحال في حقهم: الكذب، والخيانة، وكتمان شئ مما أمروا بتبليغه للخلق ، ومحال منهم كذلك فعل كبائر الذنوب، ولا صغائرها؛ إلا ما وقع منهم من الصغائر بغرض التشريع فيجوز وقوعها سهوا، كما خرج النبي ﷺ من الصلاة لأنه سهى؛ فكان ذلك من أجل التشريع لرفع الحرج عن الأمة، ويستحيل عليهم ضعف العزائم، ويستحيل عليهم من الله تعالى تركهم على الباطل، وخلاف الواقع في شأن زوجاتهم، وأولادهم؛ فلا زواج لهم من البغايا من النساء، ولا يبقى عليهن منهم، ولا يكون لهن ولد من سفاح ينسب إليهم، كما يستحيل في حقهم ضعف اليقين، والشك في الله رب العالمين، أو فيما أنزل من الدين.

ويجوز في حقهم عليهم السلام: أن يقع معهم ما هو من الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية؛ كالأكل، والشرب، والمشي في الأسواق، وجماع النساء، وكالمرض، والجوع، والنوم، والموت، والشهادة ، ويخرج بقيد ذلك ما يؤدي إلى نقص في مراتبهم السامية: من البلادة وعدم الفطانة، والحسد، والبرص، والجذام لتنفيرها منهم.

وقد أتى الإمام البخاري ﷺ في صحيحه ببعض من متعلقات هذه الصفات، ونتناولها على النحو التالي:

[*]في وجوب صدق الأنبياء وعدم كتمانهم العلم والحق قال البخاري:

* حدثنا أحمد، حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت عن أنس قال: جاء زيد بن حارثة يشكو؛ فجعل النبي ﷺ يقول: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ

Courtesy of Darul Tahqiq darultahqiq@gmail.com

﴿ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾ ، قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات.

• حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة ﷺ، قالت: من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا؟

• وقال محمد: حدثنا أبو عامر العقدي، حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئا من الوحي؛ فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾(١).

قلت: الأصل أن الإنسان لا يأتي بما يكشف سر نفسه؛ مما لا يحب أن يطلع عليه أحد، وفي كل زمن يتصيد أعداء الأنبياء والرسل الشبهات؛ ليزينوا فاسد الأدلة على بطلان النبوة، وفي هذا الأمر من شأن قضية التبني: قد أمر الله نبيه ﷺ على التزوج من مطلقة ربيبه، وأعلمه بأنها ستطلق منه، وكانت رغبة النبي ﷺ في الحفاظ على هيبة وقدسية النبوة، وخشيته على الناس من الوقوع في حق نبيهم فيخرجهم عن ملته؛ دافعة له ﷺ على محاولة منع هذا الطلاق، وطلب طريقة أخرى للتشريع غيرها؛ حتى لا يتهم الأنبياء عند البسطاء: بالوقوع في عشق النساء، وارتكاب المحرمات في سبيل تحقيق مآربهم؛ فكان يقول لزيد ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ ﴾، ولكن إرادة الله العظيم اقتضت إيقاعها على هذا النحو؛ حتى أمره تعالى بأن يكشف سر نفسه، من أمره لزيد بعدم الطلاق، مع علمه بحتمية وقوعه، وكراهيته لذلك فقال: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾؛ فكان هذا دليلا

(١) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٩)

على وجوب اتصاف الأنبياء بالصدق فيما يبلغون عن ربهم، وإن خالف رغباتهم؛ فاستدلت به السيدة عائشة ﷺ، كما استدل بها أنس بن مالك ﷺ على : عدم جواز كتمان النبي شيئا من العلم، وكان هذا من شأن التأسيس في قضية عصمة الأنبياء .

[*]عصمة اعتقاد الأنبياء عن ظن الجهلة بخلف وعد الله تعالى لهم:

• حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة: أنه سأل عائشة ﷺ، زوج النبي ﷺ أرأيت قوله: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا ﴾، أو كذبوا؟ قالت: بل كذبهم قومهم؛ فقلت: والله لقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، وما هو بالظن؛ فقالت يا عرية: لقد استيقنوا بذلك، قلت: فلعلها، أو كذبوا، قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، وأما هذه الآية؛ قالت: هم أتباع الرسل، الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم وطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر؛ حتى إذا استيأست ممن كذبهم من قومهم، وظنوا أن أتباعهم كذبوهم ؛ جاءهم نصر الله".

قال أبو عبد الله ﴿ اسْتَيْأَسَ ﴾ افتعلوا من يئست ﴿ مِنْهُ ﴾ من يوسف، ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ معناه الرجاء(٢).

وجه الدلالة:

قلت: تتجلى القدرات العلمية والذهنية عند أهل الله عموما، وعند آل البيت، وعند الأكابر من أهل العلم خصوصا، في فهم الغوامض وإدراك محال الإشتباك العلمي الذي أغلبه تكون فيها الجهات منفكة، فتشكل في ظاهرها أمرا، ولكنها أبعد ما تكون عن المعارضة، فيأتون محقين للحق بحسان التصورات، وجواهر اليقينيات ما يريح العقل، ويزيح عن الروح خشية الضلال، فيستريح القلب، ويطمئن بدرجات اليقين؛ فإذا ماورد وارد من مثل ما وقع يكون ماسبق

(٢) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٣٩)

لهم مع الأكابر من سالف التجارب، معلما الطريق للفهم عن الله رب العالمين، وما ذلك إلا ليعلم المؤمنون عموما وخصوصا أن النظر من غير أولئك القوم في مطلقات وعمومات العلم ودقائقه؛ لا يكون متوافرا بدرجة تسمح لهم بالفهم عن الله، وأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وفي هذا النص المنير هنا يتعارض من جهة الظاهر بلفظ ﴿كُذِبُوا۟﴾ فيقول عروة بن الزبير ﷺ أنه بالتشديد؛ لأنه يستحيل أن يظن بأن الأنبياء قد ﴿كُذِبُوا۟﴾ – بغير تشديد –؛ فيكون المعنى عندئذ: أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا فيما وعدوا به؛ اعتمادا على أن الأمر كان كذلك لأجل ضعف البشرية، وهو لا يجوز، لأن المؤمن لا يجوز أن يظن بالله خلف وعده، بل يخرج بذلك عن الإيمان؛ فكيف يجوز مثل هذا الظن على الرسل، وأما قراءة التشديد فتعني: أن يكون الظن بمعنى الحسبان والتقدير؛ حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم؛ فظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم، روي أن ابن أبي مليكة نقل عن ابن عباس ﷺ أنه قال: وظن الرسل أنهم كذبوا، لأنهم كانوا بشرا ألا ترى إلى قوله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٢)، قال فذكرت ذلك لعائشة ﷺ فأنكرته وقالت: ما وعد الله محمدا ﷺ شيئا إلا وقد علم أنه سيوفيه، ولكن البلاء لم يزل بالأنبياء، حتى خافوا من أن يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم، وهم أتباع الرسل، الذين آمنوا بربهم، وصدقوهم وطال عليهم البلاء، فلما استأخر عنهم النصر؛ حتى إذا استيأست ممن كذبهم من قومهم؛ جاءهم نصر الله، وهذا الرد والتأويل في غاية الحسن من عائشة رضي الله العظيم العليم عنها، ثم جعل الإمام البخاري يزيد من تفصيل معاني اليأس، وأنها ليس فقط تختلف؛ بل قد تصل إلى درجة التضاد، مع اعتبارات اللغة.

٢) البقرة : ٢١٤ .

[*] استحالة انشغال الأنبياء بالدنيا عن ربهم:

* في قوله تعالى ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾:

قال ابن عباس: من ذكر ربي(٤).

وقال في قوله: ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا﴾(٥) : يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها (٦).

وجه الدلالة :

قلت: ظاهر الآية الكريمة يفيد أن نبي الله سليمان ﷺ قد انشغل عن عبادة ربه تعالى، وذكره: بسبب حب الخير ؛ فكأنه بذلك – وحاشاه – فتن ببسط الله عليه من أصناف إنعامه على ما جاء في بعض الروايات التي لا تصح نقلا ، ولا عقلا .

أما حبر الأمة عبد الله بن العباس ﷺ فقد أوضح أن عن هي على معنى من؛ فإن نبي الله سليمان ﷺ لم ينشغل عن عبادة ربه، و ذكره بسبب عطايا المولى له على ما يفهم المتفهيقون؛ فإن ذلك لا يقبل من بسطاء الموحدين؛ فكيف بنبي قد أوتي ما لم يؤت أحد غيره من الأنبياء؟ بل لو جوزنا ذلك عليه لأجزناه على من هو أقل رتبة عن النبوة من عامة أهل الله، ولما أنكر أحد عليهم ما هو أسوأ من ذلك، ولضاعت معالم الدين، والهدى، ولانتفت معاني الرسالات كلها، ولطعن في عصمة جميع الأنبياء، ولانتفت معاني القرآن، وشريعة الإسلام، وكل الأديان، ولأصبح معنى الألوهية، والعبودية: فارغ المحتوى، ولطعن في رب الكون وما سوى!

فأتى ترجمان القرآن ليقرر أن نبي الله سليمان ﷺ قد أكثر، وبالغ من ذكر ربه، ولذلك جعل يمسح بأعراف الخيل، وعراقيبها؛ شكرا لربه تعالى؛ فكان هذا الذكر لمولاه وفعله بالإنعام: هو أعظم الخير، وأن مدمنه يهيم بحب مولاه فيصل به الحال إلى أبلغ ما يقع من العشاق للعلائق الفانيات، وأنى للعدميات أن تقارب في الشعور

٤) صحيح البخاري - البغا - (ج ٤ / ص ١٨٠٨)

٥) سورة ص / ٣٣

٦) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٠٨)

بالمعاني والحقائق العلويات؟ حتى إنه ليفنى عن نفسه، وعن فنائه، ولا يرى إلا مليكه، وما يملك إلا بتمليكه!

- في قوله تعالى ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾:

قال ابن عباس: ﴿فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه؛ فيبطل الله ما يلقي الشيطان، ويحكم آياته، ويقال أمنيته قراءته (٧).

وجه الدلالة :

قلت : جاء في معنى الأمنية في لسان العرب قال :

قال أبو العباس أحمد بن يحيى التمني : حديث النفس بما يكون ، وبما لا يكون قال ، والتمني السؤال للرب في الحوائج: وفي الحديث" إذا تمنى أحدكم فليستكثر فإنما يسأل ربه "، وفي رواية " فليكثر "، قال ابن الأثير : التمني: تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وحديث النفس بما يكون، وما لا يكون، والمعنى: إذا سأل الله حوائجه، وفضله؛ فليكثر؛ فإن فضل الله كثير، وخزائنه واسعة ، وقال أبو بكر : تمنيت الشيء : أي قدرته، و أحببت أن يصير إلي من المنى ، وهو القدر ، وقال الجوهري : تقول تمنيت الشيء، ومنيت غيري تمنية ، وتمنى الشيء : أراده ، ومناه إياه ، وبه ، وهي المنية ، والمنية ، والأمنية (٨) .

فليس في جميع ذلك أنها بمعنى الحديث، ولا بمعنى القراءة؛ فأتى عبد الله بن عباس ﷺ أنها بمعنى القراءة، وأخذ أصحاب المعاجم أنها بهذا المعنى من قول عبد الله بن العباس ﷺ، مع أنه لا علاقة لهذا بالظاهر من اللفظ؛ وإنما جاء معنى الأمنية على معنى:

٧) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٦)
٨) لسان العرب - (ج ١٥ / ص ٢٩٢)

حديث النفس بما يكون، و بما لا يكون، وبمعنى السؤال للرب في الحوائج، وبمعنى تشهي حصول الأمر المرغوب فيه، وبمعنى تقدير الشيئ، و بمعنى محبة أن يصير إليه الشئ، وبمعنى الإرادة للشئ.

وقد جاءت كذلك على سبيل الاستعارة المكنية فشبه الأمنية أو القراءة بوعاء أو ظرف، وأتى بما يدل على ذلك من الإلقاء فيه.

وكان هذا التأويل من ترجمان القرآن فيما رواه عنه الإمام البخاري دالا على: عصمة الأنبياء، وعصمة الوحي الذي أنزله إلى بعضهم، عن تلاعب الشيطان، أو الخلق، والأخير قد اختص به النبي ﷺ؛ فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

[*] تبرئة الأنبياء عن الأمراض والصفات المستقذرات والمستبشعات:

- حدثني إسحاق بن إبراهيم، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا عوف، عن الحسن، ومحمد، وخلاس، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه؛ فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده: إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى؛ فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل؛ فلما فرغ: أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه؛ فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر؛ فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر؛ حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل؛ فرأوه عريانا، أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر؛ فأخذ ثوبه، فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه؛ فو الله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا، أو أربعا، أو خمسا؛ فذلك قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾(٩).

٩) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٤٩)

[*]وجوب عدم التفرقة بين الأنبياء:

• حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة والأعرج، وحدثنا إسماعيل، حدثني أخي، عن سليمان، عن محمد بن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، وسعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: استب رجل من المسلمين، ورجل من اليهود؛ فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا على العالمين- في قسم يقسم به- فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم يده عند ذلك، فلطم اليهودي؛ فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ، فأخبره بالذي كان من أمره وأمر المسلم؛ فقال النبي ﷺ :" لا تخيروني على موسى؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق؛ فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي؟ أو كان ممن استثنى الله ؟"([10]) .

• وقال لي خليفة، حدثنا يزيد بن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي العالية، عن ابن عباس ﷺ: عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه قال:" لا ينبغي لعبد أن يقول: إنه خير من يونس بن متى" ، ونسبه إلى أبيه ([11]).

[*]درجة الولاية:

اعتقاد أهل السنة : أن أولياء الله الصالحين حق، وبذلك قد أتت نصوص القرآن والسنة، وأنهم محفوظون عناية من الله بهم، وحفظ الولاية لصاحبها يقضي: بألا يقع في الرذيلة، أو الكبائر، ويبقى الفرق بين النبي، والولي؛ بفارق التحدي فيما أوتي؛ وأن درجة النبي بلا شك فوق درجة الولي؛ فهو لا يتحدى، ولكنه محفوظ فيما يأتي ويذر؛ فروى عن السيدة مريم وهي وليَّة لله صديقة ما جاء:

[*]وقال أبو وائل: علمت مريم: أن التقي ذو نهية حتى قالت: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾([12]) ([13]).

[10]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٧)
[11]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٤١)
[12]) مريم / ١٨
[13]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٥٩)

مع أن الاستعاذة بالله القدير: لا تتوقف على أمر، ولكن السيدة مريم ﷺ كانت: تريد أن تستفز الإيمان عند من خشيت اعتداءه عليها؛ فهذا التعليق لا يطعن في عقيدتها، وإنما يصور شفقتها على الناس؛ حتى على من أراد الاعتداء في ظنها.

[*] جواز إطلاق لفظ العصمة على غير الأنبياء وتفيد الحفاظة فقط :

حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري قال: حدثني أبو سلمة، عن أبي سعيد الخدري: عن النبي ﷺ قال:

"ما استخلف خليفة إلا له بطانتان؛ بطانة تأمره بالخير، وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر، وتحضه عليه، والمعصوم من عصم الله" ([14]).

[*] في مسألة عصمة الولي بمعنى الحفظ:

وقال ابن عباس ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾([15]) : الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾([16]).

[14]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٣٨)
[15]) فصلت/ ٣٤
[16]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٤)

الباب الخامس
السمعيات

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

الأمور السمعية في عقيدة أهل السنة: هي الأمور التي لا مدخل للعقل في إثباتها، ولا قدرة له على الخوض في شؤونها؛ فيؤمن بها من جهة السمع، لا من جهة العقل، وهي المتعلقة بالقيامة، والحشر، والنشر، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، وشبه ذلك، وقد روى الإمام البخاري عنها أحاديث إجمالية، وأخرى تفصيلية، ونأتي بها على نحو ما أورد؛ فقد قال:

• حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريج، أخبرني سليمان الأحول، أن طاوسا أخبره، أنه سمع ابن عباس يقول: كان النبي ﷺ إذا تهجد من الليل قال: "اللَّهُمَّ لك الحمد: أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد: أنت قيم السماوات والأرض، ولك الحمد: أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن؛ أنت الحق، ووعدك الحق، وقولك الحق، ولقاؤك الحق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، والساعة حق، اللَّهُمَّ لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت؛ فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت؛ أنت إلهي لا إله إلا أنت "(١).

[*]اعتقاد أن رؤية الله لا تجوز لأحد في الدنيا:

• حدثنا قتيبة، حدثنا أبو عوانة، حدثنا أبو إسحاق الشيباني قال: سألت زر بن حبيش، عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾، قال: حدثنا ابن مسعود: أنه رأى جبريل له ستمائة جناح (٢).

• حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ﷺ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ قال: رأى رفرفا أخضر، سد أفق السماء(٣).

---

١) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٤)
٢) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨١)
٣) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨١)

Courtesy of Darul Tahqiq darultahqiq@gmail.com

• حدثنا محمد بن عبد الله بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، عن ابن عون، أنبأنا القاسم، عن عائشة ﷺ قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته، وخلقه ساد ما بين الأفق[1].

• حدثني محمد بن يوسف، حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكرياء بن أبي زائدة، عن ابن الأشوع، عن الشعبي، عن مسروق قال: قلت لعائشة ﷺ: فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ ؟ قالت: ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإن أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته؛ فسد الأفق [*].

[*]رؤية رب العالمين في الآخرة للمؤمنين:

• حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعي، حدثنا أبو شهاب، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: إنكم سترون ربكم عيانا[6].

ظن المعتزلة والشيعة بحسب ما أوتوا من قليل العلم: أن رؤية الله جل جلاله لا تجوز في الدنيا ولا في الآخرة، واضطروا لتأويل الآيات الصريحة، والأحاديث الصحيحة، ومنها هذا الحديث، وفيه أبين البرهان:

بأن الرؤية ستكون بالعين وليس فقط بالقلب كما يدعيه النفاة منهم، وقد صنفت في ذلك رسالة/ رؤية المولى العلي في معراج النبي، ﷺ، تحت الطبع، وقد أثبت فيها وقوع الرؤية لله بالعين للنبي أثناء رحلة المعراج، وهو قاطع كذلك بجواز وقوعها في الجنة في الآخرة من باب أولى، والحمد لله الكريم المولى.

[*]وأن المسيح الدجال من علامات الساعة الكبرى وفتنها العظمى:

• حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سلام بن أبي مطيع، عن هشام، عن أبيه، عن خالته: أن النبي ﷺ كان يتعوذ: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من فتنة النار ومن عذاب النار،

[1]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨١)
[*]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨١)
[6]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٠٣)

وأعوذ بك من فتنة القبر وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال [7].

• حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ، أن النبي ﷺ كان يقول:" اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذاب النار، ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال؛ اللَّهُمَّ اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد، ونق قلبي من الخطايا، كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي، كما باعدت بين المشرق والمغرب "[8].

[*] عدم دخول الدجال المدينة:

• حدثنا إسحق بن أبي عيسى، أخبرنا يزيد بن هارون، أخبرنا شعبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المدينة يأتيها الدجال، فيجد الملائكة يحرسونها؛ فلا يقربها الدجال، ولا الطاعون إن شاء الله [9] .

[*]وأن منكرا ونكيرا حق:

• حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك ﷺ أنه حدثهم: أن رسول ﷺ قال: إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم: أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في الرجل - لمحمد ﷺ- فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار؛ قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة؛ فيراهما جميعا، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس،

[7]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٤٤)
[8]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٤١)
[9]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٨)

فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة؛ فيصيح صيحة يسمعها من يليه، غير الثقلين ([10]).

• وحدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إذا أقعد المؤمن في قبره أتي، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله؛ فذلك قوله ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة بهذا وزاد ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ نزلت في عذاب القبر([11]).

[•]ونؤمن بعذاب القبر أعاذنا الله منه بكرمه:

• حدثنا مسدد، حدثنا المعتمر قال: سمعت أبي قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: كان نبي الله ﷺ يقول: اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ([12]).

• حدثنا يحيى بن سليمان، حدثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير: أنه سمع أسماء بنت أبي بكر ﷺ تقول: قام رسول الله ﷺ خطيبا، فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء؛ فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة، زاد غندر عذاب القبر حق ([13]).

[•]وأن الشفاعة حق:

• حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" لكل نبي دعوة؛ فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي، شفاعة لأمتي يوم القيامة"([14]).

[10]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٦٢)
[11]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٦١)
[12]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٤١)
[13]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٦٢)
[14]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٨)

• حدثنا يوسف بن راشد، حدثنا أحمد بن عبد الله، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن حميد قال: سمعت أنسا ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:" إذا كان يوم القيامة شفعت؛ فقلت: يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون، ثم أقول أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء "؛ فقال أنس: كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ ([15]).

• حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا معبد بن هلال العنزي قال: اجتمعنا ناس من أهل البصرة؛ فذهبنا إلى أنس بن مالك، وذهبنا معنا بثابت البناني إليه، يسأله لنا عن حديث الشفاعة؛ فإذا هو في قصره؛ فوافقناه يصلي الضحى، فاستأذنا فأذن لنا، وهو قاعد على فراشه؛ فقلنا لثابت: لا تسأله عن شيء أول من حديث الشفاعة؛ فقال يا أبا حمزة: هؤلاء إخوانك من أهل البصرة، جاؤوك يسألونك عن حديث الشفاعة، فقال: حدثنا محمد ﷺ قال:" إذا كان يوم القيامة: ماج الناس بعضهم في بعض؛ فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم؛ فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى؛ فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتونني فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي؛ فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدا، فيقال يا محمد: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع؛ فأقول يا رب: أمتي أمتي، فيقال: انطلق، فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان؛ فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال يا محمد: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول يا رب: أمتي أمتي، فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة، أو خردلة من إيمان؛

[15]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٧)

فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال يا محمد: ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع؛ فأقول يا رب: أمتي أمتي؛ فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار؛ فأنطلق فأفعل".

فلما خرجنا من عند أنس قلت لبعض أصحابنا: لو مررنا بالحسن وهو متوار في منزل أبي خليفة؛ فحدثناه بما حدثنا أنس بن مالك، فأتيناه فسلمنا عليه؛ فأذن لنا، فقلنا له يا أبا سعيد: جئناك من عند أخيك أنس بن مالك؛ فلم نر مثل ما حدثنا في الشفاعة، فقال: هيه؟ فحدثناه بالحديث، فانتهى إلى هذا الموضع؛ فقال: هيه؛ فقلنا لم يزد لنا على هذا، فقال: لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين سنة؛ فلا أدري أنسي؟ أم كره أن تتكلوا؟ قلنا يا أبا سعيد: فحدثنا؛ فضحك وقال: {خلق الإنسان عجولا} ما ذكرته إلا وأنا أريد أن أحدثكم، حدثني كما حدثكم به وقال: ثم أعود الرابعة؛ فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا، فيقال يا محمد: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع؛ فأقول يا رب:ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله؛ فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله "[16].

• حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا أبو حيان التيمي، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة قال"أتي رسول الله عليه الصلاة والسلام بلحم؛ فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه؛ فنهس منها نهسة، ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين، والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس؛ فيبلغ الناس من الغم، والكرب مالا يطيقون، ولا يحتملون؛ فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم؛ فيأتون آدم ﷺ؛ فيقولون له: أنت أبو البشر؛ خلقك الله بيده، ونفخ فيك من

[16]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٧)

روحه، وأمر الملائكة؛ فسجدوا لك: اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؛ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، و إنه نهاني عن الشجرة؛ فعصيته: نفسي؛ نفسي؛ نفسي: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح؛ فيأتون نوحا؛ فيقولون يا نوح: إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا؛ اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؛ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي؛ نفسي؛ نفسي؛ نفسي: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم؛ فيأتون إبراهيم؛ فيقولون يا إبراهيم: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض: اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؛ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي، نفسي، نفسي: اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى؛ فيأتون موسى؛ فيقولون يا موسى: أنت رسول الله فضلك الله برسالته، وبكلامه على الناس: اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى ما نحن فيه؛ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أو مر بقتلها؛ نفسي، نفسي، نفسي اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى؛ فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى: أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا: اشفع لنا؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؛ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا؛ نفسي؛ نفسي؛ نفسي: اذهبوا إلى غيري؛ اذهبوا إلى محمد عليه الصلاة والسلام فيأتون محمد عليه الصلاة والسلام؛ فيقولون يا محمد: أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر: اشفع لنا إلى ربك؛ ألا ترى إلى ما نحن فيه؛ فأنطلق؛ فآتي تحت العرش؛ فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن

الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي؛ ثم يقال يا محمد: ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع؛ فأرفع رأسي؛ فأقول: أمتي يا رب؛ أمتي يا رب؛ فيقال يا محمد: أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده: إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة، وحمير، أو كما بين مكة، وبصرى[١٧]".

• وقال حجاج بن منهال، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة، عن أنس ﷺ:

أن النبي ﷺ قال: " يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا؛ فيريحنا من مكاننا؛ فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شئ: لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لست هناكم، قال: ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة، وقد نهي عنها، ولكن: ائتوا نوحا: أول نبي بعثه الله إلى أهل الأرض؛ فيأتون نوحا فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن: ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، قال فيأتون إبراهيم فيقول: إني لست هناكم، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن، ولكن ائتوا موسى: عبدا آتاه الله التوراة، وكلمه، وقربه نجيا، قال فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، قتله النفس، ولكن ائتوا عيسى: عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته، قال فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم ولكن: ائتوا محمدا ﷺ: عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر؛ فيأتوني؛ فأستأذن على ربي في داره؛ فيؤذن لي عليه؛ فإذا رأيته: وقعت ساجدا؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني؛ فيقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط، قال: فأرفع رأسي؛

(١٧) البخاري في صحيحه ج ٤/ ص ١٧٤٧ حديث رقم: ٤٤٣٥، مسلم في صحيحه ج ١/ ص ١٨٦ حديث رقم: ١٩٤، النسائي في سننه الكبرى ج ٦/ ص ٣٧٩ حديث رقم: ١١٢٨٦، عبد الرزاق في مصنفه ج ٦/ ص ٣٠٧ حديث رقم: ٣١٦٧٤، ابن راهويه في مسنده ج ١/ ص ٢٢٩ حديث رقم: ١٨٤، ابن حبان في صحيحه ج ١٤/ ص ٣٨٤ حديث رقم: ٦٤٦٥، ٣١٨٢.

فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه؛ فيحد لي حدا؛ فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة وسمعته أيضا يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود فأستأذن على ربي في داره؛ فيؤذن لي عليه؛ فإذا رأيته، وقعت ساجدا؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعط قال: فأرفع رأسي؛ فأثني على ربي بثناء، وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدا؛ فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة وسمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - ثم أعود الثالثة ؛ فأستأذن على ربي في داره ؛ فيؤذن لي عليه ؛ فإذا رأيته وقعت له ساجدا ؛ فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقول: ارفع محمد، وقل يسمع، واشفع تشفع، وسل تعطه، قال : فأرفع رأسي؛ فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة - قال قتادة وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة - حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن - أي وجب عليه الخلود - قال ثم تلا هذه الآية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذي، وعده نبيكم ﷺ (١٨).

• حدثنا علي بن عياش قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة،عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: " من قال حين يسمع النداء: اللَّهُمَّ رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة: آت محمد الوسيلة، والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته: حلت له شفاعتي يوم القيامة " (١٩).

وجه الدلالة:

قلت : وفي هذه النصوص الصحاح قد أتى التقرير الصراح: بأن المقام المحمود هو الشفاعة؛ فلم يبق بعد هذا البيان برهان على احتمال كونها: الجلوس على العرش له ﷺ، وبالطبع فيه النفي الأشهر على استحالة الجلوس على الله الأكبر، وتجريم

١٨) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٠٨)
١٩) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٢٢)

الوصف بالقعود على الملك المعبود، وأن هؤلاء القوم ما يعبدون إلا بشرا كبيرا، قد وصفوه بذلك بصاحب مقعدة؛ إذ كيف يقعد إلا من كانت له مقعدة، وبالطبع يجب أن تكون كبيرة حتى تليق به وبحجمه الكبير على ما يصفون به ربهم؛ سبحانك هذا بهتان عظيم، وبوار وخيم، وليس له إلا الجحيم؛ فلينظر اللبيب المنصف، والمتعالم المتعسف ؛ إلى دين أمة نبيها ليس بمتكلف؛ فليعرف الحق وليغترف؛ فهذا معتقد النبي الأعرف، والصحب الأشرف، وأن السلف كانوا على ديننا أحق وأخوف!

وقد أتى الإمام البخاري ﵀ بنصوص شوافع ليثبت ويقرر:

- أن الشفاعة حق ثابت مقرور بالسنة الصحيحة، مطابق لما جاء بها في محكم التنزيل.
- وأن ثبوت سيادة النبي الأعظم على من سواه من الخلق جميعا أمر حق ثابت.
- أن التوسل بالذوات الشريفة، وأعلاها ذات المصطفى اللطيفة: هو ذروة سنام طلاب الخلاص يوم الموقف العظيم، من أولي العزم من الرسل الكريم !
- أن المقام المحمود هو رفع لواء الشفاعة العظمى، وليس كما ادعى بعض المجسمة بقوله: أن المقام المحمود هو إجلاس المولى نبيه الكريم بجواره، على عرشه العظيم لما يأتي:
- أن القول بأن الله جل جلاله له صفة الجلوس، محكوم بكفره عند أهل ملة الإسلام، وقد تناولنا هذه القضية بالتفصيل الماتع في كتابنا: [عقيدة المسلمين في عرش رب العالمين]، فانظره تجد الوفاء بكل ما قطع به المولى العظيم، ونبيه الكريم، وورثه لنا سلف الأمة من الصحابة، والتابعين، والأئمة المرضيين في هذا الصدد من نفي هذا المعنى المستحيل في حق رب العالمين.
- أن القول بأن المقام المحمود هو الشفاعة هو اعتقاد جماهير أهل السنة.

[•] وأن الحشر حق :

• حدثنا علي، حدثنا سفيان، قال عمرو: سمعت سعيد بن جبير، سمعت ابن عباس: سمعت النبي ﷺ يقول: "إنكم ملاقوا الله حفاة عراة مشاة غرلا" (١).

(١) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٩١) باب كيف الحشر

• حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمد بن جعفر قال: حدثني أبو حازم قال: سمعت سهل بن سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول:
" يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي - قال سهل أو غيره - ليس فيها معلم لأحد "(١) .

• حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يونس بن محمد البغدادي، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك ﵁: أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا، قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة: بلى وعزة ربنا (٢).

• حدثنا علي، حدثنا سفيان، قال عمرو: سمعت سعيد بن جبير، سمعت ابن عباس: سمعت النبي ﷺ يقول: " إنكم ملاقوا الله: حفاة عراة مشاة غرلا " قال سفيان: هذا مما نعد أن ابن عباس سمعه من النبي ﷺ " (٣).

[•] وأن الحساب حق :

• حدثني إسحق بن منصور، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا حاتم بن أبي صغيرة، حدثنا عبد الله بن أبي مليكة، حدثني القاسم بن محمد، حدثتني عائشة : أن رسول الله ﷺ قال: " ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك؛ فقلت يا رسول الله: أليس قد قال الله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ فقال رسول الله ﷺ: " إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة؛ إلا عذب" (٤).

[•] وأن الجنة حق:

• حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية:" أن رجلا من

(١) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٩٠)
(٢) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٩٠)
(٣) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٩١)
(٤) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٩٥)

Courtesy of Darul Tahqiq

أهل الجنة استأذن ربه في الزرع؛ فقال له أو لست فيما شئت؟ قال: بلى ولكني أحب أن أزرع؛ فأسرع وبذر، فتبادر الطرف نباته واستواؤه، واستحصاده، وتكويره أمثال الجبال؛ فيقول الله تعالى: دونك يا ابن آدم؛ فإنه لا يشبعك شيء؛ فقال الأعرابي: يا رسول الله لا تجد هذا إلا قرشيا، أو أنصاريا؛ فإنهم أصحاب زرع؛ فأما نحن فلسنا بأصحاب زرع؛ فضحك رسول الله ﷺ "([25]).

- حدثنا محمد بن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" أول زمرة تلج الجنة: صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يمتخطون ولا يتغوطون؛ آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان: يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، ولا اختلاف بينهم ولا تباغض؛ قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيا "([26]).
- حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: أول زمرة تدخل الجنة: على صورة القمر ليلة البدر، والذين على إثرهم: كأشد كوكب إضاءة؛ قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم، ولا تباغض؛ لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحسن؛ يسبحون الله بكرة وعشيا، لا يسقمون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون؛ آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، وقود مجامرهم الألوة - قال أبو اليمان يعني العود - ورشحهم المسك "([27]).
- حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد ﷺ: عن النبي ﷺ قال: " ليدخلن من أمتي سبعون ألفا، أو سبعمائة ألف: لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر"([28]).

[25]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٣٣)
[26]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨٥)
[27]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨٦)
[28]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨٦)

- حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا محمد بن فليح، حدثنا أبي، عن هلال، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ:" أول زمرة تدخل الجنة: على صورة القمر ليلة البدر، والذين على آثارهم: كأحسن كوكب دري في السماء إضاءة؛ قلوبهم على قلب رجل واحد، لا تباغض بينهم ولا تحاسد؛ لكل امرئ منهم زوجتان من الحور العين؛ يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم "([29]).
- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة؛ لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون؛ أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة - الألنجوج عود الطيب - وأزواجهم الحور العين؛ على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم: ستون ذراعا في السماء "([30]).

[*] وأن النار حق:

- حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك عن عمرو بن يحيى المازني، عن أبيه، عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان؛ فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا أو الحياة - شك مالك - ؛ فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم أنها تخرج صفراء ملتوية ([31]).
- حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ:" أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن، قيل: أيكفرن بالله ؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا قالت: ما رأيت منك خير قط "([32]).

[29]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨٧)
[30]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢١٠)
[31]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٦)
[32]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٩)

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

الباب السادس
الرد على الفرق المبتدعة

قال الله العليم الحكيم في آيات الذكر الحكيم ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ فدلت الآية على أن المولى تعالى قدره قد خلق الخلق للرحمة ، ولم يخلقهم للاختلاف ، وما ظلمهم الله ولكن الناس أنفسهم يظلمون ؛ فليس كل الناس يريد الهدى القويم ؛ بل هم كأنواع الأرض التي منها ما يقبل الماء والزرع ، ومنها ما يحبس الماء فينتفع به غيره ، ولا ينتفع هو به ، ومنها ما لا يقبل ولا يحبس ولا ينتفع ولا ينفع بشئ من أسباب حياة القلوب بدين الله القويم ، وهذا هو حالهم في تلقي أمر الرسالات الإلهية ، والقيم الروحية ؛ فالاختلاف وصف للبشر ، وهو يشبه اختلاف الألوان واللغات فيهم ؛ إلا أن الاختلاف في اللغات أمر معتبر ، والاختلاف في الفقهيات ومذاهبها يجعل روح التشريع تزدهر ؛ بل هو رحمة من أهلها وجهدهم يشكر ، أما الاختلاف في الحق من دين خالق البشر ، ومدبر الأكوان فلا يغتفر ؛ فمرد الاختلاف إما إلى الهدى وفي الجنة يستقر ، وإما إلى الضلال وفي قعر النار يستعر !

• حدثنا محمد بن العلاء قال: حدثنا حماد بن أسامة، عن بريد بن عبد الله، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال : " مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم؛ كمثل الغيث الكثير، أصاب أرضا؛ فكان منها نقية قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ، والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس، فشربوا، وسقوا، وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ؛ فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به؛ فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به " (١).

(١) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٢٤)

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

كما روى الإمام البخاري:

- حدثنا سعيد بن عفير قال: حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب قال: قال حميد بن عبد الرحمن: سمعت معاوية خطيبا يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: " من يرد الله به خيرا: يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم، والله يعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله ([1])".
- وهو قاطع بأنه لن تزال طائفة العطاء الأعلى، مع القسم الأسنى: منصورة يعجز العالم عن هزيمتهم؛ فبالله طاقتهم، وبمنه شريف قدرتهم، ولا طاقة لأحد بمكنتهم، كلما مات منهم أحد بقدره؛ أبدل الأتقى من الخواص محله، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة، وقد أعطوا في الآخرة شفاعة، أولئك أولياء الله وخاصة عباده، الذين نالوا عنده الرفعة، من جاهدوا وجعلوا دينهم عن العدو في منعة.

[*]كما يجب رد كل قول أو معتقد يخالف ما كان عليه سلف الأمة:

فهم خيرة خلق الله بعد الأنبياء، ووزراء نبيه خاتم وسيد الأنبياء؛ فلا يقبل في شأن معتقد أمة الهدى تأصيلا يختلف مع ما كانوا عليه قمم الأولياء، ولذلك قعد شيخ الإسلام البخاري الإمام هذا المبدأ فقال:

- وحدثنا يعقوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:
- من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه؛ فهو رد" ([2]).

ولقد قال سبحانه وتعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ :

والآية صريحة في أنه لابد للإيمان من التمحيص؛ حتى يظهر عن بينة أهل الصدق والحق فيحبروا، ويتميزوا عن أهل الكذب والباطل الذين سيمحقوا ، ومن

[1]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٣٩)
[2]) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٩٥٩)

أدوات الاختبار هو إمرار التنزيل على قلب من دخل الإسلام ؛ ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ بل وأيد جل شأنه هذا المعنى حين قال : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ فقد جعل سبحانه بهذا النص الإلهي أن القرآن يكون سبب هدى، وسبب شقاء؛ وأن هذا باختلاف حال وقلب المتلقي؛ فعلى حسب الأرض يكون النبات صالحا أو غير صالح، أو لا يكون نبات أصلا، أو ألا يكون حتى الماء الذي نزل من سماء عز الله الكبير المتعال لتستقبله الارواح والقلوب؛ فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات ؛ جلت حكمة العلي العظيم .

الفصل الأول
الرد على القدرية

قضية القضاء والقدر من القضايا الشائكة عند عامة الناس، وغاية الوضوح عند الراسخين في العلم، وهي تتعلق بإعمال المبدأ الأسمى لذات الإله الأعلى ، وهو مبدأ العدل الأسنى؛ فيستحيل على الله العظيم: أن يدخل بعض عباده النار، بمجرد القضاء عليهم في الأزل، والإنعام على غيرهم بدخول الجنة، بغير معتبر إلا محض إرادته تعالى، وإن كان لله أن يفعل ما يشاء؛ فهذا يتعلق بكمال صفة الإرادة الإلهية المطلقة، ولكن العليم الخبير قد أسس الحق وبينه فقال الإمام البخاري:

﴿ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾[1] دللناهم على الخير والشر، كقوله :﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾[2]، وكقوله: ﴿ هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾[3]، والهدى الذي هو الإرشاد بمنزلة أصعدناه من ذلك قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[4][5].

فقد جعل الإله الحكيم للإنسان إرادة واختيار للأشياء والأفعال، ويتعلق بهما الثواب والعقاب، وإن كان المولى العظيم هو خالق الإنسان وأفعاله، وهي الإرادة الكونية.

فإن هناك من القضاء الكوني ما ليس للعبد فيه دخل، ويجعل على محك الاختبار؛ فيما أقيم فيه، وينظر ما يعمل، ومن ذلك ماروى البخاري فقال:

• حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" احتج آدم وموسى؛

---

[1]) فصلت/ ١٧
[2]) البلد/ ١٠
[3]) الإنسان/ ٣
[4]) الأنعام/ ٩٠
[5]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٤)

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي، قبل أن أخلق؛ فقال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى " مرتين ([9]).

أما ما اختاره العباد فهو سبحانه يخلقه لهم، وإن كان غير محبوب لله ولم يشرعه، ولكنه تعالى يخلق له ما أراد؛ فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وهي الإرادة الشرعية، وقد كتب المولى الكريم ذلك في اللوح المحفوظ، وهو كتابة علم ما سيكون؛ فقد قال الإمام البخاري: باب جف القلم على علم الله:

قال أبو هريرة: قال لي النبي ﷺ: جف القلم بما أنت لاق ([10]).

وليس كتابة جبر تخرج العبد عن اختياره، بل هي مشيئة العبد بالخير أو الشر، وعليها يكون الجزاء؛ فقال جل شأنه: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، وقد فصل الإمام أبو عبد الله البخاري بعضا من أصول هذه القضية فقال:

[*] ما جاء في تأويل القضاء:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾([11]) أخبرناهم أنهم سيفسدون، والقضاء على وجوه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾([12]) : أمر ربك، ومنه الحكم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾([13])، ومنه الخلق: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾([14]) : خلقهن([15]).

[9]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٥١)
[10]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٣٣)
[11]) الاسراء / ٤
[12]) الاسراء/ ٢٣
[13]) يونس/ ٩٣و النمل /٧٨ / و الجاثية /١٧
[14]) فصلت/ ١٢
[15]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٤١)

قلت: وفي هذا الموضع قد أسس الإمام البخاري للقضية المعنى والمرجعية؛ حيث جعل القضاء في شأن بني إسرائيل متعلق بالاخبار عما سبق علمه من أمرهم، وأنهم سيفسدون، وليس على جهة القضاء المجرد؛ بل هو إعلام بما سيقدمون عليه باختيارهم، ثم يجازون عليه عقابا لهم.

وكذلك أوضح أن اسم القضاء نفسه: مشترك يتعلق بمعاني مختلفة؛ فلا يجب أن ينصرف الذهن إلى ظاهر ما أخبر به، من هذا المعنى، وإنما قد يختلف مؤداه بحسب سياقه، ولحاقه، ومن ذلك ما أتى على معنى: الأمر وكذلك يأتي بمعنى الحكم، وقد يأتي بمعنى الخلق؛ فأين الوقوف أمام الظواهر والتعبد بها لمن خلق العوالم كلها؟

وفي شأن القضاء يتعلق الحكم من الله على عباده: بما اختاروه بمحض إرادتهم، وأن الله العظيم لا يتخلف علمه، ولا ما كتبه، وأنه ليس ناتج عن القهر، وإنما ناتج عن أزلية علم العليم الحكيم؛ فصارت القضية متعلقة لا بالعلم والكتابة، وإنما بالاختيار والإرادة، ومن ذلك ما رواه البخاري فقال:

* حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن منصور، والأعمش، سمعا سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي ﷺ: عن النبي ﷺ، أنه كان في جنازة؛ فأخذ عودا فجعل ينكت في الأرض فقال: ما منكم من أحد إلا كتب مقعده من النار، أو من الجنة، قالوا: ألا نتكل ؟ قال: اعملوا فكل ميسر ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ الآية ([16]).

وهنا أتى النص على أزلية العلم، وأن ما تعلق به قبل خلق أعمالنا، وأنه لا يتخلف؛ لأنه علم الإله الذي تتقاصر أمامه كمالات الكائنات؛ فهو فوق كل الكمالات، وكذلك هو على صفته، حال تعلقه بما سيكون بعد إعدام المكونات، ودخول دار الجزاء؛ فقد كتب لكل عبد ما سيكون مآلا له، من الجنة أو النار، وأنه منصرف إلى مراد العبد، وليس إلى جبر مولاه.

[16]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٤٥)

[*]وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ ﴾ ([17]) قال:

* حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، أخبرنا منصور، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية: أمر بنو فلان([18]).

وجه الدلالة :

قلت: يقتضي ظاهر الحكم الإلهي المتعلق بصفة العدل فيه سبحانه أن لا يريد إهلاك قرية أو قوم ابتداء بغير جريرة، وإنما يكون الأمر الشرعي قد أنزل إليهم أولا، ثم يقع منهم العصيان له بعده، وعند ذلك يستحقون الهلاك عقوبة لعصيانهم، أما هنا في هذه الآية فقد جاء الأمر منعكسا من جهة الظاهر؛ فإن النص قد جاء بابتداء الإرادة بالحكم بإهلاك القوم أو القرية أولا، ثم أمر المترفين بفرائض الشريعة؛ فيقع الفسق المستوجب للهلاك والدمار للقرية؛ فيكون هذا من نصوص التأويل من رب العالمين الذي ابتدأ بالظاهر المفهم لعدم العدل، ثم يتبعه في نفس النص بآخر ما وقعت به العبارة بصريح القضاء بالعدل؛ بأن استحقاق الهلاك لا يكون إلا بعد الفسق عن الأمر الشرعي فيكون عجز الآية قد أتى بالتقييد لصدرها .

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ فإنه يدل على أن الأمر مخصوص بالمترفين، مع أن الأمر لا يصح تعلقه بالمترفين فقط، بل يجب تعلقه بالجميع كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ وهنا أتى ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ﷺ بأن قوله تعالى ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ قد جاء بمعنى أكثرنا عدد مترفيها، على معنى زيادة البسط في عرض الدنيا؛ فيكثر المترفون المتنعمون، رغم فجورهم وعصيانهم، ولربما استدلوا بوجود الرغد على صحة منهجهم الفاسد، وضلال غيره من الحق، كما قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾؛ تحقون العذاب والهلاك، والله تعالى أعلم.

---

[17]) الإسراء/١٦

[18]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٤٥)

[*]وقال ابن عيينة: ﴿ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾([19]): تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا ([20]).

وفي هذا المحل قد جعل الإمام ابن عيينة الأز: بمعنى الازعاج وليس القهر؛ فلا سلطان للشياطين على عباد الله العظيم، وإلا كانوا مقهورين على المعاصي، وخارجين عن الاختيار في فعلها، ولا يستحقون بذلك عقابا عليها، ولكن جميع ذلك غير متحقق؛ إعمالا للعدل الإلهي في قضية الخلق، والثواب والعقاب، وإعمالا لمبدأ الحرية وعدم الإكراه على غير المراد؛ وحتى لا يكون هناك سبيل على المؤمنين، فقد قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾، ولو جعل الله للشياطين على المؤمنين سبيلا؛ لكانت مناقضة لصريح الآية، وهو مستحيل في حقه تعالى؛ فوجب أن يكون الأزّ متعلقا فقط بالازعاج النفسي بالوسواس الوهمي، الذي يسهل التخلص منه، وإعدام أثره، ووجود الراحة في عدمه.

كما أنه تعالى لم يجعل للإنسان تحقيق متعلق إرادته واختياره بحيث أنه يخلق أفعاله، وأنه يفعل كل ما يشاء؛ بل أفعاله مخلوقة لمولاه العظيم؛ فلو لم يخلقها له الله جل وعلى؛ فلن يكون لها في الأكوان وجود، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري فقال:

* حدثنا أبو النعمان، أخبرنا جرير هو ابن حازم، عن أبي إسحق، عن البراء ابن عازب قال: رأيت النبي ﷺ يوم الخندق، ينقل معنا التراب وهو يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا	ولا صمنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا	وثبت الأقدام إن لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا	إذا أرادوا فتنة أبينا ([21])

فلولا الله الرحمن المتفضل الحكيم: ما خلق ولا كان للخلق شأن يوافق هواهم، ولا حتى هدى ولا عبادة.

---

[19]) مريم / ٨٣

[20]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٥٩)

[21]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٤١)

الفصل الثاني
الرد على الشيعة

إن لآل البيت شرف فوق كل شرف؛ إذا جمعوا فوق شرف النسب شرف العلم والتقوى، وقد قال الملك الحكيم في شأنهم: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة حكم:

أن أهل البيت لهم من المزية ما ليس لغيرهم حقا، وأن الله تعالى يتولى تطهيرهم بنفسه، ويترتب على هذا الحكم: أن درجتهم في القرب الإلهي هي الأعلى، بشرط تحققهم بالعلم والتقى الأسنى؛ فهم به أولى، وقال جل شأنه: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾، وهذا في شأن النساء، أما شأن الرجال فهو لاشك أعظم؛ فليس كمثلهم أحد إن تحققوا بوصف التقوى، ولذلك جعل عقوبة أحدهم أعظم من غيرهم؛ لأن دمهم الشريف، ونسبهم العفيف: يدفعهم إلى الصلاح الأرجى، ولذلك قال تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾.

وذهب الشيعة إلى الغلو في حبهم، وسمو درجتهم؛ حتى قدموا عليا ﷺ على الشيخين أبي بكر ﷺ وعمر بن الخطاب ﷺ، في شأن الخلافة، ثم زادوا غلوا حتى كفروا الشيخين، وأمهات المؤمنين، وكثيرا من الصحابة رضي الله عنهم، ومنهم من غالى حتى جعل عليا ﷺ إلها وعبدوه!!!

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

وأكثر الشيعة قد اندثروا في زماننا بعد أن زادوا عن عشرين فرقة، والمعاصر لنا في زماننا هذا هم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية، والعلوية.

وهم يجعلون أئمة أهل البيت على درجة من السمو؛ حتى أنهم يصفونهم بعلم الغيب، وبأحقيتهم بالسلطان والسيادة، وبالعلم الأعلى.

ونحن في هذا الصدد نقوم بعرض ما كان من أهل البيت الكرام، وخصوصا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب نفسه ﷺ، وابن عباس ﷺ، وهو يخالف ما يدعي الشيعة، ويزعمون، إلى الحد الذي يخرجهم من ملة الإسلام.

من حيث أن النبي ﷺ يعلم الغيب كما أقروا في كتبهم، ووصفوا بذلك أئمتهم؛ فنقول:

- كيف يتسنى للنبي ﷺ وهو من يعلم الغيب: أن يتخذ وزراءه من الكفار والخونة؟؟؟
- وكيف يتزوج ويضع نطفته المحرمة على النار في أرحام الكافرات وهو يعلم؟
- وكيف يقر الملك العظيم نبيه على اتخاذ الوزراء والرفقاء المقربين من الكفار؟
- بل القول بتلك الأقوال يفيد:
- أن الأئمة عندهم أعظم من الأنبياء؛ فهم يعلمون الغيب ويحترزون عن الضلال، ويجهله نبيهم، وهو كفر.
- وأن الله يقر تجهيل نبيه في شأن رجالات دينه، ويتركه بلا إعلام، وهو كفر؛ لأنه يشكك في حقية الرسالة من أسها وأساسها.
- وأن ترضي المولى العظيم على صحابة نبيه الكفار، وهو يعلم، أو يجهل: محض ضلال يطعن في ألوهيته عندهم، وهو كفر مخرج عن الملة.
- وأن تكفيرهم لمن عدلهم ربهم: حكم بأنهم أعلم من ربهم، وأحسن حكما منه، وهو كفر.
- وأن تزوج النبي بنات الكفار وظنه إسلامهم: طعن في نبوته، ورسالته، وهو كفر؛ فقد أتت آيات القرآن بتحريم تزويج بنات المسلمين للكفار.
- وأن اعتقاد أن تزويج النبي بناته للكفار وهو يعلم كفر أزواجهن، أو جهله بكفرهم: كذلك كفر مخرج عن ملة الإسلام.

- وأن جحود صريح القرآن، وتكذيب قواطع نصوصه كفر كذلك، وقد جاءت بالترضي عنهم في غير موضع مشهور.

[•]تصوير الشيعة لنبيهم: بأبشع وصف، وأحقر تصوير لرجل جهول سفيه مغفل ظلوم، لا يحسن معرفة نفسه، ولا يقوم بحق آله:

من حيث أنهم يصورون معتقدهم فيه على: أنه لا يدري شيئا عن أصحابه، ولا وزراءه، ولا زوجاته، ولا أصهاره، ولا قادة جيوشه، ولا يدري حقيقة قدر نفسه، ولا يعرف حق ذريته، ولا أبناء عمومته؛ بل هو مغيب الذهن والفكر عن جميع ذلك، وأن أصحابه ووزراءه خونة، وأن نساءه زانيات، وأنه أبعد الناس عن حسن الاختيار لجيوشه وأهل شوراه؛ ولذلك يكون حكمهم أنهم أكفر خلق الله كلهم بنبيهم، وبربهم.

ونحن في هذا المقام نقوم بتقرير خلاف كل هذه المعتقدات الفاسدات، المهلكات، ونقيم الأدلة من عند آل البيت أنفسهم على صحة خلافها؛ فنقول : قد قدم النبي ﷺ الشيخين على آل البيت، وارتضاهم وزراء له، وهو قرينة ودليل ارتضاءه لهم خلفاء من بعده، وأن آل البيت أنفسهم قد فعلوا ذلك، وقدموهم وارتضوهم، ورووا عنهم العلم وحدثوا بمناقبهم، ورفعة قدرهم، كما نثبت أن الشيخين كذلك قدموا آل البيت على من سواهم، بل وعلى أنفسهم، كما اتخذوهم مرجعية لهم في العلم، وأقروا بفضلهم، وتوسلوا بهم إلى الله تعالى، وتبركوا بذواتهم لديه جل وعلى، وأن أهل البيت قد دافعوا حتى عن معاوية، وأثنوا عليه، ونقرر جميع ذلك وغيره على النحو التالي:

[•]فضائل أهل البيت المكرمين:

- قال النبي ﷺ: فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ([٢٢]).
- حدثنا أبو الوليد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن أبي مليكة، عن المسور بن مخرمة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: فاطمة بضعة مني؛ فمن أغضبها أغضبني ([٢٣]).

[٢٢]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٤)
[٢٣]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٤)

• حدثني محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن سعد قال: سمعت إبراهيم بن سعد، عن أبيه قال: قال النبي ﷺ لعلي: أما ترضى أن تكون مني، بمنزلة هارون من موسى ([٢١]).

• حدثنا قيس بن حفص، وموسى بن إسماعيل قالا: حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا أبو قرة مسلم بن سالم الهمذاني قال: حدثني عبد الله ابن عيسى، سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية، سمعتها من النبي ﷺ؟ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا يا رسول الله: كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم؟ قال: قولوا: اللَّهُمَّ صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللَّهُمَّ بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد "([٢٢]).

[*]شرعية قول: عليه السلام على آحاد آل النبي ﷺ أصحاب العباءة:

• حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، وحدثنا إسماعيل، حدثني أخي عبد الحميد، عن سليمان، عن محمد بن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن علي بن حسين، أن حسين بن علي عليهما السلام أخبره، أن علي بن أبي طالب أخبره: أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة، فقال لهم: ألا تصلون، قال: علي فقلت يا رسول الله، إنما أنفسنا بيد الله؛ فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا؛ فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت ذلك، ولم يرجع إلي شيئا، ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ "([٢٣]).

• حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: حدثني عروة ابن الزبير، عن عائشة: أن فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر، تسأله ميراثها من النبي ﷺ،

[٢١]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٥٩)
[٢٢]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٣٣)
[٢٣]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٦)

مما أفاء الله على رسوله ﷺ، تطلب صدقة النبي ﷺ التي بالمدينة، وفدك، وما بقي من خمس خيبر؛ فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة؛ إنما يأكل آل محمد من هذا المال - يعني مال الله - ليس لهم أن يزيدوا على المأكل، وإني والله لا أغير شيئا من صدقات النبي ﷺ، التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ؛ فتشهد علي، ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبكر فضيلتك، وذكر قرابتهم من رسول الله ﷺ وحقهم، فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي ([٢٧]).

[*]عناية الشيخين بخصوص آل البيت:

• أخبرني عبد الله بن عبد الوهاب، حدثنا خالد، حدثنا شعبة، عن واقد قال: سمعت أبي يحدث، عن ابن عمر، عن أبي بكر رضي الله عنهم قال: ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته([٢٨]).

• حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله قال: أخبرني عمر بن سعيد بن أبي حسين، عن ابن أبي مليكة، عن عقبة بن الحارث قال: رأيت أبا بكر ﷺ وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيه بالنبي، ليس شبيه بعلي، وعلي يضحك ([٢٩]).

• حدثنا صدقة، حدثنا ابن عيينة، حدثنا أبو موسى، عن الحسن سمع أبا بكرة: سمعت النبي ﷺ على المنبر، والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة، وإليه مرة ويقول: ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ([٣٠]).

[*]توسل وتبرك الشيخين بآل بيت النبي ﷺ:

• حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي عبد الله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس ﷺ: أن عمر بن الخطاب كان

[٢٧]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٦٠)
[٢٨]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٦١)
[٢٩]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٠)
[٣٠]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٦٩)

إذا قحطوا: استسقى بالعباس بن عبد المطلب؛ فقال اللَّهُمَّ: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون[٣١].

وفي هذه الرواية من الدلالات الكثير ونذكر منها:

[*]تقديم الشيخين لآل البيت على أنفسهم، وتبجيلهما لهم.

[*]تبرك الشيخين بآل البيت.

[*]تبجيل آل البيت للشيخين.

[*]تقديم سادات أهل البيت للشيخين على أنفسهم مطلقا:

* حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا جامع بن أبي راشد، حدثنا أبو يعلى، عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثم من ؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[٣٢].

* حدثني الوليد بن صالح، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا عمر بن سعيد بن أبي الحسين المكي، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس ﷺ قال: إني لواقف في قوم؛ فدعوا لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره؛ إذا رجل من خلفي، قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إني كنت لأرجو: أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كثيرا مما كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر؛ فإن كنت لأرجو: أن يجعلك الله معهما؛ فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب[٣٣].

[*] تمني أكابر سادة آل البيت رتبة ودرجة الشيخين عند الله تعالى:

* حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، حدثنا عمر بن سعيد، عن ابن أبي مليكة، أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره؛ فتكنفه الناس يدعون، ويصلون

[٣١]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٦٠)
[٣٢]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٢)
[٣٣]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٥)

قبل أن يرفع وأنا فيهم؛ فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي؛ فإذا علي بن أبي طالب: فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت إني كنت كثيرا أسمع النبي ﷺ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[٣٤].

[*] ثناء أهل البيت على عائشة ﷺ:

* حدثني محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، حدثنا ابن عون، عن القاسم بن محمد: أن عائشة اشتكت؛ فجاء ابن عباس فقال: يا أم المؤمنين، تقدمين على فرط صدق، على رسول الله ﷺ، وعلى أبي بكر[٣٥].

[*]قدر عائشة أم المؤمنين ﷺ عند النبي ﷺ:

* حدثنا آدم، حدثنا شعبة قال: وحدثنا عمرو، أخبرنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مرة، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء: كفضل الثريد على سائر الطعام[٣٦].

[*]دفاع عبد الله بن عمر عن آل البيت وأصهار النبي ﷺ:

* حدثنا محمد بن رافع، حدثنا حسين، عن زائدة، عن أبي حصين، عن سعد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر فسأله عن عثمان؛ فذكر عن محاسن عمله، قال: لعل ذاك يسؤوك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله بأنفك، ثم سأله عن علي؛ فذكر محاسن عمله، قال: هو ذاك في بيته، أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعل ذاك يسؤوك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك؛ انطلق فاجهد علي جهدك[٣٧].

[٣٤]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٨)
[٣٥]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٥)
[٣٦]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٤)
[٣٧]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٥٨)

[*] تقديم النبي ﷺ للشيخين على غيرهما في الخلافة:

* حدثنا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:" بينا أنا نائم، رأيتني على قليب؛ فنزعت ما شاء الله أن أنزع، ثم أخذها ابن أبي قحافة؛ فنزع ذنوبا أو ذنوبين، وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثم أخذها عمر؛ فاستحالت غربا، فلم أر عبقريا من الناس يفري فريه؛ حتى ضرب الناس حوله بعطن "([38]) .
* حدثنا الحميدي، ومحمد بن عبد الله قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: أتت امرأة النبي ﷺ؛ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ - كأنها تقول الموت - قال ﷺ: إن لم تجديني؛ فأتي أبا بكر ([39]).
* حدثني عبد الله بن محمد، حدثنا أبو عامر، حدثنا فليح قال: حدثني سالم أبو النضر، عن بسر بن سعيد، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال:" إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده؛ فاختار ذلك العبد ما عند الله؛ قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ: عن عبد خير؛ فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله ﷺ: إن من أمن الناس علي في صحبته وماله: أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلا غير ربي؛ لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سد؛ إلا باب أبي بكر " ([40]).
* حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا سليمان، عن يحي بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر ﷺ قال: كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ؛ فنخير أبا بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم([41]).

[38]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٨)
[39]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٨)
[40]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٧)
[41]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٧)

* حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا وهيب، حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ: عن النبي ﷺ قال: لو كنت متخذا من أمتي خليلا؛ لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي ([42]).
* حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحي، عن إسماعيل، حدثنا قيس قال: قال عبد الله: ما زلنا أعزة؛ منذ أسلم عمر ([43]).
* حدثني هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا زيد بن واقد، عن بسر بن عبيد الله، عن عائذ الله أبي إدريس، عن أبي الدرداء ﷺ قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته؛ فقال النبي ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر؛ فسلم، وقال إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء؛ فأسرعت إليه، ثم ندمت فسألته أن يغفر لي؛ فأبى علي فأقبلت إليك؛ فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر- ثلاثا- ، ثم إن عمر ندم؛ فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا؛ فأتى إلى النبي ﷺ فسلم؛ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر؛ حتى أشفق أبو بكر؛ فجثا على ركبتيه؛ فقال يا رسول الله: والله أنا كنت أظلم - مرتين - فقال النبي ﷺ: إن الله بعثني إليكم؛ فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله؛ فهل أنتم تاركوا لي صاحبي - مرتين - فما أوذي بعدها([44]).
* حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز بن المختار، قال خالد الحذاء، حدثنا عن أبي عثمان قال: حدثني عمرو بن العاص ﷺ: أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل؛ فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة؛ فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب؛ فعد رجالا ([45]).

[42]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٨)
[43]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٨)
[44]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٩)
[45]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٩)

[*] رد عبد الله بن عمر عما قيل في حق عثمان، وتبرئته وتعظيم قدره:

• حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عثمان هو ابن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر، وحج البيت؛ فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم ؟ فقالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، قال يا ابن عمر: إني سائلك عن شيء فحدثني، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم، فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم، قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، قال ابن عمر: تعال أبين لك؛ أما فراره يوم أحد: فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له، وأما تغيبه عن بدر: فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة؛ فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدر وسهمه، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان: فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه؛ فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة؛ فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان؛ فضرب بها على يده فقال: هذه لعثمان؛ فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك ([16]).

[*] من ثناء أهل البيت المكرمين على معاوية ﷺ:

• حدثنا الحسن بن بشر، حدثنا المعافى، عن عثمان بن الأسود، عن ابن أبي مليكة قال: أوتر معاوية بعد العشاء بركعة، وعنده مولى لابن عباس؛ فأتى ابن عباس فقال: دعه فإنه صحب رسول الله ﷺ ([17]).

• حدثنا ابن أبي مريم، حدثنا نافع بن عمر، حدثني ابن أبي مليكة، قيل لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية؛ فإنه ما أوتر إلا بواحدة؟ قال: أصاب إنه فقيه([18]).

[16]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٥٤)
[17]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٣)
[18]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٣)

[*] تعظيم النبي ﷺ لقدر عموم الصحابة؛ فما بالك بخصوصه:

• حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، عن الأعمش قال: سمعت ذكوان يحدث، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" لا تسبوا أصحابي؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصفيه "([19]).

[19]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٣)

الفصل الثالث

الرد على الخوارج ظانين التعارض في كتاب الله تعالى

[*]في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾(*) وقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾(*):

سئل ابن عباس ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(*)، و﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ فقال: إنه ذو ألوان مرة ينطقون، ومرة يختم عليهم (*).

* حدثني يوسف بن عدي، حدثنا عبيد الله بن عمرو، عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال، عن سعيد بن جبير قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي؟ قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾(*)

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾(*)، ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾(*)، ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾(*)؛ فقد كتموا هذه الآية؟ وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا - إلى قوله - دَحَىٰهَا﴾(*) فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ثم قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ - إلى قوله - طَآئِعِينَ﴾(*) فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء؟

(*) سورة المرسلات آية/ ٣٥
(*) سورة يس آية/ ٦٥
(*) سورة الأنعام آية/ ٢٣
(*) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٧٧)
(*) المؤمنون ١٠١
(*) الصافات ٢٧
(*) النساء ٤٢
(*) الأنعام ٢٣
(*) النازعات ٢٧ - ٣٠
(*) فصلت/ ٩ - ١١

Courtesy of Darul Tahqiq darultahqiq@gmail.com

فقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى، ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ([60])، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتسائلون ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم؛ فقال المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين، فختم على أفواههم، فتنطق أيديهم؛ فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا وعنده ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ([61]) الآية، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء؛ فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحوها أن أخرج منها: الماء والمرعى، وخلق الجبال، والجمال والآكام وما بينهما، في يومين آخرين؛ فذلك قوله ﴿دَحَىٰهَآ﴾ ، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ ؛ فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السماوات في يومين.

وقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾: سمى نفسه بذلك، وذلك قوله أي: لم يزل كذلك؛ فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد؛ فلا يختلف عليك القرآن؛ فإن كلا من عند الله ([62]).

وجه الدلالة:

قلت: قد سأل السائل متعنتا يريد إثبات التناقض في كتاب الله تعالى، أو مستفسرا عن ما تشابه معناه عنده، من حيث أن الظاهر من الآيات عند اجتماع الوقوع بها في يوم واحد هو يوم القيامة؛ فكيف يخبر عن الكفار بأنهم لا ينطقون في هذا اليوم؟ ثم تأتي الآية الأخرى فتخبر عن قولهم لربهم أقوال منها قولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، ثم تأتي آية أخرى فتخبر عن الختم على الأفواه.

---

[60]) الزمر/ ٦٨

[61]) النساء/ ٤٢

[62]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨١٤)

فأجاب ترجمان القرآن ﷺ بأن اليوم طويل، وفيه أحداث كثيرة، ومواقف متعددة، وأن لكل موقف حكمه الخاص، والخبر المتعلق بما يجري في من المشاهد، وأحوال، وأهوال يختلف بتوارد كل واحد منها على حسب الحكم الخاص به، وأنه ليس في ذلك تناقض البتة على هذا المعنى؛ بل إنه كما قيل: اختلاف تنوع، وليس اختلاف تضاد.

وهذا التأويل يناسبه التأويل القادم لأنه يتعلق كذلك بتغير هذه الأحوال فقال ﷺ:

- في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾([63]):

حدثنا سعيد بن النضر، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر جعفر بن إياس، عن مجاهد قال: قال ابن عباس:{لتركبن طبقا عن طبق}: حالا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ ([64]).

وجه الدلالة :

قلت : (حالا بعد حال) حال مطابقة للشيء الذي كان قبلهما في الشدة، وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة أي: طبقات بعضها أشد من بعض في الأهوال وقيل في معناها غير ذلك ، وليس الأمر على ظاهر النص من متعلق الأطباق، وتركبها بعضها على بعض، أو غير ذلك من فاسد التصورات في هذا الموضع ؛ بل كان المعنى أن لكل حال مقتضاه من الحساب ، والسؤال عن الجرائم، ومحاولة الجحود في البعض منها ؛ فيأتي حال الختم على الأفواه ، واستنطاق الجوارح، إلى غير ذلك من الأحوال المتغايرة في هذا اليوم العظيم شأنه ، الطويل زمنه .

ويناسبه كذلك التأويل الآتي الدال على تغير الأحوال بتغير المواقف، والأشخاص، والأحوال، والعقوبات نسأل الله النجاة من تغير الأحوال، وأصحابها كما جاء في رواية ابن أبي حاتم: من أحوال الحشر زرقا، وعميانا، وغير ذلك .

---

[63]) سورة الانشقاق آية/ ١٩

[64]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٨٨٥)

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com
darultahqiq@gmail.com

الباب السابع
تصوف الإمام البخاري

إن التصوف هو روح هذا الدين، وهو رتبة الإحسان واليقين، وقد لقنه النبي ﷺ لصحابته المكرمين، ولم يك من المتبع عند السلف ولا الخلف تضمين مسائل التصوف في مصنفات الاعتقاد ، ولكن لما كان عند المتأخرين شبهة تضليل التصوف والصوفية، والحكم عليهم وعلى أحوالهم وأوصافهم بالشرك والكفر مطلقا ، وقد ساعدهم على ذلك سوء بعض سلوكيات المنتسبين إلى التصوف في عصرنا ؛ فظنوا أن شأنهم هو وصف العموم ، مع أن حقائق التصوف الذي هو: علم معاملة القلوب لعلام الغيوب - وهو المراد الأعلى للعباد الأرق - من أولئك المنتسبين براء ، وليس إلى التصوف مرجعهم وخطؤهم ، وإنما إليهم يرجع وعلى ما به سقطوا وضلوا يحاسبوا ؛ ولما كنا بصدد بيان الحق لذاته ، مجردا عن مهاوي باطل الإضافات والنسب ، وإظهارا لمراد رب العالمين من قلوب المتقين ، المدعوم بشرعه المتين ، وصحيح سنة نبيه الكريم ؛

فقد لزم البيان لمعتبر صحيح الموروث بقويم البرهان ، وفصلنا المسائل بقدر ما ورد وروي الأئمة الكرام ؛ حتى إذا ما ثبت عنهم الحق بالايقان ، لا يتجرئ على تكفير الخلف ، لأن عملهم في الحقيقة امتداد لما كان عليه السلف ، ولو جوز زيد أو عمرو تكفير السلف ؛ فقد برئ مما نسب إليه نفسه ، وخلع ربقة الاسلام عن عنقه ، ولكن الحق قاض :

بأن القوم لم يطلعوا على حقيقة وكامل الموروث الفخيم عن السلف العظيم ، ولو أنهم اطلعوا عليه لما كان ذاك حكمهم ، ولا هذا مسلكهم ؛ بل لكانوا أكثر اتباعا لهم ، وانقيادا لفهمهم ، وشريف تأسيسهم ، وتسليما لهم بصحة مدركهم ، وقد من الكريم علينا برفع راية مؤيد المروي من علمهم ، ونسأله تعالى أن يقبلنا ببركة حسن اتباعهم للنبي الشفيع سيدنا وسيدهم ﷺ .

وقد فصلت ذلك في كتابي/ حكم الصحابة العلية على القبور والصوفية، على الوجه الوافي بالبراهين، وفي هذا الكتاب آتي من روايات الإمام البخاري في هذه القضية بكنز ثمين.

courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

الفصل الأول
تأسيس الإمام البخاري لأصول التصوف بالكتاب، والسنة، وآثار الصحابة

قد أرسى شيخ الإسلام البخاري الإمام صحة اتخاذ التصوف عن نبي الله المصطفى ، وشرف شأنه الوارد في الكتاب المعجز تاج الهدى ، واتباع الصحابة أولي النهى ، ونبدأ بذكر ما جاء تأسيسه عن الكتاب العزيز ووصفه ؛ فقال جل شأنه :

• ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ قال:

• حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر، ليس هو موسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر؛ فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب: عن النبي ﷺ: أن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا؛ فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه؛ فقال له: بلى لي عبد بمجمع البحرين، هو أعلم منك، قال: أي رب ومن لي به؟ - وربما قال سفيان: أي رب وكيف لي به؟ - قال: تأخذ حوتا فتجعله في مكتل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم - وربما قال: فهو ثمه- وأخذ حوتا فجعله في مكتل، ثم انطلق هو وفتاه يوشع بن نون، حتى أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما؛ فرقد موسى واضطرب الحوت، فخرج فسقط في البحر؛ فاتخذ سبيله في البحر سربا؛ فأمسك الله عن الحوت جرية الماء؛ فصار مثل الطاق- فقال: هكذا مثل الطاق- ؛فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد، قال لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، ولم يجد موسى النصب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة؛ فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ

Courtesy of Darul Tahqiq
darultahqiq@gmail.com

سبيله في البحر عجبا؛ فكان للحوت سربا ولهما عجبا، قال له موسى: ذلك ما كنا نبغي فارتدا؛ على آثارهما قصصا- رجعا يقصان آثارهما- ؛ حتى انتهينا إلى الصخرة؛ فإذا رجل مسجى بثوب؛ فسلم موسى فرد عليه؛ فقال: وأنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال يا موسى: إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، قال هل أتبعك؟ قال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ - إلى قوله - ﴿إِمْرًا﴾؛ فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت بهما سفينة، كلموهم أن يحملوهم؛ فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول؛ فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله؛ إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر؛ إذ أخذ الفأس فنزع لوحا، قال: فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع لوحا بالقدوم؛ فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؛ لقد جئت شيئا إمرا، قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا، قال: لا تؤاخذني بما نسيت، ولا ترهقني من أمري عسرا؛ فكانت الأولى من موسى نسيانا؛ فلما خرجا من البحر: مروا بغلام يلعب مع الصبيان؛ فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا- وأومأ سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئا- ؛ فقال له موسى: أقتلت نفسا زكية بغير نفس؛ لقد جئت شيئا نكرا، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال: إن سألتك عن شيء بعدها؛ فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا؛ فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها؛ فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض - مائلا أومأ بيده هكذا وأشار سفيان كأنه يمسح شيئا إلى فوق؛ فلم أسمع سفيان يذكر مائلا إلا مرة - ، قال قوم أتيناهم فلم يطعمونا، ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم؛ لو شئت لاتخذت عليه أجرا، قال: هذا فراق بيني وبينك؛

سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا، قال النبي ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر؛ فقص الله علينا من خبرهما- قال سفيان قال النبي ﷺ: يرحم الله موسى، لو كان صبر لقص علينا من أمرهما،

وقرأ ابن عباس {أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين} ، ثم قال سفيان سمعته منه مرتين وحفظته منه، قيل لسفيان: حفظته قبل أن تسمعه من عمرو، أو تحفظه من إنسان ؟ فقال ممن أتحفظه ؟ ورواه أحد عن عمرو غيري؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثا وحفظته منه (١).

قلت: وهذا تنزيل رب العالمين في القرآن العظيم، وتفصيل نبيه الكريم قاطع: بالخبر عن وجود العلم اللدني، وأنه ليس خاصا بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولكن يشركهم فيه الصالحين الأكابر من عباد الله، وإن لم يرتقوا لرتبتهم، ولكنهم يحصلون من نفس جنس علومهم، كما استقرت القاعدة عند أهل الإسلام من: أن كل ما وقع معجزة لنبي؛ جاز كرامة لولي، مع فارق تحدي النبي بالمعجزة، وعدم تحدي الولي بها.

وهذا العلم اللدني: يخص الإحاطة بحقائق الأمور، وما وراء ظواهر الأكوان من الأسرار، وهو العلم بباطن الحقائق، وقد تواردت علوم أهل الإسلام على معرفة وجود هذا العلم، والتسليم لأهله، وعدم الإنكار عليهم، وهو ما طلبه نبي الله موسى ﷺ، من الخضر ﷺ، ولذلك جاء في القرآن العظيم الخبر عن هذا الطلب، المسبوق ببالغ المشقة حيث قال تعالى مخبرا عن نبي الله موسى ﷺ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾، وفي ذلك الإشارة إلى عدم سهولة الحصول على هذا العلم قبله، وإلى عدم سهولة أخذه عنه أهله إلا ببالغ التواضع، ونفي حظوظ النفس البشرية؛ حتى لا يطلب إلا لله؛ فلا ينفق إلا لله؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ وفي هذه الآية:

(١) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٤٦)

دلالة على وجوب تحصيل هذا العلم، وهو وإن كان على الكفاية؛ فلا يطلب من كل أحد؛ ولكن بذل المشقة، وتحمل الصعاب والأهوال التي يخبر عنها رب العالمين: كاف في الحكم بوجوب تحصيله، وهذا ما اتفق عليه أهل السنة.

• فمن أعظم النماذج الصوفية النبوية: الخضر ﷺ وقال الإمام البخاري:

باب ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (١)، زمانا: وجمعه أحقاب(٢).

قلت: وهو نص شريف يؤسس فرضية تحصيل علم ما وراء الظواهر، واستعذاب المشاق في سبيل تحصيله، وبذل عزيز الأوقات الطويلة، التي لو استمرت الأحقاب لاستنشاق عبيره؛ لكانت مبذولة مع تمام الرضى لعظيم تقديره.

[•] وقد بين النبي ﷺ مسألة علم الباطن بأعظم بيان؛ حيث روى الإمام البخاري فقال:

• حدثنا إسماعيل، قال: حدثني أخي، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين؛ فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم (٣).

فالشأن ليس مطلوب تحصيله لجميع الأمة؛ بل للراسخين في العلم؛ لأن الرفض والإنكار سيكون المقدم عند الجميع، ومن ذلك كان تعليم نبي الله موسى ﷺ، برفضه ظواهر ما كان يأتي نبي الله الخضر ﷺ، ووجوب القطع باستحقاق المظهر لشأنها للقتل، وهو المشار إليه، من تقرير أبي هريرة بقوله: [وأما الآخر: فلو بثثته لقطعتم مني الحلقوم].

(١) الكهف / ٦٠
(٢) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٥١)
(٣) صحيح البخاري - تح البغا - (١ / ٥٦).

• ثانيها: تظاهر آيات القرآن على: ذم الدنيا، وتحقيرها، ووجوب الخروج عن أسر شهواتها، والارتقاء بالنفس عن معطيات خلقتها، إلى رفيع مراد ربها:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾(٤) (٥)، وهذا نص صريح في:

أن العباد مختبرون بما خلق في الدنيا من ألوان الزينة، وأن مقصود خلقها: هو طلب الإعراض عنها؛ لينظر موقع العبد: هل هو مع حظ نفسه؛ فيهلكها، أم مع مراد ربه فيسعدها، رغم أنه قد غرس في النفس البشرية: الحرص والطلب باللذات البهيمية، التي جبلوا عليها، ولكن الآية تصرح بإرادة غير هذا الطبعي الجبلي، بالارتقاء إلى مصاف الأرواح العلوية، وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (٦) (٧).

فقد خلق الله أصل البشرية بين العوالم الملكوتية، من العرش، والكرسي، والقلم، واللوح، والجنة، والملائكة، والعلوم الوهبية، حتى ارتفع عن الملائكية، وهناك ما لا يحسن تصوره فكر، ولا يمكنه حصر.

ثم نزلت الذات البشرية وتناسلت، ونسيت أصل الشرف والارتقاء الملائكي، والقدسي؛ فانحدرت إلى الأخلاق البهيمية بلا ضوابط نورانية؛ فبغت، وتجبرت، وكفرت، وهذا أسفل السافلين.

(٤) الحديد ٢٠
(٥) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٥٧)
(٦) [التين: ٤ - ٦]
(٧) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٤٠٧)

ولكن هناك عباد الله الصالحين المؤمنين بالحقائق العلية، والمعاني القدسية؛ لا زالت أرواحهم ترنو إلى تلك المواضع الأُوَل، وترجو لو كانت إليها ترسل.

فأرسلت الرسل، والأنبياء لتقيم العباد على منهاج الوصول؛ ليتحقق لهم من الله القرب المأمول؛ فمن استجاب لهم حصل له القبول، ومن تولى فدينه مدخول، وعن تفريطه مسؤول، وفي غضب العظيم مشمول.

كما صرح المولى العظيم بأن وعده تعالى قائم، والمدعوم بدعوة الله الحق، في مقابل باطل الوهم والخيال المتعلق بالدنيا المدعوم بدعوة إبليس؛ فقال الإمام البخاري ﷺ:

• باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾[٩] ([١٠]).

ثم يجعل الكريم تعالى شأنه المسألة متعلقة باختيار المكلف من العباد فقال:

• وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١١] ([١٢]).

وعلل جل جلاله مسألة إعراض العبد عن ربه واختياره الكفر: بأنه بسبب استحباب الدنيا، وتقديم شأنها على الآخرة ؛ فقال:

• ولكن من ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ

[٩]) فاطر/ ٥ - ٦
[١٠]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٣)
[١١]) هود ١٥ - ١٦
[١٢]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٦)

عَظِيمٌ ۝١٠٦ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٠٨ لَا جَرَمَ - يقول حقا - أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١٣] ([١٤]).

تجاب الصحب الكرام، أتباع النبي ﷺ، لهذه الدعوة الكبرى، وطلبوا الإعراض عن الدنيا وزينتها؛ لأنها النعمة العظمى ومن هذه التصريحات العلية:

[*]قول عمر بن الخطاب فيما نزل من آيات زينة الدنيا:

وقال الله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[١٥] قال عمر: اللَّهُمَّ إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينته لنا؛ اللَّهُمَّ إني أسألك: أن أنفقه في حقه[١٦].

[*]قول علي بن أبي طالب فيما نزل من آيات ذم الدنيا:

وقول الله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١٧].

وقوله: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[١٨].

وقال علي بن أبي طالب: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون؛ فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل[١٩].

[١٣]) النحل ١٠٦ - ١١٠
[١٤]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٣٦)
[١٥]) آل عمران/ ١٤
[١٦]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٥)
[١٧]) آل عمران/ ١٨٥
[١٨]) الحجر/ ٣
[١٩]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٥٨)

[*] تأصيل التصوف في السنة المشرفة :

فقد روى الإمام البخاري:

* حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، أخبرنا أبو حيان التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال:"كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس؛ فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك، قال متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان؛ في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم تلا النبي ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ الآية، ثم أدبر؛ فقال: ردوه؛ فلم يروا شيئا؛ فقال: هذا جبريل جاء: يعلم الناس دينهم"(٢٠).

قلت: وهذا الحديث قد صرح بمقام الإحسان، وهو بيت القصيد في علم الحقيقة، الذي هو علم الباطن، والذي يكون مبتغاه: أن يعبد العبد مولاه العظيم تعالى قدره؛ كأنه يراه بعيني رأسه،وفي هذا من التشبيه المؤسس لمقام المراقبة، والمشاهدة التي تدفع صاحبها على حصوله على درجة الأنس بالقرب الإلهي الذي تتضائل، وتتحاقر أمامه: جميع أنواع اللذات: الروحية، والبدنية، ونتيجته: تحقق غاية التقى المرعية، وهو عين المراد من رب البرية.

(٢٠) البخاري في صحيحه ج ١/ ص ٢٨ حديث رقم: ٥٠، البخاري في صحيحه ج ٤/ ص ١٧٩٣ حديث رقم: ٤٤٩٩، مسلم في صحيحه ج ١/ ص ٣٨ حديث رقم: ٨، أبي داود في سننه ج ٤/ ص ٢٢٥ حديث رقم: ٤٦٩٨، النسائي في سننه ج ٨/ ص ١٠٣ حديث رقم: ٤٩٩١، ابن حنبل في مسنده ج ٤/ ص ١٦٤ حديث رقم: ١٧٥٣٧، ابن راهويه في مسنده ج ١/ ص ٢١١ حديث رقم: ١٦٥، الحاكم في مستدركه ج ٤/ ص ٢١٨ حديث رقم: ٧٤٢٢، الطبراني في معجمه الكبير ج ١٢/ ص ٩٧ حديث رقم: ١٢٥٩١، ابن خزيمة في صحيحه ج ٤/ ص ٣٥٦ حديث رقم: ٣٠٦٥، ابن ماجه في سننه ج ١/ ص ٢٥ حديث رقم: ٦٣، عبد الرزاق في مصنفه ج ٦/ ص ١٥٧ حديث رقم: ٣٠٣٠٩.

الفصل الثاني

تأصيل المبنى الأساس للصوفية وهو الزهد في الدنيا، ووقف الأنفاس على خالق الناس

فقد روى الإمام البخاري ﷺ:

* حدثني محمد بن المثنى، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال: أصدق بيت قاله الشاعر: ألا كل شيء ما خلا الله باطل "(٢١).

فلا يستحق الحياة من أجله سواه تعالى؛ فلا اشتراك لأحد معه في إيقاع أمر، خيرا كان أو شرا؛ ولا قيمة لأحد على الحقيقة لغيره؛ بل هل الفاعل والكل مفعوله، وهو القاهر والكل تحت سلطانه مقهور؛ فقد أنعم على الجميع، وطالبهم بمحبته، والانشغال به، وترك من سواه للتبعية له، وإلا كان العبد مشركا معه، ولهذا قيل:

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

وكل ما في العوالم التي تراها، أو تسمع عنها، قد جعلها لك على سبيل إرادة إقامة البرهان على : من يريد ربه وقربه، أو من يريد شهواته مفضلا لها على مولاه و سيده؛ بل زاد سبحانه الأمر عجبا؛ فأحاط النار - التي فيها هلاك العبد وعذابه - بالشهوات التي تريدها النفس وجبلت على حبها، وجعل الإحاطة للجنة -التي تشتاق إليها الروح، ويتمنى علائقها القلب- بما تكرهه النفس، وتتمنى عدم التكليف به، وتتكبد في تحصيله المشاق؛ فقال:

* حدثنا إسماعيل قال: حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال:" حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره "(٢٢).

٢١) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٨٠)

فانظر إلى فعل الإله الحكيم، أعظم حبيب: كيف يفعل بعباده المحبين له، وكيف يمنع عنهم ما يريدون، لينظر ما يقومون به، سعيا لقربه، ولنوال رضاه، ولتقوم به الحجة على من خنع، وترك نفسه تسبح وراء شهواتها البهيمية فأهلكتها؛ إنها حكمة الله العظمى، وإتحافاته الفضلى، تظهر لمن لم يقف أمام ظواهر علائق الدنيا، التي قال سبحانه في حقها: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[٢٣].

وهذا الفعل من العبد يجعله غريبا في الدنيا؛ فالناس على حسب الطبيعة الأصلية - التي يريد المولى إخراجهم عنها، مع أنه خلقهم فيها - يعيشون بما تقتضيه قوانين العالم المرئي.

أما هذا العبد الذي لم يغتر بما تراه العيون، وينشغل بما وراء المادة، وما هو خلف هذه الحياة، وما كان قبلها: من العلوم؛ فتجده منشغلا بمولاه، مراقبا لرضاه؛ متحققا بوصف الغربة بين الناس؛ فمرادهم خلافه، وانشغالاتهم ضده؛ فيعمل بينهم ويقوم بخدمتهم، ويصلح ما أمكنه من شأنهم، رعاية لمراد ربهم، أما قلبه فمع سيده، لا يتحول عنه لحظة، ولا تذهب به عنه غفوة ،ولذلك جاء فيما روى البخاري:

• حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوي، عن سليمان الأعمش قال: حدثني مجاهد، عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب ،أو عابر سبيل".

وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك (٢٤).

وهنا يأتي البرهان العملي، والعلمي على صحة وصدق هذه الغرابة، وهذا المعنى القويم، ومنهج أصحاب الرقيم:

٢٢) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٩)
٢٣) سورة الروم/٧
٢٤) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٥٨)

• حدثنا عثمان، حدثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة، من طعام بر ثلاث ليال تباعا، حتى قبض (٢٥).

• حدثني إسحق بن إبراهيم بن عبد الرحمن، حدثنا إسحق هو الأزرق، عن مسعر بن كدام، عن هلال، عن عروة، عن عائشة ﷺ قالت: ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم؛ إلا إحداهما تمر (٢٦).

• حدثني أحمد بن رجاء، حدثنا النضر، عن هشام قال" أخبرني أبي، عن عائشة قالت: كان فراش رسول الله ﷺ من أدم، وحشوه من ليف (٢٧).

• حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام بن يحي، حدثنا قتادة قال: كنا نأتي أنس بن مالك، وخبازه قائم، وقال: كلوا؛ فما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفا مرققا؛ حتى لحق بالله، ولا رأى شاة سميطا بعينه قط (٢٨).

• حدثنا عبد العزيز بن عبد الله الأويسي، حدثني ابن أبي حازم، عن أبيه، عن يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة أنها قالت لعروة ابن أختي: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله ﷺ نار؛ فقلت: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان التمر والماء؛ إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار؛ كان لهم منائح، وكانوا يمنحون رسول الله ﷺ من أبياتهم فيسقيناه (٢٩).

• حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن عمارة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" اللَّهُمَّ ارزق آل محمد قوتا "(٣٠).

٢٥) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧١)
٢٦) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧١)
٢٧) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧١)
٢٨) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٢)
٢٩) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٢)
٣٠) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٢)

• حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس ﷺ قال: لم يأكل النبي ﷺ على خوان حتى مات، وما أكل خبزا مرققا حتى مات ([31]).

• حدثنا عبد الله بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة ﷺ قالت: لقد توفي النبي ﷺ، وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد؛ إلا شطر شعير في رف لي؛ فأكلت منه حتى طال علي؛ فكلته ففني([32]).

فهذا نبي الأمة ﷺ يعيش حياة من لا يبقي على شهوات الدنيا، وينظر إليها بعين حقيقتها، وحقيقة القضية القاضية بخروج العبد عن أحكام العالم، أو الرضوخ لطلبات قوانينه؛ بل كسرها في حق نفسه؛ فصار حاكما عليها، لا محكوما بها؛ فيقهر العالم ولا يقهر بشئ منه، ويسعد به العالم ، ولا يسعد إلا بمولاه خالق العالم جل جلاله.

أما غالب شأنه فهو مشغول بربه، يصلي له حتى تتورم قدماه، مع علمه بأنه لا ذنب له، ولا عذاب ينتظره، ولكنه عشق العبودية لرب البرية؛ فقد جاء:

• حدثنا خلاد بن يحي، حدثنا مسعر، حدثنا زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: كان النبي ﷺ يصلي حتى ترم، أو تنتفخ قدماه، فيقال له: فيقول:" أفلا أكون عبدا شكورا "([33]).

ولهذا رسم لصحابته طريق سعادتهم، ومنهاج تحقيق عوالي رغباتهم، ومنه ما:

• حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو شهاب، عن الأعمش، عن زيد ابن وهب، عن أبي ذر ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ؛ فلما أبصر - يعني أحدا - قال: ما أحب أنه يحول لي ذهبا يمكث عندي منه دينار فوق ثلاث؛ إلا دينارا أرصده لدين، ثم قال:

[31]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٩)
[32]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٠)
[33]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٥)

إن الأكثرين هم الأقلون إلا من قال بالمال هكذا وهكذا - وأشار أبو شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله - ، وقليل ما هم، وقال: مكانك، وتقدم غير بعيد؛ فسمعت صوتا فأردت أن آتيه، ثم ذكرت قوله: مكانك حتى آتيك؛ فلما جاء قلت يا رسول الله: الذي سمعت -أو قال الصوت الذي سمعت -؟ قال: وهل سمعت؟ قلت: نعم، قال: أتاني جبريل ﷺ فقال: من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، قلت: وإن فعل كذا، وكذا قال: نعم ([34]).

وأوصل سيد الخلق كلهم الأمر في النظر إلى الدنيا، إلى حد وصف أكثر وقائع الخلق، بأنهم ليسوا عبادا لله، وأنهم في الحقيقة عباد للمخلوقات، أو الشهوات البشرية، وهي عبادة الحب والتعلق، وبذل الفكر والجهد لتحصيل الاجتماع بمتعلقات تلك الشهوات النفسية؛فروى الإمام البخاري:

• حدثني يحي بن يوسف، أخبرنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " تعس عبد الدينار والدرهم، والقطيفة والخميصة؛ إن أعطي رضي، وإن لم يعط لم يرض "([35]).

مع أنه ﷺ قعَّد أصول التربية النفسية لهم حتى يخرجهم عن تلك العبوديات الباطلات، والانحدارات المرديات؛ فروى البخاري:

• حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا أبو بكر، حدثنا أبو حصين، عن أبي صالح عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال:" ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس "([36]).

وجعل المعايير القويمة: لا تتعلق بالظواهر والأشكال، وإنما بما تحتويه معادن ما وراء تلك الهيئات، من التعلق برب الكائنات؛ فروى البخاري:

• حدثنا إسماعيل قال: حدثني عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: " مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل عنده جالس: ما

[34]) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٨٤١)
[35]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٤)
[36]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٨)

رأيك في هذا؟ فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حري إن خطب: أن ينكح، وإن شفع: أن يشفع، قال: فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل فقال له رسول الله ﷺ: ما رأيك في هذا؟ فقال يا رسول الله: هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حري إن خطب: أن لا ينكح، وإن شفع: أن لا يشفع، وإن قال: أن لا يسمع لقوله؛ فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا "[٣٧].

واستجابوا له الصحابة الكرام رضي الله عنهم، وعلموا يقين ما دعاهم إليه، وعلى ذلك عاشوا؛ فقد جاء:

* حدثنا عمر بن ذر، حدثنا مجاهد، أن أبا هريرة كان يقول: آلله الذي لا إله إلا هو؛ إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه؛ فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني؛ فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني؛ فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ؛ فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله قال: الحق، ومضى فاتبعته؛ فدخل فأستأذن فأذن لي؛ فدخل فوجد لبنا في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل، ولا مال، ولا على أحد؛ إذا أتته صدقة: بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية: أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها؛ فساءني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا، أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها؛ فإذا جاء أمرني؛ فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بد؛ فأتيتهم فدعوتهم؛ فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من

[٣٧]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٦٩)

البيت، قال: يا أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم، قال: فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح؛ فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القدح؛ حتى انتهيت إلى النبي ﷺ، وقد روي القوم كلهم؛ فأخذ القدح فوضعه على يده؛ فنظر إلي فتبسم فقال: أبا هر، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: بقيت أنا وأنت، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: اقعد فاشرب؛ فقعدت فشربت، فقال: اشرب؛ فشربت، فما زال يقول: اشرب؛ حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكا، قال: فأرني؛ فأعطيته القدح؛ فحمد الله وسمى، وشرب الفضلة [٣٨].

* حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد، عن أيوب عن محمد قال: كنا عند أبي هريرة، وعليه ثوبان ممشقان من كتان؛ فتمخط فقال: بخ بخ أبو هريرة يتمخط في الكتان؛ لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله ﷺ إلى حجرة عائشة، مغشيا علي؛ فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون؛ ما بي إلا الجوع [٣٩].

* حدثني إسحق بن منصور، أخبرنا عبد الصمد قال: حدثني أبي، حدثنا الجريري، حدثنا أبو العلاء بن الشخير، أن الأحنف بن قيس حدثهم قال: جلست إلى ملأ من قريش، فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه من نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم، حتى يخرج من نغض كتفيه، ويوضع على نغض كتفه، حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل، ثم ولى فجلس إلى سارية وتبعته ،وجلست إليه وأنا لا أدري من هو؛ فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت؟ قال: إنهم لا يعقلون شيئا، قال لي خليلي، قال: قلت من خليلك؟ قال النبي ﷺ: يا أبا ذر أتبصر أحدا،

[٣٨]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٧٠)
[٣٩]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٧٠)

قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم، قال: ما أحب أن لي مثل أحد ذهبا، أنفقه كله إلا ثلاثة دنانير، وإن هؤلاء لا يعقلون؛ إنما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين حتى ألقى الله ([40]).

* حدثنا ابن مقاتل، أخبرنا عبد الله، أخبرنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم، أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أتي بطعام، وكان صائما؛ فقال: قتل مصعب بن عمير، وهو خير مني؛ كفن في بردة إن غطي رأسه: بدت رجلاه، وإن غطي رجلاه: بدا رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام ([41]).

* حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام، عن يحيى، عن هلال بن أبي ميمونة، حدثنا عطاء بن يسار، أنه سمع أبا سعيد الخدري ﷺ يحدث: أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله فقال: إني مما أخاف عليكم من بعدي: ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها؛ فقال رجل يا رسول الله: أو يأتي الخير بالشر؟ فسكت النبي ﷺ؛ فقيل له: ما شأنك تكلم النبي ﷺ ولا يكلمك؟ فرأينا أنه ينزل عليه قال: فمسح عنه الرخصاء فقال: أين السائل، وكأنه حمده فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل، أو يلم؛ إلا آكلة الخضراء: أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها، استقبلت عين الشمس؛ فثلطت، وبالت، ورتعت؛ وإن هذا المال خضرة حلوة؛ فنعم صاحب المسلم ما أعطى منه المسكين، واليتيم، وابن السبيل، - أو كما قال النبي ﷺ - وإنه من يأخذه بغير حقه: كالذي يأكل، ولا يشبع، ويكون شهيدا عليه يوم القيامة ([42]).

[40]) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٥١٠)
[41]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٢٨)
[42]) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٥٣٢)

الفصل الثالث

صوفية بل قبورية الإمام البخاري رحمه الله تعالى

جاء في ذكر فضائل الجامع الصحيح سوى ما تقدم في الفصول الأولى وغيرها، قال أبو الهيثم الكشميهني: سمعت الفربري يقول: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا؛ إلا اغتسلت قبل ذلك، وصليت ركعتين.

وعن البخاري قال: صنفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وجعلته حجة فيما بيني وبين الله، وقال أبو سعيد الإدريسي: أخبرنا سليمان بن داود الهروي سمعت عبد الله بن محمد بن هاشم يقول: قال عمر بن محمد بن بجير البجيري: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: صنفت كتابي الجامع في المسجد الحرام، وما أدخلت فيه حديثا حتى استخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته.

قلت: الجمع بين هذا وبين ما تقدم أنه كان يصنفه في البلاد: أنه ابتدأ تصنيفه، وترتيبه، وأبوابه في المسجد الحرام، ثم كان يخرج الأحاديث بعد ذلك في بلده وغيرها، ويدل عليه قوله: إنه أقام فيه ست عشرة سنة؛ فإنه لم يجاور بمكة هذه المدة كلها، وقد روى ابن عدي، عن جماعة من المشايخ: أن البخاري حول تراجم جامعه، بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين ([43]).

* وكذلك الجهة العظمى الموجبة لتقديمه، وهي ما ضمنه أبوابه من التراجم التي حيرت الأفكار، وادهشت العقول والأبصار، وإنما بلغت هذه الرتبة، وفازت بهذه الحظوة؛ لسبب عظيم أوجب عظمها، وهو ما رواه أبو أحمد بن عدي، عن عبد

[43]) مقدمة الفتح - (ج ١ / ص ٤٩٠)، تهذيب الأسماء - (ج ١ / ص ٩١)، سير أعلام النبلاء - (ج ١٢ / ص ٤٠٤)، التعديل والتجريح - (ج ١ / ص ٣١٠)، تاريخ دمشق - (ج ٥٢ / ص ٧١)، تهذيب الكمال للمزي - (ج ٢٤ / ص ٤٤٣).

القدوس بن همام قال: شهدت عدة مشايخ يقولون: حَوَّلَ البخاري تراجم جامعه- يعني بيضها- بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين[11].

قلت : فلم يك داع عند الإمام البخاري رحمه الله تعالى في كتابة تراجم رواة الصحيح بين القبر الشريف، والمنبر، وصلاته ركعتين؛ إلا صريح فعل التبرك ، والاستئذان في تصحيح كل ترجمة وحديث من صاحب القبر الشريف؛ أفهل كان فعله شركاً؟ وصلاته باطلة؟ وصحيحه غير صحيح لما فعله من المحرمات؟

أم أن التبرك والتصوف هو دين أمة الإسلام؟ وبه كان يدين علماء الهدى، وتيجان التقى؟

[11] مقدمة الفتح - (ج ١ / ص ١١)

المبحث الأول

قضية شد الرحال لمساجد غير الثلاثة

وتلك قضية القضايا التي تنازع فيها الناظرون؛ وأغلبهم لم يحسنوا التفرقة بين العموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، والنص، والظاهر، والمجمل، والمبين، والمفسر، والمشكل، والمنطوق، والمفهوم، وغير ذلك من أصول علم إدراك معاني التنزيل؛ وقد روى الإمام البخاري في هذا الباب شرعية شد الرحال إلى مساجد غير المساجد الثلاثة المباركة، كما أثبت شرعية شد الرحال إلى القبور، وقد رتبناها على النحو التالي:

[*] المطلب الأول:الأصل العام: منع شد الرحال؛ إلى غير المساجد الثلاثة:

[*] الفرع الأول: ثبوت عموم المنع، ودلالة هذا العموم:

• حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة قال: أخبرني عبد الملك، عن قزعة قال: سمعت أبا سعيد ﷺ أربعا قال: سمعت من النبي ﷺ، وكان غزا مع النبي ﷺ ثنتي عشرة غزوة (ح) حدثنا علي، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال:

"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى"[12].

[12] صحيح البخاري (١ / ٣٩٨)، صحيح ابن حبان (٤ / ٤٩٨)، وأخرجه أحمد ٢/٢٣٤، ومسلم [١٣٩٧] [٥١٢] في الحج: باب لا تشد الرحال إلا... وابن ماجة [١٤٠٩] في إقامة الصلاة: باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، عن أبي بكر ابن أبي شيبة، كلاهما عن عبد الأعلى، عن معمر، بهذا الإسناد وأخرجه الحميدي [٩٤٣]، وأحمد ٢/٢٣٨، والبخاري [١١٨٩] في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، ومسلم [١٣٩٧] [٥١١]، وأبو داود [٢٠٣٣] في المناسك: باب في إتيان المدينة، والنسائي ٢/٣٧ في المساجد: باب ما تشد الرحال إليه من المساجد، والبيهقي في "السنن" ٥/٢٤٤، والخطيب في "تاريخه" ٩/٢٢٢ من طرق، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به وأخرجه الطحاوي في "مشكل

قلت: يدل هذا العموم على معنى: لفت الانتباه إلى عظيم بركة هذه المساجد الثلاثة، وأنه لا توجد مساجد أو أماكن في الأرض أعظم منها بركة، وأن بذل الجهد، وتحمل المشاق في السفر لنيل بركة الأماكن المطهرة، والمواضع الشريفة فيها لهو شأن تتصاغر أمامه منافع بذل المشقة في السفر إلى سواهم من المحال المباركة؛ فقد جعلت المساجد الثلاثة هي مناط الرسالات، ومزار جميع الأنبياء، وحج العالمين، ومثوى أعاظم الصالحين من العالمين؛ فقد جعلت تحت هذه المساجد الثلاثة مئات القبور للأنبياء، وآلاف القبور لأتباعهم، وما كان ذلك إلا لأن هذه المساجد الشريفة هي محل نزول بركات المولى الكريم؛ حتى لقد طلب المرسلون الدفن هناك.

كما أن هناك من صحيح الرواية ما يدل على النص على الأفضلية، والإشارة إلى عظيم الثواب؛ دون النص على منع شد الرحال إلى غيره(٦).

وأقول إن هذا التوجيه الإلهي النبوي لفضيلة هذه المساجد:

لا يعني الحكم بعدم وجود فضيلة غيرها من المساجد، ولا يعني - بالاستتباع - الحكم بتحريم شد الرحال إلى المساجد الثلاثة، ولكن المسألة تتعلق بالرتب، والدرجات؛ فإن هذه المساجد الثلاثة أعلى قدرا، وأعظم بركة من غيرها بلا شك، أما ما سواها من محال البركة؛ فهي وإن كانت لا ترقى لرتبة الثلاثة؛

الآثامن طريق سلمان الأغر، عن أبي هريرة بلفظ: "إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء" أخرجه مسلم [١٣٩٧] [٥١٣]، وأبو نعيم في "المستخرج ٢١/١٨٧/١، والبيهقي ٥/٢٤٤. وسيورده المصنف برقم [١٦٣١] من طريق الزبيدي عن الزهري، عن ابن المسيب وأبي سلمة، به. ويرد تخريجه من هذه الطريق هناك. ومن حديث أبي هريرة عن أبي بصرة الغفاري ﷺ أخرجه الطيالسي [١٣٤٨]، والطحاوي في "مشكل الآثار" ١/٢٤٢و٢٤٣و٢٤٤. و "١/٢٤٤ من طريق عبد الرحمن بن مسافر، وصالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، به.

(٦) • حدثناه أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الأعلى، عن معمر، عن الزهرى بهذا الإسناد غير أنه قال: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد»(٤٦). [صحيح مسلم ٤/١٢٦]

• وحدثنا هارون بن سعيد الأيلى، حدثنا ابن وهب، حدثنى عبد الحميد بن جعفر، أن عمران بن أبى أنس، حدثه أن سلمان الأغر، حدثه أنه سمع أبا هريرة، يخبر أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء». [صحيح مسلم٤/١٢٦]

إلا أنها كذلك أماكن مباركة؛ فهي بالنسبة للثلاثة مفضولة، وبالنسبة لغير الثلاثة هي فاضلة؛ أي بحسب اختلاف جهة الاعتبار؛ فالصلاة في مسجد قباء مثلا تعدل عمرة، وهذه فضيلة لا توجد في غيره من المساجد من غير الثلاثة، والمساجد، والمواضع التي صلى فيها رسول الله ﷺ- غير المساجد الأربعة - مقدمة على غيرها في الرتبة والبركة، ولذلك كان ابن عمر ﷺ يتحرى الصلاة في هذه المساجد، والمواضع، وكذلك مساجد الجمعة تربو العبادة فيها، على مصلى غير الجمعة، وما تكاثرت فيه المصلين؛ يزيد في بركته عما قل مصلوه، وهكذا.

وقد ثبت أن النبي ﷺ قد شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة قاصدا التبرك، والصلاة فيها، وهذا ما سنوفيه الآن بيانا .

الفرع الثاني: تخصيص عموم المنع؛ بجواز شدها إلى غير هذه المساجد الثلاثة المباركة، وسيأتي تفصيل ذلك في المطلب الثاني؛ فلا نكرر متعلقه .

المطلب الثاني

شد الرحال إلى مساجد غير المساجد الثلاثة

الفرع الأول: ثبوت شد الرحال إلى مساجد غير الثلاثة المباركة

روى البخاري الإمام ذلك فقال :

• حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا، وكان عبد الله، ﷺ يفعله[٤٧].

• حدثنا مسدد، حدثنا يحي، عن عبيد الله، قال: حدثني نافع، عن ابن عمر، ﷺ، قال: كان النبي ﷺ يأتي قباء راكبا وماشيا- زاد ابن نمير، حدثنا عبيد الله عن نافع - ؛ فيصلي فيه ركعتين[٤٨].

[•]شد الصحابة الرحال لغير المساجد الثلاثة[٤٩]:

• حدثنى عبيد الله بن سعد قال: حدثنا عمى قال: حدثنى أبى، عن ابن اسحاق قال: حدثنا عبد الواحد بن أبى البداح بن عاصم بن عدى أخى بنى العجلان، سمع عبد الرحمن بن يزيد بن جارية أخا بنى عمرو بن عوف، وكان إمام مسجد قومه: كان عمر يأتي مسجدنا هذا - وكان أدركه وعقل زمانه كله - وقال: اعمروا

(٤٧) صحيح البخاري ـ حسب ترقيم فتح الباري - (٢ / ٧٧).

(٤٨) صحيح البخاري ـ حسب ترقيم فتح الباري - (٢ / ٧٧).

[٤٩] • حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال، حدثنا صخر ابن جويرية، عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص قالت، سمعت أبي يقول: لان أصلي في مسجد قباء ركعتين، أحب إلى من أن آتي بيت المقدس مرتين، لو يعلمون ما في قباء، لضربوا إليه أكباد الابل.

[صححه ابن حجر في الفتح ٦٩/٣، وابن الجوزي في روضة المحديثن٢/١١ ، وغيرهم]

• أخبرنا خالد بن مخلد، وأبو عامر العقدي قالا: أخبرنا عبد الله بن جعفر، عن عمته أم بكر بنت المسور، أن عمر بن الخطاب قال: "لو كان مسجد قباء في أفق من الآفاق؛ لضربنا إليه أكباد الإبل". الطبقات الكبرى ٢٤٥/١[صحيح]

مسجدكم؛ فو الذي نفس عمر بيده: لو كان ببعض الآفاق؛ لضربنا إليه اكباد الإبل"[٥٠].

[•] شد أبي هريرة الرحال لجبل الطور، تخصيصا لعموم روايته الشهيرة:

• حدثنا إبراهيم بن هاشم البغوي، حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن زيد بن أسلم، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، أن أبا بصرة جميل بن بصرة لقي أبا هريرة وهو مقبل من الطور، فقال: لو لقيتك قبل أن تأتيه، إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول:"إنما تضرب أكباد المطي إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى"[٥١].

وجه الدلالة:

قلت: في هذا الحديث روى أبو بصرة، لأبي هريرة ﷺ، خبر النبي ﷺ: بعموم النهي، وكان هذا اللقاء عند رجوع أبي هريرة ﷺ، من زيارة جبل طور سيناء، وهذا السفر قد شدت فيه الرحال بلا شك؛ وأقول في ذلك:

أولا: أن أبا هريرة ﷺ كان على علم بحديث النفي العام هذا، ولكنه كان يعلم تخصيصه؛ بمعنى منع أفضلية شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، وأنه ليس بمعنى التحريم العام؛ بحيث يقطع بتحريم السفر وشد الرحال لغيرهم، والدليل على ذلك أن أبا هريرة نفسه قد روى عنه هذا الحديث بأسانيد كثيرة، منتشرة؛ فقد جاء عنه:

[٥٠] التاريخ الكبير [١/٤٠٢]

[٥١] الطبراني في معجمه الأوسط ج ١/ ص ٢٦١ حديث رقم: ٨٥٣، أبي يعلى في مسنده ج ١١/ ص ٤٣٥ حديث رقم: ٦٥٥٨، الطبراني في معجمه الكبير ج ٢/ ص ٢٧٧ حديث رقم: ٢١٥٩، الحميدي في مسنده ج ٢/ ص ٤٢١ حديث رقم: ٩٤٤، الطيالسي في مسنده ج ١/ ص ١٩٢ حديث رقم: ١٣٤٨

Courtesy of Darul Tahqiq
www.darultahqiq.com

* حدثني عمرو الناقد، وزهير بن حرب جميعا، عن ابن عيينة قال: عمرو، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى»[٥٢].

ثانيا: أنه مع وجود العلم بالحديث العام، وانتشار روايته عن أبي هريرة ﷺ، بكل هذا الكم من الروايات؛ إلا أنه قد شد الرحال وسافر لزيارة جبل طور سيناء؛ حيث كلم الله جل جلاله نبيه موسى ﷺ، وهذا يدل منه على:

[*] شد الصحابة الكرام الرحال للتبرك والصلاة في غير المساجد الثلاثة.

ثالثا: أن فعل أبي هريرة ذلك هو: محض اتباع النبي ﷺ في شده الرحال في رحلة الإسراء، وقصده الصلاة في طور سيناء؛ حيث كلم الله موسى تكليما، وأن هذا كان بتوجيه من جبريل عليه السلام، كما جاء في صحيح الروايات ولكننا قد أتينا بها مفصلة في كتابنا/ حكم الصحابة العلية على القبور والصوفية؛ فانظر البحث هناك تجده وافيا.

[٥٢]) صحيح البخاري (١ / ٣٩٨)، صحيح مسلم (٤ / ١٢٦)، سنن النسائي (٢ / ٣٧)، سنن ابن ماجة (٢ / ٤١٥)، صحيح ابن حبان (٤ / ٤٩٨)، مسند البزار (١٤ / ١٥٨)، سنن أبي داود - (٢ / ٢١٦)، سنن الداري (١ / ٣٨٩)، مسند أحمد (٢ / ٢٣٤).

المبحث الثاني

شرعية شد الرحال لزيارة القبور

قد اتفقت كلمة أهل العلم على مدى عصور أمة الإسلام على شرعية شد الرحال لزيارة قبور أهل الصلاح من المؤمنين؛ حتى أتى بعض من انتسب إلى العلم؛ فظن التحريم فيه معتمدا على ظواهر بعض الأحاديث، وفي هذا البحث قد حققنا المسألة – في كتابنا : حكم الصحابة العلية على القبور والصوفية - بما جاء به العلم الموروث عن سلف الأمة من: الصحابة، والأئمة؛ بما يصل إلى حد تلقي الأمة بالقبول لشرعيتها، وفي هذا المحل من من الاعتماد على روايات الإمام البخاري ؛ فقد أوصل إلينا في المسألة معقدا شريفا ، ونفصله على نحو ما يلي:

[*]المطلب الأول: دلالة المفهوم[٥٣]على شد الرحال لزيارة قبر النبي محمد ﷺ:

[٥٣]) [*] من أبواب علم أصول الفقه: الاستدلال بالمفهوم:
المفهوم مأخوذ من الفهم، وهو جودة استعداد الذهن للاستنباط.
واصطلاحا: ما فهم من اللفظ في غير محل النطق.
وهو على قسمين: موافق، ومخالف.
[١] مفهوم الموافقة: هو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقا لمدلوله في محل النطق.
أنواعه: هو على نوعين:
[*] المفهوم الأولوي: وهو ما كان المسكوت عنه أولى بحكم المنطوق به.
[*] المفهوم المساوي: وهو ما كان المسكوت عنه مساويا لحكم المنطوق به.
[٢] مفهوم المخالفة: هو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفا لمدلوله في محل النطق.
أقسامه: له عدة أقسام أشهرها: مفهوم الصفة، ومفهوم الشرط، ومفهوم الغاية، ومفهوم اللقب، ومفهوم العدد.
الإحكام للآمدي - (٢ / ٢٧٦)، أنوار البروق في أنواع الفروق - (٣ / ٧١)، إجابة السائل شرح بغية الآمل - (١ / ٢٣٣)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول - (٢ / ٣٧)، الإبهاج في شرح المنهاج - (١ / ٤٨٩)، البحر المحيط في أصول الفقه - (٣ / ٨٨)، البرهان في أصول الفقه - (١ / ٢٩٨)، المحصول للرازي - (٣ / ٢٥٩)، المستصفى في علم الأصول ـ ط الرسالة - (٢ / ١٩٦)، تنقيح الفصول في علم الأصول - (١ / ٦)

[*] أن كل الأحاديث التي أتت في فضل الروضة الشريفة، وأنها من رياض الجنة: تشريع بندب الزيارة، وسنيتها للقبر الشريف، ومنها:

• حدثنا مسدد، عن يحيى، عن عبيد الله، قال: حدثني خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة، ﷺ، عن النبي ﷺ قال:"ما بين بيتي ومنبري : روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"[٥٤].

فيكون هذا من:

[*] تشريع النبي لأمته كلها، وتوجيهه: إلى سنية، وشرعية، وندب: قصد الصلاة عند قبور الأنبياء، والصالحين: طلبا للتبرك.

[*] المطلب الثاني: شد الرحال لزيارة غير قبره ﷺ:

[*] الفرع الأول: ثبوت شد النبي ﷺ الرحال لزياة قبور الصالحين:

• حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ قال: " أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه؛ فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عليه عينه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور؛ فله بكل ما غطت به يده بكل شعرة سنة، قال أي رب ثم ماذا ؟ قال ثم الموت، قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر، قال: قال رسول الله ﷺ: "فلو كنت ثم؛ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق، عند الكثيب الأحمر "[٥٥] .

قلت: وفي إشارة النبي ﷺ إلى تحديد مكان قبر نبي الله موسى عليه وسلم، ووصف أنه عند الكثيب الأحمر: ليس متعلقا بأنه من علم الغيب عند الأنبياء؛ بل قد زاره ﷺ أثناء رحلة الإسراء، ونزل من على البراق عند قبره الشريف، ووجده قائما يصلي في قبره، وبذلك جاءت رواية مسلم وغيره؛ فيما:

[٥٤] أخرجه البخاري ٣٩٢/٣ -الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة: باب فضل ما بين القبر والمنبر، حديث ١١٩٥، ومسلم ١٧٣/٥، ١٧٤-نووي، كتاب الحج: باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، حديث ٥٠٠، ٥٠١-١٣٩٠، والنسائي ٣٥/٢، كتاب المساجد، رقم ٦٩٥.

[٥٥] صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٤٩)

• حدثنا هداب بن خالد، وشيبان بن فروخ قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، وسليمان التيمي، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أتيت على موسى ليلة أسرى بي، عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره»[٥٦].

قلت: وفي هذا الحديث الصحيح قد شدت للنبي الرحال، من دابة البراق، وهي أعظم الرحال مطلقا، وأشدها سرعة مطلقا، وأفضلها شرفا مطلقا، قد ركبها خير خلق الله مطلقا، وقصد في رحلته زيارة قبر نبي الله موسى ﷺ؛ لأن الرحلة كانت في الأصل متوجهة إلى المسجد الأقصى؛ فما كان من دافع لتوجيه الرحلة، وقيادة البراق لزيارة قبر نبي الله موسى ﷺ؛ إلا شد الرحال للقبر بالقصد المجرد الثابت بلا شك، وهذا يدل على:

[*] شد النبي ﷺ الرحال لزيارة قبور الصالحين.

ثم لما وصل النبي ﷺ إلى قبر موسى ﷺ وجده قائما يصلي في قبره؛ فيدل هذا على:

[*] أن الصالحين يصلون في قبورهم بعد الموت.

فيكون بذلك قد قرر الحبيب المصطفى كل ما دل عليه الحديث من:

١- عدم انقطاع عمل ابن آدم إذا مات.

٢- ويدل على جواز تلاوة آيات الله المنزلة بداخل القبور.

٣- ويدل على وصول ثوابها للمقبور من باب أولى.

٤- ويدل على جواز تلاوتها بجوار القبور من باب أولى.

[٥٦] أخرجه صحيح مسلم (٧ / ١٠٢) في الفضائل: باب من فضائل موسى، صحيح ابن حبان (١ / ٢٤٢)، والنسائي ٢١٥/٣، وأخرجه ابن أبي شيبة في"المصنف"٣٠٧/١٤، ٣٠٨، وأحمد ١٤٨/٣و٢٤٨، في قيام الليل: باب ذكر صلاة نبي الله موسى ﷺ، كلهم من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت البناني وسليمان التيمي، عن أنس. مسند أبي يعلى (٦ / ٧١)، المعجم الأوسط - (٨ / ١٣)، دلائل النبوة - للبيهقي (٢ / ٣٨٧)، وزاد السيوطي نسبته في"الدر المنثور"١٥٠/٤ إلى ابن مردويه والبيهقي، وأخرجه أحمد ١٢٠/٣ من طريق وكيع، عن سفيان، عن سليمان التيمي، به. وأخرجه مسلم والنسائي من طرق أخرى عن سليمان التيمي، به. وأخرجه البغوي"٣٧٦٠"من طريق عمر بن حبيب القاضي، عن سليمان التيمي، به، سنن النسائي - بأحكام الألباني - (٣ / ٢١٥) وقال الألباني: صحيح.

المبحث الثالث
صحة صلاة النبي ﷺ وصحابته الكرام إلى الأوثان

كان النبي ﷺ، وصحابته الأعاظم يصلون عند الكعبة، منذ فجر الإسلام قبل فرض الصلاة صلاتين، ركعتين في الصباح وركعتين في المساء، وكان كفار قريش يؤذون النبي ﷺ في صلاته؛ حتى كان أحدهم ليلقي على ظهره الشريف ﷺ فرث البهائم فقد روى البخاري في صحيحه وغيره:

• حدثنا أحمد بن إسحاق السورماري قال: حدثنا عبيد الله بن موسى قال: حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله قال:

بينما رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة وجمع قريش في مجالسهم إذ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيكم يقوم إلى جزور آل فلان؛ فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها؛ فيجئ به ثم يمهله حتى إذا سجد: وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه، وثبت النبي ﷺ ساجدا؛ فضحكوا حتى مال بعضهم إلى بعض من الضحك؛ فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام وهي جويرية؛ فأقبلت تسعى، وثبت النبي ﷺ ساجدا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبهم؛ فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: اللَّهُمَّ عليك بقريش، اللَّهُمَّ عليك بقريش، اللَّهُمَّ عليك بقريش، ثم سمى: اللَّهُمَّ عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمارة بن الوليد، قال عبد الله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر، ثم قال رسول الله ﷺ: وأتبع أصحاب القليب اللعنة[٤٧].

[٤٧]) صحيح البخاري كتاب الوحي باب: المرأة تطرح عن المصلي شيئا من الأذى ١٩٥/١ تحقيق البغا.

ثم فرض المولى الرحيم سبحانه الصلاة على أمة الإسلام في معراج النبي ﷺ في مكة المكرمة، وجعلت الصلاة على العدد والتفصيل المعروف الآن، وكانت الصلاة في المسجد الحرام إلى زمان الهجرة على هذا النحو من أن القبلة كانت إلى الكعبة؛ وخصوصا بعد أمر رب العالمين بتحويلها عن بيت المقدس إلى الكعبة في بيت الله الحرام؛ فكانت الصلاة عند الكعبة، ثم صارت الصلاة إلى قبلة الكعبة، وقد كانت الأصنام والأوثان حول الكعبة، ومقامة أعلى جدرانها؛ وصح الخبر أنه كان في الكعبة وعليها ثلاثمائة وستون صنما، ولم تزال وترفع عنها إلا في فتح مكة، وكان النبي ﷺ يلقيها عن الكعبة بعود كان في يده، ويتمثل قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ و﴿ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [٤٨].

وفي هذا الشأن يجب من المدركات العلمية الآتي:

• علم أن التوحيد لا يتجزأ؛ فهو دين الله العظيم الذي ارتضاه، وأرسل به رسله، ولم يشرع لعباده غيره، ولا يقبل سواه؛ فما كان من سلامة الاعتقاد في سابق الزمان، في أمة من الأمم فلن يتغير حكمه؛ بل هو الشأن الذي دعى إلى بذل المهج من أجل ترسيخ ركائزه، وإعلاء أعلامه ومعالمه قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾، ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ؛ فهو فرض الله أبدا.

وفي مقابلته الشرك؛ فهو كذلك لا يتجزأ؛ فهو محل تحريم المولى أزلا في العلم، وأبدا في العالمين فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾فهو محرم من الله أبدا.

[٤٨]) صحيح البخاري ١٧٤٩/٤، صحيح مسلم ١٤٠٩/٣، سنن الترمذي ٣٠٤/٥، السنن الكبرى للنسائي ٣٨٢/٦، مسند أحمد بن حنبل ١/ ٣٧٨، السنن الكبرى للبيهقي ١٠١/٦، مسند أبي يعلى ٣٧٨/٨، مصنف عبد الرزاق ٤٠٣/٧، المعجم الصغير للطبراني ٢٧٢/٢، والأوسط ١٠٢/١، والكبير ٢٢٢/١٠، صحيح ابن حبان ١٧٣/١٣، مسند الحميدي ٤٧/١.

• عدم صحة القول بأن التوحيد مما يجري على أصوله وقواعده، أو حتى على فروعه النسخ؛ فلا يجوز ادعاء أن الشرك والكفر كانا مباحين مشروعين في زمن من الأزمان، أو رسالة من رسالات الله وكتبه، ثم نسخ حكمهما، وصارا حراما بعد أن كانا مشروعين!

بل نقول أن علة النسخ تتعلق في الغالب بالتدريج التشريعي العملي زمان الوحي، وليس بالتدريج العقائدي؛ حيث إن التشريع العملي متعلق بقوله : افعل ولا تفعل، والتشريع العقائدي متعلق بقوله : اعلم واعتقد واترك ولا تعتقد؛ أما الكعبة فلا يتعلق بها في نفسها تشريع افعل ولا تفعل، ولا اعتقد ولا تعتقد إلا من جهة كونها قبلة يجب علمها، ويجب التوجه إليها في الفرض دون السنة؛ إن كانت على الراحلة، أما في نفسها: فهي بناء حجري لا تقصد ذاته بالعبادة، ولا بالطلب، ولا بالدين.

وفي ذلك ملمح: إلى الذين جعلوا الوثنية متعلقة بالتوجه لغير الله؛ فكيف يتوجهون للكعبة وهي سواه سبحانه وتعالى؟ وكيف أمر سبحانه بالتوجه إلى غيره؟ وكيف أمر بالتوجه إلى حجر وقصده بالسفر، وشد الرحال إليه ؟ أم أنه سبحانه قد رضي لعباده وشرع الوثنية في دينه؟ أم أنهم أعلم بدينهم من ربهم؟

بل هو تعليم رب العالمين بأن ما عليه المدار هو القصد والنية؛ فإن كان الله العظيم هو المراد وحده؛ فهو دينه المشروع؛ مهما كانت الظرفيات المكانية والاعتبارية، وإن كان المراد غيره؛ فلا عبرة بهيئات الدين وأشكاله، وإنما العبرة بحقائقه، ومتين مبانيه، وراسخ قواعده؛ فقد يتزيا البعض بهيئة الصالحين، وعمائم العالمين، وهو من أعداء دين قيوم السموات والارضين؛ يدعو غيره ويفسد أهله.

أما شأن الكعبة فلن يختلف حكمها، بعد إعادة بنائها على قواعد إبراهيم ﷺ في المعتقد؛ فهي كانت وما زالت البناء الحجري، المقصود بالتوجه إليه على جهة كونه قبلة على النحو الذي أسلفنا.

• في شأن ظاهر الإتيان بالعبادة: أن الصلاة عند قبر، أو إليه: يرد فيها الشك فيما إذا كانت الصلاة مصروفة إلى الله تعالى، أو إلى صاحب القبر ؛ فحرمها المحرمون ،

وأبطلوها لمجرد إيقاعها عند القبر سدا لذريعة الشرك ، أما الصلاة عند الأوثان، أو إليها: فلا يرد الشك في أنها باطلة ؛ لأنها إما : مصروفة إلى الأصنام ، أو تحرم لإيقاعها عندها ؛ فهي أشد حرمة ، وأعظم اعتبارا في جعلها ذريعة للشرك – حسب نفس المنطق - ؛ فيجب أن يكون التحريم لإيقاعها على الفور، والحكم ببطلانها لا يتخلف؛ فكان يلزم ابتداء تشريع الإسلام العتيق منعها، ومع ذلك جاء التشريع بالعكس:

فكانت صلاة النبي ﷺ، وصحابته الكرام إلى الكعبة، وعندها، وهناك ثلاثمائة صنم في جهة القبلة، ومرفوع مكانها ومكانتها على الكعبة، ومع ذلك كانت الصلاة صحيحة بلا شك، حيث إنه من المحرم في شريعة الإسلام التلبس بالحرام، والدخول في فاسد العبادة؛ مع العلم بالفساد والبطلان محرم ممنوع ؛ فيعلم بذلك أن الصلاة كانت عند الأصنام، وكان السجود لله الواحد الديان، وأنه لا غضاضة في ذلك؛ فلا أعظم من النبي ﷺ رسولا ، ولا أتقى بعده من صحابته الكرام ﷺ.

• أنه يستحيل على النبي ﷺ الإتيان بالأفعال الشركية؛ سواء كان مع العلم، أو مع عدمه؛ فهو محال مطلقا في حقه ﷺ؛ بل إن النبي ﷺ معصوم فلم يسجد لصنم قبل البعثة، وحتى أبو بكر ﷺ، وكذا علي بن أبي طالب ﷺ لم يسجدا لصنم.

• ومن جميع هذه الادراكات يجب علم تأسيس قاعدة: إنما الأعمال بالنيات؛ حيث إن العبرة بما انصرف القلب إليه من المعاني والمقاصد، ومن هنا يفهم توقف كل أنواع الحركات الإنسانية، والارتفاقات البشرية على اعتبار التوجهات والعزائم القلبية، وإن خالفتها الظواهر، وأنه لا عبرة بسواها؛ وإن وافقتها الظواهر على جهة من الجهات، أو حتى كانت قرينة عليها متوافرة؛ طالما أن نية القلب لم تنعقد عليها؛ سواء اعتبرت المخالفة الشرعية من وجوب سبق التحرز عن الشبه، أو لم تعتبر، ومن أجل ذلك يغتفر التصريح بالكفر تحت الإكراه، وقال النبي ﷺ

لعمار ﷺ عندما نطق بالكفر تحت وطأة التعذيب: إن عادوا [إلى التعذيب] فعد [إلى التصريح بكلمة الكفر والطعن في صحيح المعتقد].

فيعلم من كل تلك المقدمات والاستدلالات أن:

الصلاة في مسجد فيه قبر، سواء كانت القبر في جهة القبلة، أو في غير جهتها؛ فلا ينبني شئ أكثر من الحكم بالكراهة عند بعض الفقهاء، ونزيد في القضية استدلالا وإيضاحا؛ فنقول:

المطلب الثاني

التخصيص بالسنة، وفعل الصحابة الكرام ﷺ

الفرع الأول: صلاة النبي ﷺ في مسجد عنده قبور:

* حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثنا أنس بن عياض قال: حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، أن عبد الله بن عمر حدثه: أن النبي ﷺ صلى في طرف تلعة من وراء العرج، وأنت ذاهب إلى هضبة، عند ذلك المسجد: قبران، أو ثلاثة؛ على القبور رضم من حجارة، عن يمين الطريق عند سلمات الطريق، بين أولئك السلمات: كان عبد الله يروح من العرج، بعد أن تميل الشمس بالهاجرة؛ فيصلي الظهر في ذلك المسجد[٩٩].

قلت: وهذا يفيد أن لا محذور شرعي في اتخاذ المساجد على القبور، ولا كراهة في اتخاذ المساجد ولا الصلاة فيها بجوار القبور، ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، وهو صريح نص القرآن، وقد كان الذين غلبوا على أمرهم مسلمين، كما جاء في التفاسير، ولا يعقل مسلم ولا غير مسلم: أن اتخاذ المساجد مصروف لغير المسلمين؛ بل لغيرهم: إما المعابد، أو الكنائس، أو البيع، أو الصوامع؛ أما المساجد كمسمى ومصطلح، وموضع للتعبد: لا يطلق إلا على ما كان للمسلمين للتعبد والصلاة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وكان فعل النبي ﷺ في الصلاة في مسجد بجواره قبور؛ بمثابة التفسير الشرعي الفعلي للآية.

[٩٩] صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ١٨٣)، مستخرج أبي عوانة (٤ / ١٦٣)، مسند أحمد (٢ / ٨٧)، مسند الصحابة في الكتب التسعة - (١٣ / ٣٦٤).

[*]صلاة الصحابة إلى القبور بلا تحريم ولا إبطال للصلاة:

* ورأى عمر بن الخطاب ﷺ أنس بن مالك، يصلي عند قبر؛ فقال: القبر، القبر، ولم يأمره بالإعادة ([60]).

قلت: وهذا يفيد أن حكم الصلاة إلى القبور: الكراهة فقط، ولو كان حكم الصحابة البطلان، والتحريم؛ لأمره بإعادة الصلاة، ولكن ذلك لم يقع، وبذلك جاءت صريح الرواية، وصريح الحكم؛ حتى لا يلتبس على أحد شأنها، ولا يُدعى أن هناك من هم أتقى وأعلم من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم.

فلو كان الحكم على تحريم الاتخاذ؛ للاحتراز من المحظور الشركي؛ لكان الواجب الحكم ببطلان الصلاة إلى القبور مطلقا، ولكن هذا الحكم غير صحيح بدليل هذا الحديث الصحيح؛ فيدل على نفي تعلق الحكم باعتبار تحريم الاتخاذ، ولذلك فالصلاة في المساجد التي فيها القبور؛ صحيحة طالما أن الصلاة ليست إلى القبر؛ فإن كانت الصلاة إلى القبر؛ فهنا يحكم بالكراهة فقط، وهذا مع عدم تحقق اعتبار السجود بقصد المقبور؛ فإن ذلك يبطل الصلاة، وإن كان السجود بقصد العبادة؛ فيحكم بكفر الفاعل، وليس فقط ببطلان الصلاة.

[60]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٦٥)

الفرع الثاني

أول من أدخل القبر الشريف في المسجد النبوي

[*]عمر بن الخطاب ﷺ، وعثمان بن عفان ﷺ:

* حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال: حدثني أبي، عن صالح بن كيسان قال: حدثنا نافع أن عبد الله أخبره:

أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل؛ فلم يزد فيه أبو بكر شيئا، وزاد فيه عمر، وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن، والجريد، وأعاد عمده خشبا، ثم غيره عثمان؛ فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة، والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة، وسقفه بالساج[61].

قلت: يدل على ذلك قوله: [ثم غيره عثمان؛ فزاد فيه زيادة كثيرة]؛ فقد جاء في روايات أخرى تفصل هذه الزيادة الكثيرة: أن عمر بن الخطاب ﷺ قد زاد حتى أوصل التوسعة إلى عيدان المقصورة، أما عثمان فزاد عن ذلك وأكثر؛ فيقتضي إدخال القبر الشريف في المسجد النبوي؛ فليس بعد عيدان المقصورة في التوسعة سوى القبر.

وهذا يدل على أن الصحابة الكرام حاكمون بشرعية وجود القبور في المساجد، وقاضون بنفي الشرك عن فاعل ذلك.

[61]) صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ١٧١).

المبحث الرابع
قضايا القبور الفرعية

[*] شرعية تسنيم القبور، وعدم تسويتها:

• عن سفيان التمار أنه حدثه أنه رأى قبر النبي ﷺ مسنما"[٦٢].

وجه الدلالة:

قلت: قد جاءت الرواية في صحيح البخاري على رؤية قبر النبي ﷺ، وليس بعد التصريح في الصحيح من برهان على الجواز؛ لأن الحرمة قد جاءت من اعتبار ما كان في البلاد من عبادة أصحاب القبور، ولذلك كان صريح الأمر من النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ بتسوية أي قبر، وكان هذا متعلق بالبلاد المفتوحة، وإرادة طمس كل معالم الشرك، والوثنية التي كانت موروثة عند أهلها، وكان ذلك عند بعثته إلى ما فتحه الله على المسلمين من البلاد؛ حيث جاء:

• أخبرنا عمرو بن علي قال: حدثنا يحي قال: حدثنا سفيان، عن حبيب عن أبي وائل، عن أبي الهياج قال: قال علي ﷺ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ: لا تدعن قبرا مشرفا؛ إلا سويته، ولا صورة في بيت إلا طمستها[٦٣].

أما في بلاد المسلمين فقد انتفت تلك العقائد، وما صار حديث عهدها كقديمه؛ بل استقر العلم، والعمل على نبذ الشرك ومحو جذوره، ولم يبق منه بعد رسوخ صحيح العقيدة إلا تأسيس تحريم التعلق به في القلب، وعدم الاكتفاء

[٦٢] صحيح البخاري (الطبعة الهندية) - (١ / ٦٣٢)، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ، إتحاف الزائر واطراف المقيم للسائر لأبي اليمن ابن عساكر - (١ / ١٨٣).

[٦٣] أخرجه مسلم (٣ / ٦١) وأبو داود (٢ / ٧٠) والنسائي (٥١ / ٢٨) والترمذي (٢ / ١٥٣ - ١٥٤) حسنه، والحاكم (١ / ٣٦٩) والبيهقي (٤ / ٣) والطيالسي في (رقم ١٥٥) وأحمد (رقم ٧٤١، ١٠٦٤) من طريق أبي وائل عنه، والطبراني في (المعجم الصغير) (ص ٢٩) من طريق أبي إسحاق عنه.

والاستدلال بظواهر الأفعال عليه؛ بدليل تسنيم قبر النبي ﷺ، وثبوته عن غيره كذلك؛ فما صار التحريم في بداية العهد، كما هو الشأن في متأخره؛ فقد قال ﷺ "إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم"وقال ﷺ "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان".

[*]جواز الجلوس على القبر، وأن التحريم متعلق فقط بتنجيسه:

• حدثني عمرو ابن محمد هو الناقد، ثنا يعقوب هو ابن إبراهيم بن سعد، ثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثني يحي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، سمعت خارجة بن زيد بن ثابت قال: رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان ﷺ، وإن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوره، وقال عثمان بن حكيم: أخذ بيدي خارجة؛ فأجلسني على قبر، وأخبرني عن عمه يزيد بن ثابت قال: إنما كره ذلك لمن أحدث عليه[٦٤].

• حدثنا علي هو ابن عبد الرحمن، ثنا عبد الله بن صالح، حدثني بكر هو ابن مضر، عن عمرو، عن بكير هو ابن عبد الله الأشج: أن نافعا حدثه، أن عبد الله بن عمر: كان يجلس على القبور[٦٥].

[*] شرعية ضرب الفسطاط [السرادق] على القبر:

قلت: معنى الفسطاط لغة:

• وأصل الفسطاط: بناء معروف من الخيم، وفيه ست لغات: فسطاط وفستاط، وفساط بضم الفاء فيهن[٦٦].

• جاء في مادة: (فسط): الفسطاط، والفسطاط: ضرب من الأبنية، والفستاط...، والفسطاط: مجتمع أهل الكورة حوالي مسجد جماعتهم يقال: هؤلاء أهل الفسطاط، وفي الحديث"عليكم بالجماعة فإن يد الله على الفسطاط"هو بالضم،

[٦٤] صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ٤٥٧).

[٦٥] صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ٤٥٧)، تغليق التعليق على صحيح البخاري - (٢ / ٤٩٤).

[٦٦] غريب الحديث لابن الجوزي - (ج ٢ / ص ١٩٣).

والكسر يريد المدينة التي فيها مجتمع الناس، وكل مدينة فسطاط، ومنه قيل لمدينة مصر التي بناها عمرو بن العاص: الفسطاط، وقال الشعبي في العبد الآبق؛ إذا أخذ في الفسطاط: ففيه عشرة دراهم، وإذا أخذ خارج الفسطاط: ففيه أربعون، قال الزمخشري: الفسطاط ضرب من الأبنية في السفر دون السرادق، وبه سميت المدينة، ويقال لمصر، والبصرة: الفسطاط، ومعنى قوله ﷺ: "فإن يد الله على الفسطاط" أن جماعة الإسلام: في كنف الله، ووقايته؛ فأقيموا بينهم، ولا تفارقوهم، قال وفي الحديث: أنه أتى على رجل قطعت يده في سرقة، وهو في فسطاط فقال: من آوى هذا المصاب؟ فقالوا: خزيم بن فاتك فقال: اللَّهُمَّ بارك على آل فاتك، كما آوى هذا المصاب[٦٧].

فعندما يجعل الفسطاط على قبر فهذا يعني:

اجتماع الناس في خيمة، أو سرادق يقرؤن القرآن، ويهدونه للمتوفى، ولعموم أموات المسلمين، وإذا طال الزمن بذلك أياما؛ فهذا يعني: تجهيز الطعام، والشراب، والفراش للمقيمين في الفسطاط؛ ليتسنى لهم المقام، والمبيت؛ حتى يتمكنوا من توزيع قراءة ختمات القرآن، والاجتماع للدعاء له، والتبرك به، وهذا هو ما وقع من الصحابة، والتابعين عند دفن عبد الله بن العباس ﷺ؛ فقد تولى قبره السيد محمد بن الحنفية ﷺ، وأثنى عليه بقوله: مات حبر الأمة، ومات رباني الأمة، وأقام عليه الفسطاط لقراءة ختمات القرآن، والدعاء ثلاثة أيام، وبعده بزمن يسير جعلت على قبره قبة عظيمة.

أما هذه الأيام فقد خرج علينا من ينكر ما فعله الصحابة، والسلف، من ذلك، ويبدعون فاعله، وربما رموه بالشرك، والكفر بفعله، وأفتوا بعدم وصول القرآن إلى الميت، وعدم جواز الاجتماع لقراءته، وإهداء ثوابه له، أما الأكل عنده من أجل ذلك؛ فإنهم يصفونه: بأنه أهل لغير الله به، وفعله محض شرك، وبدعة!

---

[٦٧]) لسان العرب - (ج ٧ / ص ٣٧١).

وقد أتى الإمام البخاري في هذا المحل بجمهرة من الأدلة في هذه المسألة:

[*]اتخاذ الفسطاط على القبور الأيام والسنين:

• أخبرنا مسلم بن إبراهيم، ثنا خالد بن أبي عثمان القرشي، حدثني أيوب بن عبد الله بن بشار، قال: مر عبد الله بن عمر على قبر عبد الرحمن بن أبي بكر أخي عائشة، وعليه فسطاط مضروب؛ فقال للغلام: انزعه فإنما يظله عمله، قال الغلام: يضربني مولاي، قال: كلا فنزعه[٦٨].

• أخبرنا معاذ بن معاذ، ثنا ابن عون، حدثني رجل قال: قدمت أم المؤمنين ذا طوى حين رفعوا أيديهم عن قبر عبد الرحمن بن أبي بكر، قال: ففعلت يومئذ، وتركت فقالت لها امرأة: وإنك لتفعلين مثل هذا يا أم المؤمنين قالت: وما رأيتني فعلت؟ إنه ليس لنا أكباد كأكباد الإبل، قال: ثم أمرت بفسطاط؛ فضرب على القبر، ووكلوا به إنسانا، وارتحلت؛ فقدم ابن عمر؛ فرأى الفساط مضروبا؛ فسأل عنه؛ فحدثوه فقال للرجل: انزعه، قال إنهم وكلوني، قال: انزعه وأخبرهم إنما يظلله عمله[٦٩].

• ولما مات الحسن بن الحسن بن علي ﷺ، ضربت امرأته القبة على قبره سنة، ثم رفعت؛ فسمعوا صائحا يقول: ألا هل وجدوا ما فقدوا؛ فأجابه الآخر؛ بل يئسوا فانقلبوا[٧٠].

• أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي السمسار، أنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني، ثنا الحسين بن إسماعيل المحاملي إملاء، ثنا محمد بن خلف، ثنا محمد ابن حميد، ثنا جرير، عن مغيرة قال: لما مات الحسن بن الحسن ضربت امرأته على قبره فسطاطا؛ فأقامت عليه سنة، ثم انصرفت بعد؛ فسمعوا قائلا يقول: هل وجدوا ما طلبوا؛ فأجابه آخر: بل يئسوا؛ فانقلبوا[٧١].

---

[٦٨]) صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ٤٥٧)، تغليق التعليق على صحيح البخاري - (٢ / ٩٢).

[٦٩]) صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ٤٥٧)، تغليق التعليق على صحيح البخاري - (٢ / ٤٩٤).

[٧٠]) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور صحيح البخاري ـ تح البغا - (١ / ٤٤٦).

[٧١]) تغليق التعليق على صحيح البخاري - (٢ / ٤٨٢).

[*] تأصيل ضرب الفسطاط على القبر:

قلت: ضرب الفسطاط على القبر: عمر بن الخطاب ﷺ؛ فضربه بالبقيع على قبر السيدة زينب بنت جحش ﷺ، على مشهد من أكابر الصحابة ﷺ، وضربه عثمان بن عفان ﷺ: على الحكم بن أبي العاص ﷺ، وضربته عائشة رضى الله عنها على أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ، وضربه سالم بن عبد الله بن عمر ﷺ على عبيد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، وضربته امرأة الحسن بن علي ﷺ على قبره سنة كاملة على مرأى من الصحابة ﷺ، ومن التابعين رحمهم الله، ولم ينكر عليها أحد، وضربه غيرهم كثير، ولم يخالف إلا عبد الله بن عمر ﷺ، وقد سنها أبوه عمر بن الخطاب ﷺ على مرأى منه، ومن أكابر الصحابة، وأخوه سالم ﷺ؛ فكان فعله لا يرد ما جعل سنة بدأها النبي ﷺ من مده ثوبا على قبر سعد ﷺ.

المبحث الخامس
قضية التبرك

إن البركة في اللغة: هي الزيادة والنماء؛ وقد تتعلق البركة بالكمية، وقد تتعلق بالكيفية؛ فمن الأول مثلا: زيادة عدد الأشياء، كما بورك في ذرية أنس بن مالك ﷺ؛ فكان له من ذريته على مشهد عينيه أكثر من مائة، أما إن تعلقت البركة بالكيفية؛ فهي تخص تحول في خصائص مادة الشئ؛ فيكون أكثر تأثيرا في غيره من الأشياء، وربما تتحول به مواد أخرى، لتتكيف بكيفية نورانية علوية، في الأشخاص فيغير الفاسقين إلى صالحين، أو من الكافرين إلى مؤمنين، وقد وقع مثله كثير من النبي ﷺ، ومن غيره كذلك من الصالحين، ومنه قوله تعالى حاكيا عن نبي الله عيسى ﷺ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾؛ فأينما حل حصلت بوجوده بركة فيما حوله: من الأشخاص، أو الأشياء، وقد تكون في مادة الشئ، كما وقع لقميص يوسف ﷺ؛ فكانت فيه كيفية أذهبت عن نبي الله يعقوب العمى فأبصر ﷺ، وفي خصوص ما جاء في مروي الإمام البخاري ﷺ؛ فهو كثير، ومنه قوله:

• حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، أخبرنا ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: إنما سمي الخضر: أنه جلس على فروة بيضاء؛ فإذا هي تهتز من خلفه خضراء (٣٢).

فهنا قد تحولت كيفية الألوان من الأبيض إلى الأخضر، بمجرد جلوسه ﷺ على أي مادة، وإن كانت متكيفة بكيفية أخرى سلبية، أو شيطانية ملعونة؛ فتحل بركته فتغير من المحيط الذي حل به.

فإن الأعيان في عالم الملك والملكوت تتأثر بما حل فيها؛ فلو حل إبليس عليه لعنة الله تعالى؛ فيتحول المحيط الذي حل به، إلى محيط متكيف بكيفية سفلية؛

(٣٢) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٤٨)

ملعونة، غضبية؛ لا يطيقها أصحاب النفوس الطاهرات العلوية؛ فتقع النفرة، ويفر منهما الأضعف؛ كما كانت تفر الشياطين؛ فلا تسلك شعبا يمشي فيه عمر بن الخطاب ﷺ، ولذلك يخشى على أصحاب النفوس العلوية الضعيفة، المكث في محيط ملعون، أو به طاقة روحية سفلية، ومن هنا كان أمر النبي ﷺ بعدم جواز القرب، أو الأكل، أو الشرب من بئر ملعون، أو مقابر المشركين؛ لأنها محل غضب وعذاب؛ فجاء من رواية الإمام البخاري في أن:

[*]البركة وضدها تفعل في الأعيان:

* حدثنا محمد بن مسكين أبو الحسن، حدثنا يحيى بن حسان بن حيان أبو زكرياء، حدثنا سليمان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ لما نزل الحجر في غزوة تبوك: أمرهم أن لا يشربوا من بئرها، ولا يستقوا منها؛ فقالوا: قد عجنا منها، واستقينا؛ فأمرهم أن يطرحوا ذلك العجين، ويهريقوا ذلك الماء .

ويروى عن سبرة بن معبد، وأبي الشموس: أن النبي ﷺ أمر بإلقاء الطعام، وقال أبو ذر: عن النبي ﷺ:" من اعتجن بمائه ([٧٣]) .

* وحدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا أنس بن عياض، عن عبيد الله، عن نافع أن عبد الله بن عمر ﷺ أخبره: أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر؛ فاستقوا من بئرها، واعتجنوا به؛ فأمرهم رسول الله ﷺ: أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر، التي كانت تردها الناقة ([٧٤]).

فيؤخذ من ذلك علم:

[*]تحريم دخول المواضع، أو التعامل مع الأشخاص الخبيثة منزوعي البركة.

[*]قدرة الأشخاص والمواضع المباركة على طرد النفوس الخبيثة:

[٧٣]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٣٦)
[٧٤]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٣٧)

قد يصل من الأماكن المباركة أن تتكيف بكيفية لا تطيق بها النفوس السفلية، وتصير كأن لها حياة وإرادة وقدرة؛ فتطرد بها تلك النفوس الخبيثة، وتجعل النفوس الطيبة الضعيفة تتقوى بها، وترتقي حتى تصل إلى قوتها الروحانية العلوية؛ فتتأثر بتلك المواضع المباركات جميع ما حل فيها من الكائنات: تقريبا وإبعادا، إنعاما من الله وحرمانا، ومن ذلك ما جاء في حق مدينة النبي ﷺ؛ فيما:

* حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله السلمي: أن أعرابيا بايع رسول الله ﷺ على الإسلام؛ فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة؛ فجاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال يا رسول الله: أقلني بيعتي فأبى رسول الله ﷺ، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى، ثم جاءه فقال: أقلني بيعتي فأبى؛ فخرج الأعرابي فقال رسول الله ﷺ: إنما المدينة كالكير، تنفي خبثها، وتنصع طيبها ([٧٥]).

ولذلك كان هنا متحقق :

[*]طلب الأنبياء للبركة مطلقا من خالق المحيطات الكونية، ومنه ما:

* حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة: عن النبي ﷺ قال:" بينما أيوب يغتسل عريانا، خر عليه رجل جراد من ذهب؛ فجعل يحثي في ثوبه؛ فنادى ربه يا أيوب: ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال بلى يا رب، ولكن لا غنى بي عن بركتك ([٧٦]) .

[*] تعلقات البركة:

والبركة تتعلق بالمحال المباركات؛ فلن تنقطع عنها ما فيها من بركتها، لأن البركة ليست من الأعراض التي تفنى؛ بل هي سر ملكوتي خارج عن عالم الملك، ويخص عالم الملكوت، ومن هنا كان مدرك : أن الشخص المبارك لا تنقطع عنه بركته في الحياة، ولا بعد الممات، ومن هنا كان علائق شرعيات التوسل، والتبرك

[٧٥]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٧٠)
[٧٦]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧٢٣)

بالأموات، كما هو متحقق بالأحياء، والأشياء المباركات، ونحن نفصل شيئا من ذلك بما جاء في أتى به الإمام البخاري في صحيحه، أو غيره من كتبه؛ لاعتبار أننا التزمنا أقواله، ومروياته ﷺ؛ فأقول:

التبرك بالأحياء

[*] التبرك بآل بيت النبي ﷺ:

* حدثنا الحسن بن محمد، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي عبد الله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس ﷺ: أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا: استسقى بالعباس بن عبد المطلب؛ فقال اللَّهُمَّ: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون(٧٧).

قلت: وهذا يعني أن آل بيت النبي ﷺ الذين نالوا شرف صحبة النبي ﷺ، فوق شرف الدم الشريف: قد حصلوا على نوع بركة فوق جنس البركة، ولذلك لن يداني بركتهم أحد، ومستحيل أن يقال: أنه يجوز لأحد نيل درجتهم، أو بلوغ مرتبتهم؛ لأن لهم نوع بركة غير متحققة لسواهم- بعد الخلفاء الراشدين الأربعة- ؛ بل وهنا قد توسل الخلفاء بهم، تحقيقا لمعنى علو رتبتهم.

[*] تشريع النبي ﷺ التبرك بصحابته والتابعين، والأئمة:

* حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو قال: سمعت جابر بن عبد الله ﷺ يقول: حدثنا أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس فيقولون: فيكم من صاحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان

(٧٧) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٦٠)

فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم (٧٨).

وهنا الملفت الأنور: أن بركة النبي ﷺ التي تحققت: قد اتصلت بأعيان صحابته، وترشحت منهم بركة أقل منها إلى من اتصل بالصحابة من التابعين، ثم ترشحت منهم بركة تؤثر فيمن اتصل بهم؛ فأنارت وباركت من رأى التابعين، وهم الأئمة المرضيين المباركين، ولذلك كان الحديث:

* حدثنا إسحاق، حدثنا النضر، أخبرنا شعبة، عن أبي جمرة، سمعت زهدم بن مضرب، سمعت عمران بن حصين ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ:" خير أمتي: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم - قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين، أو ثلاثا -؛ ثم إن بعدكم قوما: يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن (٧٩).
* حدثنا آدم حدثنا شعبة، حدثنا أبو جمرة قال: سمعت زهدم بن مضرب قال: سمعت عمران بن حصين ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم " - قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة- قال النبي ﷺ:" إن بعدكم قوما: يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن " (٨٠).
* حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبد الله ﷺ: أن النبي ﷺ قال:

" خير الناس: قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ ثم يجيء قوم: تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته " .

قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة، والعهد، ونحن صغار(٨١).

(٧٨) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٥)
(٧٩) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٥)
(٨٠) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٩٣٨)
(٨١) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٣٥)

التبرك بالأموات

قد سبق في هذا الكتاب ذكر: أن النبي ﷺ قد شد الرحال لقبر نبي الله موسى ﷺ، وما قصده بالزيارة لقبره- وقد رآه يصلي في قبره وهو من علائق بركته- إلا ناويا التبرك، كما ثبت في صحيح الروايات أنه ﷺ توسل بالأنبياء قبله، عندما كان يدفن فاطمة بنت أسد، أم علي بن أبي طالب ﷺ، والباب فيه كثير، قد بسطناه في غير هذا الموضع، أما ونحن بصدد بحثنا فيما جاء عن الإمام البخاري ﷺ؛ فنقول: إنه قد تبرك صحابة النبي ﷺ بآثار خير الخلق ﷺ، إلى الحد المثير لمشاعر الحب للحبيب، الذي به الحياة تطيب؛ فروى:

التبرك بآثار الصالحين بعد الموت

* حدثني أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، حدثنا بريد، عن أبي بردة قال: قدمت المدينة، فلقيني عبد الله بن سلام فقال لي: انطلق إلى المنزل؛ فأسقيك في قدح شرب فيه رسول الله ﷺ، وتصلي في مسجد صلى فيه النبي ﷺ؛ فانطلقت معه، فأسقاني سويقا، وأطعمني تمرا وصليت في مسجده([٨٢]).

وهذا يفيد تأثر القدح الذي شرب منه ﷺ بكيفية نورانية مشتعلة ولا تنتهي، وأن أي عبد شرب منها: نالته بركة وكيفية علوية روحية لا تنقضي، وكذلك الموضع الذي صلى فيه ﷺ!

* حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل، عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: أرسلني أهلي إلى أم سلمة زوج النبي ﷺ، بقدح من ماء، وقبض إسرائيل ثلاث أصابع من قصة فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين، أو شيء: بعث إليها مخضبه؛ فاطلعت في الجلجل؛ فرأيت شعرات حمرا([٨٣]).

[٨٢] صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٧٣)
[٨٣] صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٢١٠).

* حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا سلام، عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلت على أم سلمة؛ فأخرجت إلينا شعرا من شعر النبي ﷺ مخضوبا، وقال لنا أبو نعيم: حدثنا نصير بن أبي الأشعث، عن ابن موهب: أن أم سلمة أرته شعر النبي ﷺ أحمر([٨٤]).

وفي هذه الأحاديث ومثلها مفاد: عدم تحلل ما كان آثار النبي ﷺ، لأن المبارك ملكوتي، وليس إلى عالم الملك ينتمي؛ فلا تجري عليه قوانينه؛ فلن تزال عمامته، وعصاه، ونعله، وشعره: بلا تغيير، وأي من الناس قد صدق بذلك، وتبرك به فهو لا شك: ستناله بركة علوية من ذلك، ربما تكون سببا في سعادته الأبدية؛ لأنه العبد الذي يسعد به ويتحول: من لمسه ودخل شئ من بدنه، في محيط مغناطيسية نورانيته، وجذبات علويته، هذا الذي توسل به الأنبياء قبل خلقه، ويوم القيامة يكون الاستشفاع الأعظم، في يوم الفزع الأعظم؛ فلا يجدون من يغيثهم ببركته سواه ﷺ؛ فطوبى لمن قدر الإله المنعم: أن يمس بشئ من ذاته شيئا من ذاته الزكية؛ فهو لم يك مجرد رسول: أدى رسالة كلف بها، وانتهى أمره؛ بل هو خير من خلق العظيم جل جلاله على الإطلاق، وجعل فيه من البركة ما لم يجعل في سواه؛ حتى توسل به الخلق كلهم، حتى الأنبياء، حتى الرسل، حتى أولي العزم، حتى يوم الموقف المهيب؛ فكان للجميع المبارك الحبيب.

[*] التبرك بثياب الصالحين في القبور:

* حدثنا عبد الله بن مسلمة، حدثنا ابن أبي حازم، عن أبيه سهل رضي الله عنه: " أن امرأة جاءت النبي ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها، أتدرون ما البردة؟ قالوا: الشملة، قال: نعم، قالت نسجتها بيدي؛ فجئت لأكسوكها؛ فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها؛ فخرج إلينا وإنها لإزاره فحسنها فلان؛ فقال: اكسينها ما أحسنها، قال القوم: ما أحسنت لبسها النبي ﷺ محتاجا إليها ثم سألته، وعلمت أنه لا يرد، قال: والله ما سألته لألبسها؛ إنما سألته لتكون كفني، قال سهل: فكانت كفنه " ([٨٥]).

[٨٤] صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٢١٠) باب ما يذكر في الشيب.
[٨٥] صحيح البخاري ١/٤٢٩؛

قلت : وهذا يفيد الجواز الشرعي النبوي ، وانتشار العمل بذلك عند الصحابة الكرام، قلت : وهذا يفيد الجواز الشرعي النبوي ، وانتشار العمل بذلك عند الصحابة الكرام ، كما يفيد حسن التصور لمسألة التبرك ؛ من حيث إنه بمجرد لبس الذوات المباركة الطاهرة ولو مرة واحدة ؛ لتحولت مادة الأشياء من ثياب أو غيرها ، من أوصاف عالم ا لملك إلى أوصاف عالم الملكوت ؛ من جهة الأنوار ، وعدم القابلية للإفناء أو التغيير ، وأن كل ما لامس أو جانس المجال النوارني لها ؛ فقد استفاد من أنوارها وبركاتها، وكذلك الشأن في المسألة الآتية :

[*] التبرك بالمنفصل الطاهر من الصالحين بعد الموت :

- حدثنا مالك بن إسماعيل قال : حدثنا إسرائيل ، عاصم ، عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبي ﷺ ، أصبناه من قبل أنس ؛ فقال : لأن تكون عندي شعرة منه ؛ أحب إلي من الدنيا وما فيها ([86]).
- حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا سلام ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : دخلت على أم سلمة فأخرجت إلينا من شعر النبي ﷺ مخضوبا"، وقال لنا أبو نعيم : حدثنا نصير بن أبي الأشعث ، عن ابن موهب ، أن أم سملة أرته شعر النبي ﷺ أحمر ([87]).
- حدثنا محمد بن عبد الرحيم قال: أخبرنا سعيد بن سليمان قال: حدثنا عباد عن ابن عون ، عن ابن سيرين، عن أنس: " أن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه ؛ كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره " ([88]).

[86]) صحيح البخاري ١/٧٥
[87]) صحيح البخاري ٥/٢٢١٠
[88]) صحيح البخاري ١/ ٧٥

التبرك بالأماكن

[*] تشريع رب العالمين التبرك بوادي طوى:

[*] في قوله تعالى :﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾([89]) ، قال: المبارك ([90]).

وهذا تنصيص من الإمام البخاري ﷺ: على البركة في الأماكن؛ حسب منصوص الكتاب العزيز.

[*] طلب نبي الله موسى الدفن بقرب الأرض المقدسة تبركا:

* حدثنا يحي بن موسى، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة ﷺ قال:" أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكه؛ فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه؛ فقل له: يضع يده على متن ثور؛ فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي رب ثم ماذا ؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة، رمية بحجر"، قال أبو هريرة: فقال رسول الله ﷺ:" لو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق، تحت الكثيب الأحمر "([91]).

[*] تشريع رب العالمين التبرك بوادي العقيق:

* حدثنا سعيد بن الربيع، حدثنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، حدثني عكرمة، عن ابن عباس، أن عمر ﷺ حدثه قال: حدثني النبي ﷺ قال: أتاني الليلة آت من ربي، -وهو بالعقيق- أن صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة وحجة([92]).

[89]) طه /١٣
[90]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٦٢)
[91]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٢٥٠)
[92]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٧٣)

[*] تشريع رب العالمين التبرك بذي الحليفة:

• حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا الفضيل، حدثنا موسى بن عقبة، حدثني سالم بن عبد الله عن أبيه: عن النبي ﷺ: أنه أري وهو في معرسه، بذي الحليفة؛ فقيل له: إنك ببطحاء مباركة(٩٣).

[*] تحري أكابر الصحابة الصلاة في المواضع التي صلى فيها الأنبياء والصالحون، طلبا للبركة التي جعلها الله فيها:

• قال البخاري: باب المساجد، التي على طرق المدينة، والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ:

• حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي قال: حدثنا فضيل بن سليمان قال: حدثنا موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبد الله يتحرى أماكن من الطريق؛ فيصلي فيها، ويحدث أن أباه كان يصلي فيها، وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة(٩٤).

• حدثني نافع، عن ابن عمر: أنه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالما؛ فلا أعلمه إلا وافق نافعا في الأمكنة كلها؛ إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء(٩٥).

• حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا أنس بن عياض قال: حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، أن عبد الله أخبره: أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر، وفي حجته حين حج تحت سمرة، في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزو، كان في تلك الطريق، أو حج، أو عمرة: هبط من بطن واد؛ فإذا ظهر من بطن واد؛ أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعرس حتى يصبح، ليس عند المسجد الذي بحجارة، ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثم خليج يصلي عبد الله عنده، في بطنه كثب كان رسول الله ﷺ ثم يصلي؛ فدحا السيل فيه بالبطحاء؛ حتى دفن ذلك المكان، الذي كان عبد الله يصلي فيه(٩٦).

٩٣) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٧٤)
٩٤) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٢).
٩٥) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٢).
٩٦) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.

• وأن عبد الله حدثه: أن النبي ﷺ صلى حيث المسجد الصغير، الذي دون المسجد الذي بشرف الروحاء، وقد كان عبد الله يعلم المكان الذي كان صلى فيه النبي ﷺ يقول: ثم عن يمينك حين تقوم في المسجد تصلي، وذلك المسجد على حافة الطريق اليمنى، وأنت ذاهب إلى مكة، بينه وبين المسجد الأكبر: رمية بحجر، أو نحو ذلك(٩٧).

• وأن ابن عمر: كان يصلي إلى العرق الذي عند منتصف الروحاء، وذلك العرق انتهاء طرفه على حافة الطريق، دون المسجد الذي بينه وبين المنصرف، وأنت ذاهب إلى مكة، وقد ابتني ثم مسجد؛ فلم يكن عبد الله يصلي في ذلك المسجد، كان يتركه عن يساره، ووراءه، ويصلي أمامه إلى العرق نفسه، وكان عبد الله يروح من الروحاء؛ فلا يصلي الظهر حتى يأتي ذلك المكان فيصلي فيه الظهر، وإذا أقبل من مكة: فإن مر به قبل الصبح بساعة، أو من آخر السحر: عرس حتى يصلي بها الصبح(٩٨).

• وأن عبد الله حدثه: أن النبي ﷺ كان ينزل تحت سرحة ضخمة، دون الرويثة عن يمين الطريق، ووجاه الطريق في مكان بطح سهل، حتى يفضي من أكمة دوين بريد الوريثة بميلين، وقد انكسر أعلاها فانثنى في جوفها، وهي قائمة على ساق، وفي ساقها كثب كثيرة(٩٩).

• وأن عبد الله حدثه: أن النبي ﷺ نزل عند سرحات، عن يسار الطريق في مسيل دون هرشي، ذلك المسيل لاصق بكراع هرشي، بينه وبين الطريق قريب من غلوة، وكان عبد الله يصلي إلى سرحة، هي أقرب السرحات إلى الطريق، وهي أطولهن(١٠٠).

• وأن عبد الله حدثه: أن النبي ﷺ كان ينزل في المسيل الذي في أدنى مر الظهران، قبل المدينة حين يهبط من الصفراوات، ينزل في بطن ذلك المسيل، عن يسار

٩٧) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.
٩٨) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.
٩٩) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.
١٠٠) صحيح البخاري (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.

الطريق وأنت ذاهب إلى مكة، ليس بين منزل رسول الله ﷺ وبين الطريق : إلا رمية بحجر[101].

• وأن عبد الله حدثه : أن النبي ﷺ كان ينزل بذي طوى، ويبيت حتى يصبح يصلي الصبح حين يقدم مكة، ومصلى رسول الله ﷺ ذلك على أكمة غليظة، ليس في المسجد الذي بني ثم، ولكن أسفل من ذلك، على أكمة غليظة[102].

• وأن عبد الله حدثه : أن النبي ﷺ استقبل فرضتي الجبل، الذي بينه وبين الجبل الطويل نحو الكعبة، فجعل المسجد الذي بني ثم يسار المسجد، بطرف الأكمة، ومصلى النبي ﷺ أسفل منه على الأكمة السوداء، تدع من الأكمة عشرة أذرع، أو نحوها، ثم تصلي مستقبل الفرضتين من الجبل الذي بينك وبين الكعبة[103].

(101) صحيح البخاري (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.
(102) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.
(103) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ١٨٣) رقم ٤٧٠.

المبحث السادس
قضية التصريف في الكون

قد امتن الكريم جل شأنه على خصوص عباده ذوي الرتب الفضلى في دينهم: بعدم انقطاع عملهم في الدنيا؛ فجعل لهم إمكان الحضور بالأرواح، واستطاعة مساعدة عباده الذين يستغيثون به تعالى، ويوقفون حياتهم عليه؛ فينفقون ساعاتهم في مرضاته جل شأنه، وهم في هذا التمكين من رب العالمين درجات؛ فأعلاها الأنبياء، ويليهم الأولياء، ثم الشهداء، ثم أفاضل الصالحين، وفي القضية بيان واسع، وتفصيل ماتع، ولكننا هنا مقتصرون على بيان، وتفصيل ما جاء في صحيح الإمام البخاري:

[*] من تصريف الأنبياء في الكون: عند احتياج الطعام:

• حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع؛ فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم؛ فأخرجت أقراصا من شعير، ثم أخرجت خمارا لها؛ فلفت الخبز ببعضه، ثم دسته تحت يدي ولاثتني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس، فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: آرسلك أبو طلحة؛ فقلت: نعم، قال: بطعام؟ قلت: نعم؛ فقال رسول الله ﷺ لمن معه: قوموا؛ فانطلق وانطلقت بين أيديهم؛ حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم؛ فقالت: الله ورسوله أعلم؛ فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأقبل رسول الله ﷺ، وأبو طلحة معه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هلمي يا أم سليم ما عندك؟ فأتت بذلك الخبز؛ فأمر به رسول الله ﷺ ففت، وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء أن يقول،

ثم قال: ائذن لعشرة؛ فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة؛ فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: ائذن لعشرة؛ فأكل القوم كلهم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا ([104]).

[*] من تصرف الصحابة والصالحين في الكون:

[*] بركة الصحابة الكرام في الكون عند احتياج الطعام:

* حدثنا أبو موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر، عن أبيه، حدثنا أبو عثمان، أنه حدثه عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ: أن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء، وأن النبي ﷺ قال مرة: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس أو سادس، -أو كما قال- وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق النبي ﷺ بعشرة، وأبو بكر وثلاثة، قال: فهو أنا وأبي وأمي، ولا أدري هل قال: امرأتي وخادمي بين بيتنا وبين بيت أبي بكر، وأن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ، ثم لبث حتى صلى العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجاء بعد ما أمضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك أو ضيفك ؟ قال: أو ما عشيتهم ؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا عليهم فغلبوهم؛ فذهبت فاختبأت فقال: يا غنثر فجدع وسب، وقال: كلوا، وقال: لا أطعمه أبدا، قال: وايم الله ما كنا نأخذ من اللقمة؛ إلا ربا من أسفلها أكثر منها، حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل؛ فنظر أبو بكر فإذا شيء أو أكثر، قال لامرأته: يا أخت بني فراس، قالت: لا وقرة عيني؛ لهي الآن أكثر مما قبل بثلاث مرات؛ فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان الشيطان يعني يمنيه، ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عهد فمضى الأجل؛ فتفرقنا اثنا عشر رجلا مع كل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل؛ غير أنه بعث معهم قال: أكلوا منها أجمعون ([105]).

[104]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١١)

[105]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٢)

[*] تصرفهم الصالحين في الكون: بإنارة ظلام الليل بالمصابيح غير الأرضية:

* ثنا محمد بن المثنى، ثنا معاذ، حدثني أبي عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن رجلين من أصحاب النبي ﷺ خرجا من عند النبي ﷺ ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله([106]).

وقال عبد الرزاق: أنا معمر، عن ثابت، عن أنس: أن أسيد بن حضير الأنصاري، ورجلا آخر([107]) من الأنصار، تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما حتى ذهب من الليل ساعة، وهي ليلة شديدة الظلمة، حتى خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان، وبيد كل واحد منهما عصية، فأضاءت عصى أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه ؛ حتى مشى في ضوئها ، حتى أتى كل منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله([108]).

وقد علقه البخاري فقال: وقال معمر فذكره، وعلقه البخاري أيضا، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن عباد بن بشر، وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ، فذكر مثله([109]).

* حديث آخر قال البخاري في التاريخ: حدثني أحمد بن الحجاج، ثنا سفيان بن حمزة، عن كثير بن زيد([110]) عن محمد بن حمزة بن عمرو الاسلمي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فتفرقنا في ليلة ظلماء دهمسة، فأضاءت أصابعي حتى جمعوا

[106]) أخرجه البخاري في المناقب - علامات النبوة في الإسلام حديث ٣٦٣٩ فتح الباري ٦ / ٦٣٢، البداية والنهاية - (٦ / ١٦٨).

[107]) هو عباد بن بشر - هكذا ذكره في المستدرك.

[108]) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣ / ٢٨٨ وقال:"صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"ونقله السيوطي في الخصائص ٢ / ٨٠ وعزاه لابن سعد والحاكم والبيهقي وأبي نعيم.ورواه أبو نعيم في الدلائل ص (٤٩٢).

[109]) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار حديث (٣٨٠٥)، والبيهقي في الدلائل ج ٦ / ٧٨.

[110]) من البخاري والبيهقي، وفي الأصل يزيد، وهو كثير بن زيد الاسلمي، أبو محمد المدني، ابن مافنة صدوق يخطئ من السابعة مات في آخر خلافة المنصور.والخبر في دلائل البيهقي ٦ / ٧٩ ودلائل أبي نعيم ص (٤٩٤) ونقله السيوطي في الخصائص (٢ / ٨١).

عليها ظهرهم، وما هلك منهم، وإن أصابعي لتنير. ورواه البيهقي من حديث إبراهيم بن المنذر الحزامي ، عن سفيان بن حمزة. ورواه الطبراني : من حديث إبراهيم بن حمزة الزهري ، عن سفيان بن حمزة به.

[*] تصرف الصالحين في الكون: بتسخير البحار:

* قال أبو عبد الله، وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمن بن هرمز، عن أبي هريرة ﷺ: عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعضهم بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار؛ فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم؛ فقال: كفى بالله شهيدا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت؛ فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله؛ فلم يجد مركبا؛ فأخذ خشبة فنقرها؛ فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها ثم أتى بها إلى البحر فقال: اللَّهُمَّ إنك تعلم أني كنت تسلفت فلانا ألف دينار؛ فسألني كفيلا فقلت: كفى بالله كفيلا؛ فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت: كفى بالله شهيدا فرضي بك، وأني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده؛ فخرج الرجل الذي أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله؛ فإذا بالخشبة التي فيها المال؛ فأخذها لأهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه؛ فأتى بالألف دينار فقال: والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبا قبل الذي أتيت فيه، قال: هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة؛ فانصرف بالألف دينار راشدا(١١١).

---

١١١) صحيح البخاري - (ج ٢ / ص ٨٠١)

[*] كانت أسماعهم خارقة يسمعون الجمادات حتى تسبيح الطعام :

* حدثني محمد بن المثنى، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا؛ كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال: اطلبوا فضلة من ماء؛ فجاؤوا بإناء فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله؛ فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل (١١٢).

[*] من تصرف الأنبياء في الكون عند الأزمات الخاصة:

* حدثنا أبو نعيم، حدثنا زكرياء قال: حدثني عامر قال: حدثني جابر ﷺ: أن أباه توفي وعليه دين فأتيت النبي ﷺ فقلت: إن أبي ترك عليه دينا، وليس عندي إلا ما يخرج نخله، ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه؛ فانطلق معي لكي لا يفحش علي الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا، ثم آخر، ثم جلس عليه فقال: انزعوه؛ فأوفاهم الذي لهم وبقي مثل ما أعطاهم (١١٣).

[*] من تصريف الأنبياء في الكون عند الأزمات العامة: كالعطش والاحتياج للشرب:

[*] من تصرفهم عليهم السلام في ماء السماء:

* حدثنا مسدد، حدثنا حماد، عن عبد العزيز، عن أنس، وعن يونس، عن ثابت، عن أنس ﷺ قال: أصاب أهل المدينة قحط على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فبينا هو يخطب يوم جمعة؛ إذ قام رجل فقال: يا رسول الله هلكت الكراع، هلكت الشاء؛ فادع الله يسقينا؛ فمد يديه ودعا، قال أنس: وإن السماء لمثل الزجاجة؛ فهاجت ريح أنشأت سحابا، ثم اجتمع ثم أرسلت السماء عزاليها؛ فخرجنا نخوض

---

١١٢) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٢)
١١٣) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٢)

الماء حتى أتينا منازلنا؛ فلم نزل نمطر إلى الجمعة الأخرى؛ فقام إليه ذلك الرجل أو غيره فقال: يا رسول الله تهدمت البيوت؛ فادع الله يحبسه؛ فتبسم ثم قال: حوالينا ولا علينا؛ فنظرت إلى السحاب تصدع حول المدينة، كأنه إكليل ([115]).

[*] من تصرفهم في مياه الآبار:

• حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء ﷺ قال: كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبي ﷺ على شفير البئر؛ فدعا بماء، فمضمض ومج في البئر؛ فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا وروت، أو صدرت ركائبنا ([116]).

[*] من تصرفهم عليهم السلام في الماء القليل فيكثروه:

• حدثنا أبو الوليد، حدثنا سلم بن زرير، سمعت أبا رجاء قال: حدثنا عمران بن حصين: أنهم كانوا مع النبي ﷺ في مسير؛ فأدلجوا ليلتهم حتى إذا كان وجه الصبح عرسوا، فغلبتهم أعينهم حتى ارتفعت الشمس، فكان أول من استيقظ من منامه أبو بكر، وكان لا يوقظ رسول الله ﷺ من منامه حتى يستيقظ، فاستيقظ عمر؛ فقعد أبو بكر عند رأسه، فجعل يكبر ويرفع صوته، حتى استيقظ النبي ﷺ، فنزل وصلى بنا الغداة؛ فاعتزل رجل من القوم لم يصل معنا؛ فلما انصرف قال: يا فلان ما يمنعك أن تصلي معنا، قال أصابتني جنابة؛ فأمره أن يتيمم بالصعيد ثم صلى، وجعلني رسول الله ﷺ في ركوب بين يديه، وقد عطشنا عطشا شديدا؛ فبينما نحن نسير إذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فقلنا لها أين الماء؟ فقالت: إنه لا ماء؛ فقلنا كم بين أهلك وبين الماء؟ قالت: يوم وليلة؛ فقلنا: انطلقي إلى رسول الله ﷺ، قالت: وما رسول الله ؟ فلم نكلمها من أمره حتى استقبلنا بها النبي صلى الله عليه وسلم؛ فحدثته بمثل الذي حدثتنا غير أنها

[115]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٣)
[116]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١١)

حدثته أنها مؤتمة؛ فأمر بمزادتيها فمسح في العزلاوين؛ فشربنا عطاشا أربعين رجلا حتى روينا؛ فملأنا كل قربة معنا وإداوة؛ غير أنه لم نسق بعيرا وهي تكاد تنض من الملء، ثم قال: هاتوا ما عندكم؛ فجمع لها من الكسر والتمر حتى أتت أهلها، قالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا؛ فهدى الله ذلك الصرم بتلك المرأة؛ فأسلمت وأسلموا ([117]).

• حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد العزيز بن مسلم، حدثنا حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ؛ فجهش الناس نحوه فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك؛ فوضع يده في الركوة؛ فجعل الماء يثور بين أصابعه، كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا؛ كنا خمس عشرة مائة ([118]).

• حدثنا عبد الله بن منير، سمع يزيد، أخبرنا حميد، عن أنس ﷺ قال: حضرت الصلاة فقام من كان قريب الدار من المسجد فتوضأ، وبقي قوم؛ فأتي النبي ﷺ بمخضب من حجارة فيه ماء؛ فوضع كفه فصغر المخضب أن يبسط فيه كفه؛ فضم أصابعه فوضعها في المخضب؛ فتوضأ القوم كلهم جميعا، قلت: كم كانوا ؟ قال ثمانون رجلا ([119]).

[*] من تصرفهم عليهم السلام في الكون عند انقطاع أسباب ومصادر المياه:

• حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتمس الوضوء فلم يجدوه؛ فأتي رسول الله ﷺ بوضوء؛ فوضع رسول الله ﷺ يده في ذلك

[117]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٠٨)
[118]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٠)
[119]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٠)

الإناء، فأمر الناس أن يتوضؤوا منه؛ فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه؛ فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم([119]).

• حدثنا عبد الرحمن بن مبارك، حدثنا حزم قال: سمعت الحسن قال: حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال: خرج النبي ﷺ في بعض مخارجه، ومعه ناس من أصحابه فانطلقوا يسيرون؛ فحضرت الصلاة فلم يجدوا ماء يتوضؤون؛ فانطلق رجل من القوم؛ فجاء بقدح من ماء يسير؛ فأخذه النبي ﷺ فتوضأ؛ ثم مد أصابعه الأربع على القدح، ثم قال: قوموا فتوضؤوا؛ فتوضأ القوم حتى بلغوا فيما يريدون من الوضوء، وكانوا سبعين أو نحوه ([120]).

• حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس ﷺ قال: أتي النبي ﷺ بإناء وهو بالزوراء؛ فوضع يده في الإناء؛ فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال قتادة: قلت لأنس: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائة، أو زهاء ثلاثمائة ([121]).

[*] بيد الأنبياء والصالحين الموت والحياة :

• حدثنا محمد، حدثنا عبد الوهاب الثقفي، حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة، عن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابي يعوده فقال: لا بأس عليك طهور إن شاء الله، قال: قال الأعرابي طهور؟ بل هي حمى تفور على شيخ كبير تزيره القبور قال النبي ﷺ فنعم إذا "([122]).

وفي هذه الحادثة يتضح عقاب النبي ﷺ لمن لم يرض ببشارته ﷺ وهي نوع من التصرف في الكون بإرساء ما أراده فيه، تفضلا من الكريم جل وعلى؛ فكان من هذا الرجل عدم التصديق، واستبعاد الشفاء، رغم إخبار الصادق المصدوق؛ فكان من

[119]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٠)
[120]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٠)
[121]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٠٩)
[122]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٧)

النبي ﷺ تغيير البشارة النبوية الصادقة؛ بنذارة ساحقة، وهذا من جنس التصريف في الكون حسب ما يشاء ، من باب قوله تعالى:﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾وهي للملائكة وللنبي ﷺ من باب أولى فهو أفضل منهم بيقين، والاجماع على ذلك منعقد، كما أن القاعدة عند السلف وأهل السنة مستقرة؛بأن من كان معجزة لنبي: جاز كرامة لولي، والحمد لله العلي.

[*] تأثيرهم في جميع ذرات الكون وبسط سلطان عبيرهم عليه:

• حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد الواحد بن أيمن قال: سمعت أبي عن جابر بن عبد الله ﷺ: أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا ؟ قال: إن شئتم؛ فجعلوا له منبرا، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر؛ فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ؛ فضمها إليه تئن أنين الصبي الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها ([123]).

• حدثنا إسماعيل قال: حدثني أخي، عن سليمان بن بلال، عن يحي بن سعيد قال: أخبرني حفص بن عبيد الله بن أنس بن مالك، أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يقول: كان المسجد مسقوفا على جذوع من نخل؛ فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها؛ فلما صنع له المنبر، وكان عليه فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار؛ حتى جاء النبي ﷺ، فوضع يده عليها؛ فسكنت ([124]).

• حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا يحي بن كثير أبو غسان، حدثنا أبو حفص -واسمه عمر بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء- قال: سمعت نافعا، عن ابن عمر ﷺ: " كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه؛ فحن الجذع؛ فأتاه يمسح يده عليه "

[123]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٤)
[124]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٤)

وقال عبد الحميد، أخبرنا عثمان بن عمر، أخبرنا معاذ بن العلاء عن نافع بهذا، ورواه أبو عاصم، عن ابن أبي رواد، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ ([١٢٥]).

[•] في تصرف الأنبياء بعد الموت :

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، وهشام قالا: حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلا بين الرجلين - ، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا؛ فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار - البراق - ؛ فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي؛ فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فأتينا السماء السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على يوسف فسلمت عليه قال: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحبا من أخ ونبي؛ فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من

[١٢٥]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣١٣)

معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على موسى، فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فلما جاوزت بكى؛ فقيل: ما أبكاك؟ قال يا رب: هذا الغلام الذي بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي؛ فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبا به ونعم المجيء جاء؛ فأتيت على إبراهيم، فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي؛ فرفع لي البيت المعمور؛ فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم: سبعون ألف ملك؛ إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى؛ فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران؛ فسألت جبريل فقال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما الظاهران: النيل، والفرات؛ ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق؛ فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته؛ فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله؛ فجعل عشرين، ثم مثله؛ فجعل عشرا؛ فأتيت موسى فقال: مثله؛ فجعلها خمسا؛ فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسة، فقال: مثله، قلت: سلمت بخير؛ فنودي: إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشرا "([١٢٦]).

وجه الدلالة:

قلت: قد اتضح بهذا الحديث وشبهه في رحلة الإسراء:

أن الأنبياء قد اجتمعوا للصلاة خلف النبي في المسجد الأقصى، وهذا يفيد:

أن الصالحين من الأموات يتمكنون من الإتيان إلى الأرض، ودخول المساجد وما شاءوا من الأماكن لإقامة أمر الله، وهو دليل شريف على:

[١٢٦]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٧٣)

[*]عدم انقطاع عمل الصالحين بالموت؛ بل لهم استطاعة فعل التقرب إلى الله بالعبادات ، وفي أي مكان في الأرض، أو السماوات.

كما تفيد مثل هذه الروايات الصحيحة: تواجد هذه الأرواح في أكثر من مكان، من السماوات والأرض، وفي وقت واحد، والشاهد هناك تواجد الأنبياء في قبورهم يصلون، كما في رواية صلاة موسى عليه السلام في قبره عند الكثيب الأحمر، ثم صلاته مع الأنبياء في المسجد الأقصى، ثم تواجده في السماء السادسة، كما أن هناك من الأنبياء في بقية السماوات، كما هو معلوم من هذه الرواية وغيرها، وهو شئ من عالم المثال الذي قد أفردنا له بحثا يسيرا بعد عدة صفحات.

كما تفيد هذه الرواية: أنه لولا عناية الله الرحيم، وتدخل وتصرف نبي الله موسى عليه السلام؛ لكان عموم الأمة المسلمة في حالة من المعاناة؛ بسبب كثرة تكاليف إقامة الصلوات إلى خمسين صلاة؛ فيعلم من ذلك:

[*] أن تصرف نبي الله موسى عليه السلام بعد موته كان رحمة بأمة الاسلام في تخفيف الصلاة.

المبحث السابع
فقهيات التصوف

[*] تجويز الشرع لإطلاق قول: سيدنا، على آحاد الصالحين:

- حدثنا أبو نعيم، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن محمد بن المنكدر، أخبرنا جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان عمر يقول: أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا؛ يعني بلالا ([٣٧]).
- حدثنا محمد بن عرعرة، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن أناسا نزلوا على حكم سعد بن معاذ فأرسل إليه؛ فجاء على حمار، فلما بلغ قريبا من المسجد قال النبي ﷺ: قوموا إلى خيركم أو سيدكم، فقال يا سعد: إن هؤلاء نزلوا على حكمك؛ قال فإني أحكم فيهم: أن تقاتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، قال: حكمت بحكم الله، أو بحكم الملك([٣٨]).

[*]قراءة سورة الإخلاص في ختم كل صلاة ومحبة الله لذلك :

- حدثنا محمد، حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، حدثنا عمرو، عن ابن أبي هلال، أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه، عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن- وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ، عن عائشة : أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاته، فيختم ب ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها؛ فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه"([٣٩]).

---

[٣٧]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧١)
[٣٨]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٨٤)
[٣٩]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٨٦)

[*]جواز البيعة على صالح الأعمال:

أنكر بعض الناس على الصوفية البيعة على أعمال الصلاح، من خلال برنامج تربوي على طريق التصوف، وقد روى الإمام البخاري عددا من الروايات المجيزة للبيعة المنفصلة عن بيعة الإسلام، والموصولة بها: تخبر عن وقوعها حتى من النبي ﷺ للصحابة على أعمال الصلاح والبر، ومن ذلك ما رواه الإمام أبو عبد الله البخاري فقال:

• حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا عمرو بن يحيى، عن عباد ابن تميم، عن عبد الله بن زيد ﷺ قال: لما كان زمن الحرة أتاه آت؛ فقال له: إن ابن حنظلة يبايع الناس على الموت؛ فقال: لا أبايع على هذا أحدا بعد رسول الله ﷺ ([130]).

• حدثنا المكي بن إبراهيم، حدثنا يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة ﷺ قال: بايعت النبي ﷺ، ثم عدلت إلى ظل الشجرة؛ فلما خف الناس قال: يا ابن الأكوع ألا تبايع، قال: قلت: قد بايعت يا رسول الله، قال: وأيضا؛ فبايعته الثانية؛ فقلت له: يا أبا مسلم على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ؟ على الموت([131]).

وكذلك حتى في الروايات التي أتت مخبرة عن بيعة الإسلام، لم تخلو عن البيعة على الأعمال، فقد روى الإمام البخاري فقال:

• حدثنا عبد الله المسندي، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن أبي إدريس، عن عبادة بن الصامت قال: بايعت رسول الله ﷺ في رهط فقال: أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف؛ فمن وفى منكم: فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا: فأخذ به في الدنيا؛ فهو له كفارة وطهور، ومن ستره الله: فذلك إلى الله؛ إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له "([132]).

[130]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٠٨١)
[131]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٠٨١)
[132]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٦)

[*]إسلام أبوي النبي ﷺ :

[*]في قوله تعالى :﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾([133]) ، قال: المصلين([134]).

وجه الدلالة :

قلت: تأتي هنا مسألة من مسائل الخلاف بين السادة الصوفية وجلهم أهل سنة، وبين غيرهم الذين يزايدون على أن عبد الله أبا النبي ﷺ كان كافرا، ويقيموا الدنيا، ويقعدوها، ولا أدري أي شئ يتكسبونه من وراء الإصرار، والصراخ والعويل بهذا الأمر، وأي شئ يربحونه بقولهم هذا؟ وممن؟ وأي شئ سيخسرونه إن قالوا بأن أبا النبي ﷺ كان مسلما؟

ومع ذلك فلو سلمنا لهم عدم ذلك فانظر إلى قضية الظاهر من هذه الآية:

فيقال أن الفهم المتبادر إلى آحادكم أن الله تعالى شأنه يخبر عن تقلب النبي ﷺ في الساجدين؛ أي أن النبي عز قدره كان من شأنه أنه يرى يتقلب، ويتحول في تقلبه من حيز إلى حيز بين المصلين؛ أفهل هذا ما تريدون قوله واعتقاده ؟

ثم لننظر إلى احتمال كون المراد هو أن الخطاب غير متعلق بالنبي ﷺ؛ فيقال:

إن كان الخطاب متوجها إلى العموم من المؤمنين؛ فهل يجوز عندكم أن يكون المراد هو تقلب العباد في أثناء الصلاة يمنة ويسرة؛ فيذهبون في المسجد بهيئة المطروح المتقلب من ركن إلى ركن؟ وأي معنى للصفوف عندئذ؟ والصفوف منصوص عليها في السنة المطهرة؛ فأي مراد يمكن علمه من ذلك؟

ونحن نعلم أنهم لن يقولوا بذلك فلم يصل بهم الأمر إلى هذا الحد المزري .

وإذا أردنا أن نأتي لهم بأبسط ما يكون من معاني هذا النص المحتمل لها؛ فنقول أنه يحتمل كون المراد أن يقصد انتقال نسمة المصطفى صلوات ربي الأعاظم، وسلاماته الفخام عليه تترى وتتوالى: لا زالت تتقلب في ظهور المسلمين؛ من أب إلى

[133]) الشعراء / ٢١٩
[134]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٨٥)

أب، جيلا بعد جيل؛ حتى أتت في ظهر سيدنا عبد الله والده ﷺ؛ فيفهم من ذلك أن والده ﷺ مسلم مصلي، وهذا أقل تقدير لفهم النص، ومع ذلك لم تقولوا به مع أن المفسرين لم ينصوا إلا على ذلك؛ فأي معنى لإنكارهم إسلام سيدنا عبد الله والد النبي ﷺ؟

أما شيخ الإسلام البخاري الإمام فقد قرر بهذه الرواية:

أن والد النبي الأعظم ﷺ لم يك فقط مسلما؛ بل كان نبيا بنص القرآن، وقد ذكرت بأدلته بآثار صحيحة تفصيلا عن ترجمان القرآن في كتابي/ الأساس اعتقاد ابن عباس.

فأين الإنصاف يا مدعي الالتزام بالسنة، وعدم الطعن في الصحابة والأئمة؟

بل وما هو سر عدوانكم على آل النبي ﷺ، حتى نلتم حتى من أبيه، وبماذا ينفعكم؟ وإياكم كذلك أن تفهموا أننا شيعة حسب تسارع ظلام أفهامكم؛ فإننا ولله الحمد نقف أمام الشيعة موقف العداء؛ فقد سبوا الله، ورسوله، وصحابته والأئمة المتبوعين؛ فاتهمناهم بالكفر لذلك كما نحاول أن نبين لكم أن قد وقعتم عن جهل فيما وقعوا فيه بل أسوأ؛ فاتقوا الله وارجعوا إلى ما كان عليه السلف الصالح الذين لهم عن الهوى عظيم الكابح .

لا خوف على عموم أمة النبي ﷺ من الوقوع في الشرك الأكبر، إلى يوم القيامة؛ قسما بالله من خير خلق الله ، روى البخاري الإمام ذلك فقال :

- حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر: أن النبي ﷺ خرج يوما، فصلى على أهل أحد، صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها(١٣٥).

١٣٥) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤٥١)

قلت: قد تعالت صيحات بعض الناس، ممن ابتعدوا عن التحقيق الأكاديمي، والتدقيق الشرعي؛ فقالوا: إن الشرك قد اكتسح أمة النبي ﷺ، وإن عبادة أصحاب القبور قد انتشرت، وأنهم أشد شركا وكفرا من مشركي العرب، زمان بعثة النبي ﷺ!!!

وفي هذا الصدد يكون لديهم من المأخذ أفسده، ومن الجهل والضياع للدين أشده؛ حيث إن الحديث في صحيح البخاري، وفيه قسم النبي ﷺ وإخباره بعدم وقوع الشرك الأكبر، في أمته المعصومة في مجملها، والتي لن تجتمع على ضلالة.

ألم يك هناك داع لخوفه ﷺ على أمته من الخوف؟

أم أن الشرك لن يقع، وأن وجوده فقط في أذهان المتعالمين، ومشرعوا أمة الإسلام في العصر الحديث؟؟؟

وأن التبرك والتوسل بالأنبياء وعباد الله الصالحين بعد موتهم: هو فعل النبي ﷺ، وصحابته الكرام، وأئمة دينه العظام، على نحو ما بينا في هذا الكتاب وغيره(١٣٦)، وأن هذا ليس بشرك؛ وإلا كان الأنبياء مشركين، وكذا كل الأمة، ويكون وعده المقسوم عليه هنا في هذه الرواية: محض كذب، ولا مجال لتحققه؛ لأن أعلم الناس مطلقا، حتى على الأنبياء قد قرروا بطلان ذلك، وحكموا بأن وجود مشاهد لقبور الصالحين: ذريعة للشرك، والواجب منعها؛ فكان بذلك أهدى من المرسلين سبيلا، وتشريعهم أعلى من دين الله تشريعا!!!

[*]عالم المثال:

هو عالم روحاني وملائكي كبير، موصوف بالسمو والرفعة، وهو واسطة بين عالم الملك والملكوت، وفي الروايات التي أتى بها الإمام البخاري ؓ في صحيحه قضاء ببعض علوم هذا العالم، ومن ذلك قدرة الملائكة على التشكل بأكثر من صورة، وفي أكثر من مكان، وهي صور تخالف حقيقة ماهيتها، فتشكل جبريل ؑ في

١٣٦) انظر كتابنا/ حكم الصحابة العلية على القبور والصوفية

صورة رجل: تخالف حقيقة ماهيته ﷺ التي رآها؛ قد سد ما بين الأفق، وقد أغمى على النبي ﷺ عندما رآها، فقد روى البخاري:

• حدثني محمد بن يوسف، حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكرياء بن أبي زائدة، عن ابن الأشوع، عن الشعبي، عن مسروق قال: قلت لعائشة ﷺ فأين قوله: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قالت: ذاك جبريل، كان يأتيه في صورة الرجل، وإن أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الأفق ([137]).

• حدثنا فروة، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﷺ: أن الحارث بن هشام سأل النبي ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ قال: كل ذاك يأتي الملك: أحيانا في مثل صلصلة الجرس، فيفصم عني وقد وعيت ما قال، وهو أشده علي، ويتمثل لي الملك أحيانا رجلا؛ فيكلمني فأعي ما أقول" ([138]).

• حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول الله: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر؛ قال يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله، ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال يا رسول: الله ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإن لم تكن تراه: فإنه يراك، قال يا رسول الله: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها؛ فذاك من أشرطها، وإذا كان الحفاة العراة: رؤوس الناس؛ فذاك من أشراطها؛ في خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾، ثم انصرف الرجل فقال:

[137]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٨١)
[138]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٧٦)

ردوا علي، فأخذوا ليردوا؛ فلم يروا شيئا؛ فقال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم ([139]).

• حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين ﷺ، أن الحارث بن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا؛ فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة ﷺ: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي، في اليوم الشديد البرد؛ فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا"([140]).

وكذلك يقع هذا الأمر للأنبياء والصالحين من عباد الله تعالى، ومن ذلك ما وقع من نبي الله موسى ﷺ، أثناء رحلة الإسراء؛ فقد رآه النبي ﷺ قائما يصلي في قبره، ثم رآه وصلى خلفه مأموما مع الأنبياء كلهم في المسجد الأقصى، ثم في رحلة المعراج وجده في السماء، وكان بينهما الحوار الذي لا يغفله أحد من أمة المصطفى ﷺ؛ فكان من روحه الزكية النورانية التواجد في أكثر من مكان في نفس الآن، ويفعل في كل مكان أمورا تخص ذاك المكان، وتختلف عما يقوم به في الأماكن الأخرى؛ فكان هذا من شأن عالم المثال؛ فقد روى الإمام البخاري:

حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا همام، عن قتادة، وقال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، وهشام قالا: حدثنا قتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة ﷺ قال: قال النبي ﷺ بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر يعني رجلا بين الرجلين - ، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا؛ فشق من النحر إلى مراق البطن، ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملئ حكمة وإيمانا، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار – البراق - ؛ فانطلقت مع جبريل حتى أتينا

[139]) صحيح البخاري - (ج ٤ / ص ١٧٩٣)
[140]) صحيح البخاري - (ج ١ / ص ٤)

السماء الدنيا، قيل من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على آدم فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي؛ فأتينا السماء الثانية، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: من معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على عيسى ويحيى فقالا: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فأتينا السماء الثالثة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على يوسف فسلمت عليه قال: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فأتينا السماء الرابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ قيل: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على إدريس فسلمت عليه فقال: مرحبا من أخ ونبي؛ فأتينا السماء الخامسة، قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتينا على هارون فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فأتينا على السماء السادسة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد ﷺ، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبا به ولنعم المجيء جاء؛ فأتيت على موسى، فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من أخ ونبي؛ فلما جاوزت بكى؛ فقيل: ما أبكاك؟ قال يا رب: هذا الغلام الذي بعث بعدي، يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي؛ فأتينا السماء السابعة، قيل: من هذا؟ قيل: جبريل، قيل: من معك؟ قيل: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ مرحبا به ونعم المجيء جاء؛ فأتيت على إبراهيم، فسلمت عليه فقال: مرحبا بك من ابن ونبي؛ فرفع لي البيت المعمور؛ فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور، يصلي فيه كل يوم: سبعون ألف ملك؛ إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم، ورفعت لي سدرة المنتهى؛ فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول، في أصلها أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران؛ فسألت جبريل فقال: أما الباطنان: ففي الجنة، وأما

الظاهران: النيل، والفرات؛ ثم فرضت علي خمسون صلاة، فأقبلت حتى جئت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: فرضت علي خمسون صلاة، قال: أنا أعلم بالناس منك، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، وإن أمتك لا تطيق؛ فارجع إلى ربك فسله، فرجعت فسألته؛ فجعلها أربعين، ثم مثله، ثم ثلاثين، ثم مثله؛ فجعل عشرين، ثم مثله؛ فجعل عشرا؛ فأتيت موسى فقال: مثله؛ فجعلها خمسا؛ فأتيت موسى فقال: ما صنعت؟ قلت: جعلها خمسة، فقال: مثله، قلت: سلمت بخير؛ فنودي: إني قد أمضيت فريضتي، وخففت عن عبادي، وأجزي الحسنة عشرا "([1]).

دليل الحضرة والذكر الجماعي:

- حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، سمعت أبا صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ:" يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ فإن ذكرني في نفسه: ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ: ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبرا: تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا: تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة "([2]) .
- حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر؛ فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قال:تقول: يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك ، قال: فيقول: هل رأوني ؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك، قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا، قال:

[1]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٧٣)

[2]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٦٩٤)

يقول: فما يسألونني؟ قال: يسألونك الجنة، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها؛ كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم؛ إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم ([143]).

تحقق تحصيل النبي ﷺ وصحابته الكرام لعلم الغيب:

ظن بعض راغبي الالتزام بشريعة الله العظيم: أن علم الغيب لا يطلع عليه أحد من عباد الله تعالى، ولو كان من الأنبياء؛ اعتمادا على ظواهر بعض الآيات، ولا يدري - مع صدق نيته، ولكن مع عدم توافر ما يجب تحصيله من العلم- أن ما ظنه عاما هو مخصوص، من حيث إن الكلام يتعلق بما كان يخص الغيب المطلق المتعلق برب العالمين وحده تعالى، أما الغيب النسبي فهو ما فيه الكلام، وهو يتعلق بما هو مسطور في اللوح المحفوظ، أو في أم الكتاب، وندلل على صحة التوجيه للقضية من خلال متكاثر ما رواه الإمام البخاري ﷺ في هذا الصدد؛ فقال:

• حدثنا موسى بن مسعود، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل عن حذيفة ﷺ قال: لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة، ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله؛ إن كنت لأرى الشيء قد نسيت؛ فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه([144]).

[143]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٥٣)
[144]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٣٥)

• روى عيسى، عن رقبة، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: سمعت عمر رضي الله عنه يقول : قام فينا النبي ﷺ مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق؛ حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم؛ حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه ([145]).

• حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عمرو بن يحي بن سعيد بن عمرو بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: كنت جالسا مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعت الصادق المصدوق يقول: هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش؛ فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة؛ فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول بني فلان، وبني فلان لفعلت ؛ فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشأم، فإذا رآهم غلمانا أحداثا قال: لنا عسى هؤلاء أن يكونوا منهم ؟ قلنا أنت أعلم ([146]).

• حدثنا معاذ بن فضالة، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس ﷺ قال: سألوا النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة؛ فصعد النبي ﷺ ذات يوم المنبر فقال: لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم؛ فجعلت أنظر يمينا وشمالا؛ فإذا كل رجل رأسه في ثوبه يبكي؛ فأنشأ رجل كان إذا لاحى يدعى إلى غير أبيه فقال: يا نبي الله من أبي؟ فقال: أبوك حذافة، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا؛ نعوذ بالله من سوء الفتن؛ فقال النبي ﷺ: ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط؛ إنه صورت لي الجنة والنار، حتى رأيتهما دون الحائط "

قال: فكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾([147]).

[145]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١١٦٦)
[146]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٨٩)
[147]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٩٧)

• حدثني محمد بن بشار، حدثنا يحي، عن سعيد، عن قتادة، أن أنس بن مالك ﷺ حدثهم: أن النبي ﷺ صعد أحدا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف بهم فقال: اثبت أحد؛ فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان ([148]).

• حدثنا أحمد بن واقد، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن حميد ابن هلال، عن أنس ﷺ: أن النبي ﷺ نعى زيدا، وجعفرا، وابن رواحة للناس، قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذ بن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان؛ حتى أخذها سيف من سيوف الله؛ حتى فتح الله عليهم ([149]).

• حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبي حسين، حدثنا نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: وقف النبي ﷺ على مسيلمة في أصحابه فقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله ([150]).

وقد وقع صدق الخبر؛ فبعد وفاته ﷺ: قتل عدو الله وهلك!!!

• حدثنا محمد بن مسكين، أبو الحسن، حدثنا يحي بن حسان، حدثنا سليمان، عن شريك بن أبي نمر، عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري أنه توضأ في بيته، ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله صلى الله عليه و سلم، ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ، فقالوا: خرج ووجه ها هنا؛ فخرجت على إثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس؛ فجلست عند الباب، وبابها من جريد؛ حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته، فتوضأ فقمت إليه، فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب؛ فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو

[148]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٤)
[149]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٧٢)
[150]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٤)

بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت: يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة؛ فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ، وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر ابن الخطاب يستأذن؟ فقال: ائذن له وبشره بالجنة؛ فجئت فقلت: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة؛ فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلان خيرا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت" على رسلك؛ فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه؛ فجئته فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، على بلوى تصيبك؛ فدخل فوجد القف قد ملئ؛ فجلس وجاهه من الشق الآخر، قال شريك: قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم([151]).

• حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن أبي العباس، عن عبد الله بن عمر قال: حاصر النبي ﷺ أهل الطائف فلم يفتحها؛ فقال: إنا قافلون غدا إن شاء الله؛ فقال المسلمون: نقفل ولم نفتح؟ قال: فاغدوا على القتال؛ فغدوا فأصابتهم جراحات، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا قافلون غدا إن شاء الله؛ فكأن ذلك أعجبهم؛ فتبسم رسول الله ﷺ"([152]).

[151]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٣)
[152]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٧١٩)

• حدثنا يحيى بن قزعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد كان فيما كان قبلكم من الأمم ناس محدثون؛ فإن يك في أمتي أحد؛ فإنه عمر.

• زاد زكرياء بن أبي زائدة، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل: رجال يكلمون، من غير أن يكونوا أنبياء؛ فإن يكن من أمتي منهم أحد؛ فعمر ([103]).

• حدثنا علي بن عياش الألهاني الحمصي، حدثنا أبو غسان قال: حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد الساعدي قال: نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين، وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار؛ فلينظر إلى هذا؛ فتبعه رجل فلم يزل على ذلك، حتى جرح، فاستعجل الموت؛ فقال بذبابة سيفه، فوضعه بين ثدييه، فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عمل أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها ([104]).

• حدثنا حبان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: هذا من أهل النار؛ فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد القتال، وكثرت به الجراح فأثبتته؛ فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أرأيت الذي تحدثت أنه من أهل النار، قد قاتل في سبيل الله من أشد القتال فكثرت به الجراح؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما إنه من أهل النار؛ فكاد بعض المسلمين يرتاب؛ فبينما هو على ذلك؛ إذ وجد الرجل ألم الجراح؛

[103]) صحيح البخاري - (ج ٣ / ص ١٣٤٩)
[104]) صحيح البخاري - (ج ٥ / ص ٢٣٨١)

فأهوى بيده إلى كنانته، فانتزع منها سهما فانتحر بها؛ فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول: الله صدق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ([105]).

• حدثني محمود، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة، عن أسامة بن زيد ﷺ قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة فقال: هل ترون ما أرى؟ قالوا: لا، قال: فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع القطر ([106]).

• حدثنا عمرو بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق سمعت حذيفة يقول: بينا نحن جلوس عند عمر؛ إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله، وولده وجاره: تكفرها الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر؟ قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابا مغلقا، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا بل يكسر، قال عمر: إذا لا يغلق أبدا، قلت: أجل، قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط؛ فهبنا أن نسأله من الباب؟ فأمرنا مسروقا فسأله فقال: من الباب ؟ قال: عمر ([107]).

• حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق قال: جلس عبد الله، وأبو موسى فتحدثا، فقال أبو موسى: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن بين يدي الساعة لأياما يرفع فيها العلم، وينزل فيها الجهل ويكثر الهرج "، والهرج القتل([108]).

[105]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٤٣٦)
[106]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٨٩)
[107]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٩٩)
[108]) صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ٢٥٩٠)

فهرست الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل	٧
يجب طلب العلم على أهله، بصدق نية، وشريف طوية	٧
من يرد الله به خيرا: يفقهه في الدين	٨
لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله	٨
يجب رد كل قول أو معتقد يخالف ما كان عليه سلف الأمة	٩
{وما قدروا الله حق قدره}	١٠
خطورة عبادة الله على الوهم في قوله تعالى {كباسط كفيه}	١١
الباب الأول: قضية المحكم والمتشابه	١٣
مدركات السنن على طريقين	١٥
الأولى: أن مذهب التأويل هو مذهب الراسخين في العلم في أمة الإسلام	١٥
الثانية: أن مذهب التفويض هو مذهب البسطاء وعامة الناس، والمتورعين الذين يخشون من الخوض في معاني الوحي المتعلقة بالذات العلية	١٥
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون	١٦
{وما يعلمه إلا الله والراسخون في العلم}	١٦
وأما الآخر: فلو بثثته قطع هذا البلعوم	١٧
الفصل الأول: بيان التأصيل للمحكم والمتشابه وحكمهما	١٩
في قوله تعالى: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح}	١٩
في قوله تعالى:{بمواقع النجوم}	٢٠
ما جاء في تقعيد التأويل واعتماد الصحيح منه	٢٠
إن من ضئضئ هذا: قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم	٢١
تحقق عجز العبد، وقصوره عن إدراك مخلوق؛ فكيف يرق لإدراك خالقه تعالى	٢٢
من علل التأويل التي دفعت الإمام البخاري إلى هذا المنهج	٢٣
سيد المؤولين رسول رب العالمين ﷺ	٢٣

Courtesy of Darul Tahqiq darultahqiq@gmail.com

في قوله تعالى:{الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}	٢٣
الأخذ بالتأويل هو دين الصحابة ومنهجهم الأعلى طالما كان في إطار ضوابط الشريعة	٢٤
من تأويل خليفة رسول الله أبي بكر رضي الله عنه	٢٤
في قوله ﷺ: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله	٢٤
الإجماع على صحة مذهب التأويل للنص المشكل	٢٨
أن النصوص الشرعية لا يكتفى في فهمها بالعموم	٢٨
أن الضوابط العامة لشريعة الهدى القويم قد استقرت، وأن المبادئ العليا لدين الإسلام في شأن الاعتقاد قد دونت، ولا يجوز لأحد استحداث مخالف	٢٨
من تأويل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٢٩
في قوله تعالى: {أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل و أعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات}	٢٩
من تأويل حبر القرآن وترجمان أمة الإسلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه	٣١
في قوله تعالى: {رب أرني أنظر إليك}	٣١
في قوله تعالى: {ولولا أن يكون الناس أمة واحدة}	٣٢
في قوله تعالى: {أسمع بهم وأبصر}	٣٣
في قوله تعالى: {أرسله معي رداً يصدقني}	٣٣
في قوله تعالى: {وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون}	٣٤
في قوله تعالى: {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ماكنا مشركين}	٣٤
في قوله تعالى: {إنه لقول فصل}	٣٥
في قوله تعالى:{اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير}	٣٥
فحش الجمود عند ظواهر التنزيل دون اعتبار قواعده	٣٦
في قوله تعالى: {ومن الناس من يعبد الله على حرف}	٣٧
تقريره بوقوع النسخ في القرآن	٣٨
في قوله تعالى: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم}	٣٨
الفصل الثاني: أنواع وصنوف التأويل	٤١
تأويل الأشياء بأضدادها	٤١

في قوله تعالى: {لا أقسم}	٤١
في قوله تعالى: {من ورائه جهنم}	٤٢
في قوله تعالى:{ أفلم ييأس}	٤٢
في قوله تعالى :{ لئلا يعلم أهل الكتاب}	٤٢
تأويل المادي بالمعنوي	٤٢
في قوله تعالى :{من الظلمات إلى النور}	٤٢
في قوله تعالى :{وراءكم ظهريا}	٤٣
في قوله تعالى: {ردوا أيديهم في أفواههم}	٤٣
في قوله تعالى {في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا}	٤٤
في قوله تعالى :{حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا}	٤٤
في قوله تعالى :{بقوة}	٤٥
في قوله تعالى :{ذوقوا}	٤٥
في قوله تعالى: {سقط في أيديهم}	٤٥
تأويل المعنوي بالمادي	٤٦
تأويل ما جاء في صفة الكبرياء	٤٦
تداخل تأويل مدارك المادي والمعنوي	٤٦
في قوله تعالى: { مكانتهم}	٤٦
ما جاء في تأويل السمع على معنى العقل	٤٦
في قوله تعالى: {لا يستطيعون سمعا}	٤٦
ما جاء في تأويل البصر على معنى إعمال الفكر في عظمة الله	٤٨
في قوله تعالى : {أولى الأيد والأبصار}	٤٨
تأويل السمع والبصر بمعنى الهدى	٤٨
ما جاء في تأويل الحياة	٤٩
في قوله تعالى: {استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم}	٤٩
في قوله تعالى :{من أحياها}	٤٩
في قوله تعالى :{ضعف الحياة}	٥٠
في قوله تعالى :{وإلى مدين أخاهم شعيبا} {واسأل القرية}	٥١

قاعدة: أن العبرة في فهم ما يتعلق بالذات العلية فيما للنصوص من مدركات هو: الحكم بالنهايات والغايات	٥٢
في قوله تعالى: {ألم تر}	٥٢
في قوله تعالى: { والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما}	٥٢
في الله تعالى {وما كان الله ليضيع إيمانكم}	٥٣
في قوله تعالى:{يصحبون}	٥٣
تأويل ما جاء في الروح	٥٤
في قوله تعالى:{روحا من أمرنا}	٥٤
في قوله تعالى:{قتل الخراصون}	٥٤
في قوله تعالى :{خاف مقام ربه}	٥٤
في قوله تعالى :{سوط عذاب}	٥٥
في قوله تعالى: {لنغرينك}	٥٥
في قوله تعالى :{وصلنا}	٥٥
في قوله تعالى :{ في جذوع}	٥٥
في قوله تعالى :{وللبسنا}	٥٥
في قوله تعالى :{لبالمرصاد}	٥٦
في قوله تعالى :{بطغواها}	٥٦
في قوله تعالى :{دساها}	٥٦
ومن أنواع التأويل التخصيص ومنه: التخصيص بالعقل	٥٦
في قوله تعالى: {وأصبح فؤاد أم موسى فارغا}	٥٦
وقد يتعدد التأويل للفظ الواحد بالكثير من المعاني ومنها:	٥٧
تأويل كلمة ولفظ الدين	٥٧
ما جاء في تأويل الخلق بمعنى الدين	٥٧
في قوله تعالى: {لا تبديل لخلق الله}	٥٧
في قوله تعالى :{صبغة}	٥٧
في قوله تعالى :{أمتكم أمة واحدة}	٥٧

في قوله تعالى:{طائركم}	٥٨
وفي قوله تعالى: {طائرهم}	٥٨
وفي قوله تعالى: {طائره}	٥٨
في قوله تعالى: {فسوف يكون لزاما}	٥٨
في قوله تعالى: {غراما}	٥٨
تأويل ما جاء في الفتنة	٥٨
{وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس}	٥٨
في قوله تعالى: {بفاتنين إلا من هو صال الجحيم}	٥٨
في قوله تعالى :{فتنوا}	٥٩
الباب الثاني: رواسخ الإيمان العوالي	٦١
الفصل الأول: معنى وحقيقة الإيمان	٦٣
المطلب الأول: معنى الإيمان	٦٣
إن الإيمان هو العمل	٦٣
باب زيادة الإيمان ونقصانه	٦٤
المطلب الثاني: حقيقة الإيمان	٦٦
إفادة أن أول الواجبات النظر	٦٧
عدم التكفير بالكبيرة	٦٩
الباب الثالث: الإلهيات	٧١
الفصل الأول: نفي الجسمية والأعضاء عن الذات الإلهية	٧٣
قوله صلى الله عليه وسلم: إن الله يمسك السموات على إصبع ...	٧٥
ما جاء في تأويل الاستواء بالاستيلاء	٨٠
تأويل العرش عند الصحابة	٨١
رواية ابن القيم: الإجماع على اتصاف الله بعلو الغلبة والقهر	٨٣
نفي الفوقية الحسية	٨٤
قوله صلى الله عليه وسلم: "كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش	٨٥
في قوله تعالى: {فليمدد بسبب إلى السماء}	٨٦

في حقيقة النزول في الثلث الأخير	٨٧
في قوله تعالى: {يتنزل الأمر بينهن}	٨٨
في قوله تعالى: {وما نتنزل إلا بأمر ربك}	٨٨
محذورات القول بنزول الذات الآلهية في الثلث الأخير	٨٩
في قوله تعالى: في قوله تعالى: {والله محيط بالكافرين}	٩٠
في قوله تعالى: {أتخذناهم سخريا}	٩١
في قوله تعالى: {أحيط بهم}	٩١
في قوله تعالى: {وهو الظاهر والباطن}	٩٢
المطلب الثاني: قضية نفي الزمان عن خالق الأزمان	٩٤
{وكان الله غفورا رحيما}، {عزيزا حكيما}، {سميعا بصيرا} فكأنه كان ثم مضى؟	٩٤
الفصل الثاني: الصفات الواجبة للذات العلية	٩٩
المطلب الأول: الصفات الذاتية	١٠٠
صفة الوجود	١٠٠
قول الله تعالى: {وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق}	١٠١
وقال {ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم}	١٠١
قوله تعالى {ألا له الخلق والأمر}	١٠١
صفة الوحدانية	١٠٣
قوله {قل هو الله أحد}	١٠٣
صفة الأزلية	١٠٥
عدم أزلية الأكوان، ونفي حوادث لا أول لها	١٠٥
صفة الأبدية	١٠٨
في قوله تعالى :{قل أي شيء أكبر شهادة قل الله}	١٠٨
وقال: {كل شيء هالك إلا وجهه}	١٠٨
صفة القيومية	١٠٩
صفة عدم مشابهة المخلوقات	١١١
قضية نفي التشبيه عن صاحب التنزيه	١١١
في قوله تعالى: {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث}، وقوله تعالى: {لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا}، وقوله{ليس كمثله شئ وهو السميع البصير}	١١١

استحالة وقوع التغير الحيوي على صفات الله في الأزل والأبد	١١٣
تأويل الضحك الوارد في الأحاديث	١١٣
قضية نفي الكيفية عن رب البرية	١١٥
في قوله تعالى:{صبغة}	١١٥
المطلب الثاني : صفات المعاني	١١٧
صفة القدرة	١١٧
صفة العلم	١١٨
صفة السمع	١٢٠
صفة الإرادة	١٢١
صفة كلام رب العالمين	١٢٣
ما روي عن الإمام البخاري من الباطل إلا الحسدة من الأقران	١٢٦
مسألة الكلام النفسي	١٢٨
صفة الحياة	١٢٩
الفصل الثالث : الصفات الجائزة في حقه تعالى	١٣٣
اطلاق اسم ووصف الخالق على غير الله تعالى	١٣٣
في قوله جل شأنه: {أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين }	١٣٣
اطلاق اسم ووصف الرازق على غير الله تعالى	١٣٤
في قوله تعالى: {والله خير الرازقين}	١٣٤
في قوله تعالى:{فارزقوهم منه}	١٣٤
الفصل الرابع : الصفات المحالة في حقه تعالى	١٣٥
تأويل الحسرة؛ لأنها من ألوان مشابهة المخلوقات	١٣٥
في قوله تعالى: {يا حسرة على العباد}	١٣٥
ما جاء في تأويل النسيان : لأنه من أنواع الجهل وهو مستحيل	١٣٧
في قوله تعالى :{ننساكم}	١٣٧
تأويل الفراغ؛ لأنه من مشابهة المخلوقات من حيث التعلق بالزمن	١٣٨
في قوله تعالى :{سنفرغ لكم}	١٣٨
تأويل الإذن؛ لأنه من الفقر، وهو مستحيل في حق الغني	١٤٠

في قوله تعالى :{أذنت لربها}	١٤٠
تأويل الفعل الأهون؛ فهو من المستحيل لأنه ضد طلاقة القدرة	١٤٢
في قوله تعالى {وهو أهون عليه}	١٤٢
تأويل الإحصاء؛ لأنه من الجهل والعجز المستحيلان عليه تعالى	١٤٢
في قوله تعالى: {أحصيناه}	١٤٢
نفي عقيدة الحلول والاتحاد الباطلة	١٤٣
في قوله تعالى:{ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها}	١٤٣
الفصل الخامس : الصفات الخبرية	١٤٥
تأويل ما جاء في صفة الوجه	١٤٥
في قوله تعالى: {كل شيء هالك إلا وجهه}	١٤٥
تأويل ما جاء في صفة العين	١٤٧
في قوله تعالى {ولتصنع على عيني} {تجري بأعيننا}	١٤٧
تأويل ما جاء في صفة اليد	١٤٧
تأويل اليد على معنى القوة	١٤٨
في قوله تعالى: {الأيد}	١٤٨
تأويل اليد على معنى النعمة	١٤٨
وقد يكون التأويل منعكسا؛ فتطلق النعمة ويعبر عنها باليد	١٤٩
في قوله تعالى: {اذكروا نعمة الله عليكم}	١٤٩
تأويل اليد إلى معنى العقد والبيعة	١٤٩
تأويل اليد إلى معنى القدرة والسلطان	١٥٠
تأويل اليد بمعنى التدبير والتصريف	١٥٠
تأويل اليد على معنى التزامن الفعلي	١٥١
من أدلة حتمية التأويل أن يوصف الوصف باليدين	١٥١
في قوله تعالى: {وهو الذي أرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته}	١٥١
ومن أدلة حتمية التأويل أن يوصف زمن باليدين	١٥١
من أدلة حتمية التأويل أن يوصف عرض من الأعراض باليدين	١٥٢
من أدلة حتمية التأويل أن يوصف فعل البشر باليدين	١٥٢

في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر}	١٥٢
ما جاء في صفة القدم	١٥٤
في قوله تعالى:{وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم}	١٥٤
ما جاء في تأويل جنب الله	١٥٦
في قوله تعالى:{على ما فرطت في جنب الله}	١٥٦
تأويل الضحك إلى معنى الرحمة	١٥٨
ما جاء في تأويل الإتيان	١٥٨
في تأويل الإتيان والمجيء ممن يستحيل منه : أنه على معنى العطاء	١٥٨
بقوله تعالى{فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}	١٥٨
في قوله تعالى:{سنستدرجهم}وقوله{فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا}	١٦٠
تأويل صفة الغيرة	١٦٣
الباب الرابع : النبوات	١٦٥
في وجوب صدق الأنبياء وعدم كتمانهم العلم والحق	١٦٧
في قوله تعالى:{وتخفي في نفسك ما الله مبديه}	١٦٨
عصمة اعتقاد الأنبياء عن ظن خلف وعد الله تعالى لهم	١٦٩
في قوله تعالى:{حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا}	١٦٩
استحالة انشغال الأنبياء بالدنيا عن ربهم	١٧١
في قوله تعالى {إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي}	١٧١
في قوله تعالى {ألقى الشيطان في أمنيته}	١٧٢
تبرئة الأنبياء عن الأمراض والصفات المستقذرات والمستبشعات	١٧٣
في قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها}	١٧٣
وجوب عدم التفرقة بين الأنبياء	١٧٤
درجة الولاية	١٧٤
في قوله تعالى: {إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا}	١٧٤
جواز إطلاق لفظ العصمة على غير الأنبياء وتفيد الحفاظة فقط	١٧٥

في قوله تعالى: {ادفع بالتي هي أحسن كأنه ولي حميم}	١٧٥
الباب الخامس : السمعيات	١٧٧
اعتقاد أن رؤية الله لا تجوز لأحد في الدنيا	١٧٩
في قول الله تعالى { فكان قاب قوسين أو أدنى؛ فأوحى إلى عبده ما أوحى}	١٧٩
في قوله تعالى: {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}	١٧٩
في قوله تعالى:{ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى}	١٨٠
وقوع رؤية رب العالمين في الآخرة للمؤمنين	١٨٠
أن المسيح الدجال من علامات الساعة الكبرى وفتنها العظمى	١٨٠
عدم دخول الدجال المدينة	١٨١
وأن منكرا ونكيرا حق	١٨١
ونؤمن بعذاب القبر أعاذنا الله منه بكرمه	١٨١
وأن الشفاعة حق	١٨٢
وأن الحشر حق	١٨٨
وأن الحساب حق	١٨٩
وأن الجنة حق	١٨٩
وأن النار حق	١٩١
الباب السادس : الرد على الفرق المبتدعة	١٩٣
يجب رد كل قول أو معتقد يخالف ما كان عليه السلف	١٩٦
الفصل الأول: الرد على القدرية	١٩٩
ما جاء في تأويل القضاء	٢٠٠
في قوله تعالى: {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول}	٢٠٢
في قوله تعالى: {تؤزهم أزا}	٢٠٣
الفصل الثاني: الرد على الشيعة	٢٠٥
تصوير الشيعة لنبيهم: بأبشع وصف، وأحقر تصوير لرجل جهول سفيه مغفل ظلوم، لا يحسن معرفة نفسه، ولا يقوم بحق آله ودينه	٢٠٧
فضائل أهل البيت المكرمين	٢٠٧
شرعية قول: عليه السلام على آحاد آل النبي ﷺ أصحاب العباءة	٢٠٨

عناية الشيخين بخصوص آل البيت	٢٠٩
توسل وتبرك الشيخين بآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٠٩
تقديم الشيخين لآل البيت على أنفسهم، وتبجيلهما لهم	٢١٠
تبرك الشيخين بآل البيت	٢١٠
تبجيل آل البيت للشيخين	٢١٠
تقديم سادات أهل البيت للشيخين على أنفسهم مطلقا	٢١٠
تمني أكابر سادة آل البيت رتبة ودرجة الشيخين عند الله	٢١٠
ثناء أهل البيت على عائشة رضي الله عنها	٢١١
قدر عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عند النبي صلى الله عليه وسلم	٢١١
دفاع عبد الله بن عمر عن آل البيت وأصهار النبي صلى الله عليه وسلم	٢١١
تقديم النبي ﷺ للشيخين على غيرهما في الخلافة	٢١٢
رد عبد الله بن عمر عما قيل في حق عثمان وتبرئته وتعظيم قدره	٢١٤
ثناء أهل البيت المكرمين على معاوية رضي الله عنه	٢١٤
تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لقدر عموم الصحابة	٢١٥
الفصل الثالث:الرد على الخوارج ظانين التعارض في كتاب الله تعالى	٢١٧
في قوله تعالى:{هذا يوم لا ينطقون}وقوله:{اليوم نختم على أفواههم}	٢١٧
وفي قوله تعالى: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} وقوله: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}	٢١٧
وفي قوله:{ولا يكتمون الله حديثا}وقوله:{والله ربنا ما كنا مشركين}	٢١٧
وفي قوله: {أم السماء بناها -إلى قوله – دحاها}وقوله: {أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين - إلى قوله – طائعين}	٢١٧
وفي قوله:{فلا أنساب بينهم} وقوله:{أقبل بعضهم على بعض يتساءلون}	٢١٨
في قوله تعالى: { لتركبن طبقا عن طبق}	٢١٩
الباب السابع : تصوف الإمام البخاري	٢٢١
الفصل الأول: تأسيس الإمام البخاري لأصول التصوف بالكتاب والسنة، وآثار الصحابة	٢٢٥
في قوله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾	٢٢٥

فمن أعظم النماذج الصوفية النبوية: الخضر صلى الله عليه وسلم	٢٢٦
{وإذا قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا}	٢٢٨
إخبار النبي ﷺ في مسألة علم الباطن	٢٢٨
تأصيل ذم الانغماس في الدنيا، وإفراد الله بالعبودية	٢٢٩
قول الله تعالى: {يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور . إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير}	٢٣٠
وقوله تعالى: {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون}	٢٣٠
وقوله تعالى: {ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم . ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين}	٢٣٠
قول عمر بن الخطاب فيما نزل من آيات زينة الدنيا	٢٣١
قول علي بن أبي طالب فيما نزل من آيات ذم الدنيا	٢٣١
تأصيل التصوف من السنة المشرفة	٢٣٢
الفصل الثاني: تأصيل المبنى الأساس للصوفية وهو الزهد في الدنيا ووقف الأنفاس على خالق الناس	٢٣٣
ألا كل شيء ما خلا الله باطل	٢٣٣
" حجبت النار بالشهوات، وحجبت الجنة بالمكاره "	٢٣٣
" كن في الدنيا كأنك غريب ،أو عابر سبيل"	٢٣٤
ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة، من طعام بر ثلاث ليال تباعا، حتى قبض	٢٣٥
ما أكل آل محمد ﷺ أكلتين في يوم؛ إلا إحداهما تمر	٢٣٥
كان فراش رسول الله ﷺ من أدم، وحشوه من ليف"	٢٣٥
"كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات رسول الله"	٢٣٥
" اللَّهُمَّ ارزق آل محمد قوتا "	٢٣٥
"وما أكل خبزا مرققا حتى مات"	٢٣٦

" أفلا أكون عبدا شكورا "	٢٣٦
" تعس عبد الدينار والدرهم"	٢٣٧
" ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس "	٢٣٧
إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع	٢٣٩
ويرى أني مجنون، وما بي من جنون؛ ما بي إلا الجوع	٢٣٩
إني مما أخاف عليكم من بعدي: ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها	٢٤٠
الفصل الثالث : صوفية بل قبورية الإمام البخاري رحمه الله تعالى	٢٤١
المبحث الأول: قضية شد الرحال لمساجد غير الثلاثة	٢٤٣
المطلب الأول:الأصل العام: منع شد الرحال؛ إلى غير المساجد الثلاثة	٢٤٣
الفرع الأول: ثبوت عموم المنع، ودلالة هذا العموم	٢٤٣
الفرع الثاني: تخصيص عموم المنع؛ بجواز شدها إلى غير هذه المساجد الثلاثة المباركة	٢٤٥
المطلب الثاني: شد الرحال إلى مساجد غير المساجد الثلاثة	٢٤٦
الفرع الأول: ثبوت شد الرحال إلى مساجد غير الثلاثة المباركة	٢٤٦
شد الصحابة الرحال لغير المساجد الثلاثة	٢٤٦
شد أبي هريرة الرحال لجبل الطور، تخصيصا لعموم روايته الشهيرة	٢٤٧
شد الصحابة الكرام الرحال للتبرك والصلاة في غير المساجد الثلاثة	٢٤٨
المبحث الثاني: شرعية شد الرحال لزيارة القبور	٢٤٩
المطلب الأول: دلالة المفهوم على شد الرحال لزيارة قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم	٢٤٩
أن كل الأحاديث التي أتت في فضل الروضة الشريفة، وأنها من رياض الجنة: تشريع بندب الزيارة، وسنيتها للقبر الشريف	٢٥٠
"ما بين بيتي ومنبري : روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي"	٢٥٠
المطلب الثاني: شد الرحال لزيارة غير قبره صلى الله عليه وسلم	٢٥٠
الفرع الأول: ثبوت شد النبي صلى الله عليه وسلم الرحال لزياة قبور الصالحين	٢٥١
«أتيت على موسى ليلة أسرى بى، عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلى فى قبره»	٢٥١
شد النبي صلى الله عليه وسلم الرحال لزيارة قبور الصالحين	٢٥١
مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم لصلاة الصالحين في القبور	٢٥١
عدم عموم انقطاع عمل ابن آدم إذا مات	٢٥١

جواز تلاوة آيات الله المنزلة بداخل القبور	٢٥١
وصول ثواب صالح الأعمال للمقبور	٢٥١
جواز تلاوة آيات الله المنزلة بجوار القبور	٢٥١
المبحث الثالث: صحة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام إلى الأوثان	٢٥٢
علم أن التوحيد لا يتجزأ؛ فهو دين الله العظيم الذي ارتضاه، وأرسل به رسله	٢٥٣
عدم صحة القول بأن التوحيد مما يجري على أصوله وقواعده، أو حتى على فروعه النسخ	٢٥٤
في شأن ظاهر الإتيان بالعبادة: أن إقامة الصلاة عند قبر، أو إليه، وشأن الصلاة عند الأوثان، أو إليها، أعظم خطرا	٢٥٤
وأنه يستحيل على النبي ﷺ الإتيان بالأفعال الشركية؛ سواء كان مع العلم، أو مع عدمه	٢٥٥
العبرة بما انصرف القلب إليه من المعاني والمقاصد	٢٥٥
المطلب الثاني: التخصيص بالسنة، وفعل الصحابة الكرام ﷺ	٢٥٧
الفرع الأول: صلاة النبي في مسجد عنده قبور	٢٥٧
صلاة النبي ﷺ في مسجد عنده قبور	٢٥٧
صلاة الصحابة إلى القبور بلا تحريم ولا إبطال للصلاة	٢٥٨
الفرع الثاني: أول من أدخل القبر الشريف في المسجد النبوي	٢٥٩
المبحث الرابع: قضايا القبور الفرعية	٢٦٠
شرعية تسنيم القبور، وعدم تسويتها	٢٦٠
جواز الجلوس على القبر، وأن التحريم متعلق فقط بتنجيسه	٢٦١
جواز ضرب الفسطاط [السرادق] على القبر	٢٦١
اتخاذ الفسطاط على القبور الأيام والسنين	٢٦٣
تأصيل ضرب الفسطاط على القبر	٢٦٤
المبحث الخامس : قضية التبرك	٢٦٥
البركة وضدها تفعلان في الأعيان	٢٦٦
تحريم دخول المواضع، أو التعامل مع الأشخاص الخبيثة منزوعي البركة	٢٦٦
قدرة الأشخاص والمواضع المباركة على طرد النفوس الخبيثة	٢٦٦
طلب الأنبياء للبركة مطلقا من خالق المحيطات الكونية	٢٦٧
تعلقات البركة	٢٦٧

التبرك بالأحياء	٢٦٨
التبرك بآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم	٢٦٨
تشريع النبي ﷺ التبرك بصحابته والتابعين، والأئمة	٢٦٨
التبرك بالأموات	٢٧٠
التبرك بآثار الصالحين بعد الموت	٢٧٠
التبرك بثياب الصالحين في القبور	٢٧١
التبرك بالمنفصل الطاهر للصالحين بعد الموت	٢٧٢
التبرك بالأماكن	٢٧٣
تشريع رب العالمين التبرك بوادي طوى	٢٧٣
تشريع رب العالمين التبرك بوادي العقيق	٢٧٣
طلب نبي الله موسى التبرك بالدفن بقرب الأرض المقدسة	٢٧٣
تشريع رب العالمين التبرك بذي الحليفة	٢٧٤
تحري أكابر الصحابة الصلاة في المواضع التي صلى فيها الأنبياء والصالحون، طلبا للبركة التي جعلها الله فيها	٢٧٤
المبحث السادس: قضية التصريف في الكون	٢٧٧
من تصريف الأنبياء في الكون: عند احتياج الطعام	٢٧٧
من تصرف الصحابة والصالحين في الكون	٢٧٨
بركة الصحابة الكرام في الكون عند احتياج الطعام	٢٧٨
تصرفهم الصالحين في الكون: بإنارة ظلام الليل بالمصابيح غير الأرضية	٢٧٩
تصرف الصالحين في الكون بتسخير البحار	٢٨٠
كانت أسماعهم خارقة يسمعون الجمادات حتى تسبيح الطعام	٢٨١
من تصرف الأنبياء في الكون عند الأزمات الخاصة	٢٨١
من تصريف الأنبياء في الكون عند الأزمات العامة: كالعطش والاحتياج للشرب	٢٨١
من تصرفهم في ماء السماء	٢٨١
من تصرفهم في مياه الآبار	٢٨٢
من تصرفهم عليهم السلام في الماء القليل فيكثروه	٢٨٢
من تصرفهم في الكون عند انقطاع أسباب ومصادر المياه	٢٨٣

بيد الأنبياء والصالحين الموت والحياة	٢٨٤
تأثيرهم في جميع ذرات الكون وبسط سلطان عبيرهم عليه	٢٨٥
في تصرف الأنبياء بعد الموت	٢٨٦
عدم انقطاع عمل الصالحين بالموت؛ بل لهم استطاعة فعل التقرب إلى الله بالعبادات، وفي أي مكان في الأرض، أو السماوات	٢٨٨
أن تصرف نبي الله موسى ﷺ بعد موته كان رحمة بأمة الإسلام في تخفيف الصلاة	٢٨٨
المبحث السابع : فقهيات التصوف	٢٨٩
تجويز الشرع لإطلاق قول: [سيدنا] على الأفاضل الناس	٢٨٩
قراءة الإخلاص في ختم كل صلاة ومحبة الله لذلك	٢٨٩
جواز البيعة على صالح الأعمال	٢٩٠
إسلام أبوي النبي ﷺ	٢٩١
في قوله تعالى :{وتقلبك في الساجدين}	٢٩٣
عالم المثال	٢٩٧
الحضرة والذكر الجماعي	٢٩٧
تحقق تحصيل النبي ﷺ وصحابته الكرام لعلم الغيب	٢٩٨
فهرس المحتويات	٣٠٥

النور الساري باعتقاد الامام البخاري

قد اشتد شوق المسلمين إلى كتاب يجمع الكلمة ، ويوحد الصف بينهم ، ويرجع إليه عند الخلاف بلا نزاع عندهم ، كتاب يستند إلى صريح ومعتمد علم السلف الأكرم ، صحيح وقاطع ببيانه في شأن مسائل الاعتقاد الأعظم ؛ فكانت المنحة العظمى ، والنعمة الفضلى ؛ بإخراج معتقد شيخ الاسلام ، محمد بن إسماعيل البخاري الإمام ، من قد اجتمع أهل السنة على علو قدره ، وصحيح نقله ، وإمامة صاحبه ، وفخيم قواعده ، وشريف معاقده ؛ سائلين به رب العالمين : أن يعلي به شأن الأمة ، وأن يدفع به عن المسلمين كل غمة .